ألفية الحماسة

ألف بيت مختارة للحفظ
من ديوان الحماسة لأبي تمام



انتخبها وأعدَّها للنشر
أبو مالك العوضي

ألفية الحماسة

[ألف بيت مختارة للحفظ من ديوان الحماسة لأبي تمام]

انتخبها وأعدَّها للنشر

أبو مالك العوضي

تقديم ألفية الحماسة

لفضيلة الشيخ د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري

اشتهرت عبارة «الشعرُ ديوانُ العربِ» على ألسنة العامة والخاصة، مع الغفلة عن عمق معناها، فهي تشير إلى رسوخ الشعر في حياة العرب، وأنه الكتاب الحقيقي الذي احتفظ بتفاصيل حضارة العرب حين لم يكن للكتابة رواج.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة عدد من العلماء، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله:«إن الشعرَ علم قومٍ لم يكن لهم علمٌ أصح منه»(١)، وقال محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ): «وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوانَ علمهم، ومنتهى حُكمِهم، به يأخذون، وإليه يصيرون»(٢).

وهذا يعني أن مفاتيح العلم الموروث عن العرب مخبوءة في شعر شعرائها، معقودةٌ بقوافيهم. فليس الشعر ملهاةً يتلهى به طلابُ العلم، ويستجمون به من عناء العلم وجِدِّهِ، ولكنَّه عمودٌ مِن أعمدةِ العلم ينبغي أن يُلتفتَ إليه، وأن يصرف المتخصصون في تعليمه وقتًا وجهدًا كبيرًا يليق بمكانته، وأن ينفق الطالب وقتًا مهمًّا في حفظ عيونه، ومختاراته، فليس كلُّ الشعرِ جديرًا بالحفظ والعناية.

---

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام (١/ ٢٤).

(٢) طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٤).

وقد تهاون كثيرٌ من أهل العلم في زماننا بشأن الشعر وشواهده، ولم يعد له شأن يُذكرُ في دروس العلماء، في حين كان الشعر حاضرًا في دروس أهل العلم ومجالسهم ومؤلفاتهم إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، وهذا ينبغي أن يلتفت له أهل العلم بما يصلح خلله، ويعيد للشعر مكانته في دروس العلماء ومحفوظاتهم.

ومن أجود كتب المختارات الشعرية ما انتخبه الشاعر الكبير أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في كتابه الذي اشتهر بديوان الحماسة تسميةً له بأول أبوابه، حيث حبسه موسم الثلج بهمذان حين مروره بها فمكث عند صديق له من آل سلمة وعكف على خزانة كتبه وما فيها من دواوين الشعر والأدب فانتخب منها عدة كتب في المختارات من شعر قبائل العرب ومحاسن شعرائها، وكان منها اختياره ديوان الحماسة[1]. وقد كان أبو تمام في الذروة من العلم بشعر العرب وحفظه، والاشتغال به، والاختيار منه، حتى قال الحسن بن رجاء: «ما رأيت أحدًا قطُّ أعلمَ بجيدِ الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام»[2]. ولذلك صنَّف أبو تمام عددًا من المختارات الشعرية؛ بعضها طُبع كالحماسة والوحشيات[3] وأشعار المحدثين،

---

(١) انظر: شروح حماسة أبي تمام: دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها للدكتور محمد عثمان علي (١/١٢) وما بعدها، شرح الحماسة للتبريزي (١/٤).

(٢) أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي (١١٨).

(٣) حققه الأستاذ عبد العزيز الراجكوتي ومحمود محمد شاكر رحمهم الله، وطبعته دار المعارف الطبعة الثانية عام ١٣٨٨هـ.

وبعضها لم يُعثر عليه بعدُ، وقد أشار الآمدي لستة اختيارات لأبي تمام[1]، ثم عقب على هذه المؤلفات بقوله في الثناء على أبي تمام وعلمه بالشعر: «فهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر، وأنه اشتغل به، وجعله وُكْدَهُ وغَرَضَه، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه، وأنه ما فاته كبير شيء من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا مُحدَثٍ إلا قرأَهُ وطالع فيه»[2].

فهذه الاختيارات التي بين أيدينا مختارة بعناية من ديوانٍ مختار بعناية، وكما حظيت حماسة أبي تمام بعناية العلماء والأدباء منذ تصنيفها حتى اليوم، عسى أن تحظى مختارات أبي مالكٍ العوضي من الحماسة بمثل ما حظي به أصلُها إن شاء الله.

إن الباعث على اختيار هذه الألفية الشعرية الحماسية باعث جليل، وهي مقدمةٌ مهمة بين يدي طالب العلم الطموح تغريه بحفظ المزيد من أمثالها ودراسته والتفقه في معانيه، وهي شواهد متداولة في دواوين التفسير واللغة والحديث وغيرها من دواوين العلم، انطلق منها المفسرون والفقهاء واللغويون لبيان معاني لغة الوحي والاحتجاج لها، ومعرفة أحوال العرب في عاداتهم وفهمهم، ومعرفة خفايا حضارتهم التي استودعوها في أشعارهم. وقد لاحظتُ في أثناء دراستي لشواهد الشعر في كتب التفسير عنايةً خاصةً بديوان الحماسةِ وشواهده في تفسير

---

(١) الموازنة بين الطائيين للحسن بن بشر الآمدي (١/٥٨- ٥٩).

(٢) الموازنة بين الطائيين للحسن بن بشر الآمدي (١/٥٩).

الكشافِ للزمخشري (ت٥٣٨هـ) وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، وهذا مفتاح مهم لطالب العلم لفهم معاني الكتاب والسنة واللغة فهمًا صحيحًا مستقيمًا، مع ما يكسبه الحافظ من حسن البيان، وجودة العبارة، واستقامة اللسان، وسعة الفهم. وكثيرًا ما كانت هذه الشواهد الشعرية مدار البحث والشرح في حلقات العلم، وبلاط الخلفاء، وصنفت في توثيق تلك المجالس المصنفات.

بارك الله في هذه الألفية المختارة، ونفع بها طلاب العلم، وجعلها بابًا لإعادة العناية بشعر العرب وعلومه إلى حلقات التعليم، وتقبل من أخي المبدع المتفنن أبي مالك العوضي هذا العمل بقبول حسن، ونفع به طلاب العلم والأدب، وأعانه على تحقيق ما وعد به من بقية المختارات من شواهد النحو والتفسير، إنه أكرم مسئول.

عبد الرحمن بن معاضة الشهري

الرياض في ١٥ ذي الحجة ١٤٣٧هـ

تمهيد بين يدي ألفية الحماسة

كتبه

أبو مالك العوضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فهذه (ألفية الحماسة)، انتقيتُها لطلاب العلوم الشرعية الذين لا تراهم غالبا إلا بمعزل عن حفظ الشعر ودراسته، بدعوى ضيق الوقت، أو بدعوى تقديم الأهم، أو غير ذلك من الدعاوى.

فهذا الكتاب موجه لهؤلاء وأمثالهم، فينتفع به من ضاق وقته عن مطولات الأدب والشعر، ويحفظه من أراد الاقتصار على مقدار مناسب لا يستغرق عمره فيه؛ فإن حفظ هذه الألفية لا يستغرق من الطالب المتوسط أكثر من ثلاثة أشهر تقريبا، ويستفيدُ منها بعد ذلك عشرات السنين إن شاء الله تعالى، فضلًا عن تقويم لسانه، وإثراء بيانه، وزيادة مادته من الشواهد والتعبيرات الفصيحة.

فهذه الألفيةُ موجَّهةٌ لطلبة العلم الشرعي بالأصالة والقصدِ الأول، وليست موجهةً للمتخصصين في الشعر والمشتغلين بالأدب إلا بالتبع والقصدِ الثاني، وأنا لا أزعم أني من المتخصصين لا في هذا ولا في ذاك، ولذلك يُسعدني تلقِّي التوجيه من أهل العلم الفضلاء في كل ما يرونه جديرًا بالإشارة والتنبيه، فالمرءُ قليل بنفسه كثيرٌ بإخوانه، والمؤمنُ مرآة أخيه.

وأصلُ هذه الألفية: مجموعة من المقاطع الشعرية التي كنت اخترتُها قديمًا من

ديوان الحماسة لأبي تمام، ولم أكن أنوي نشرَها، وإنما انتقيتُها لنفسي من أجل الحفظ فقط، ليكون لي نصيبٌ -وإن قل- من حفظ الشعر، والمعرفةِ بكلام العرب المنظوم، وكنت أشجِّع أصحابي من طلبة العلم على أن ينتقوا المختارات من الكتب الأدبية المشهورة، ويحفظوا ما يناسبهم من ذلك، وكنت أرسل هذه المختارات إلى كثير منهم تشجيعًا على ذلك، ولم أبخل بها على أحد طلبها مني، حرصًا على نشر ثقافة الحفظ التي تكاد تكونُ مفقودة في عالمنا اليوم بين طلبة العلم الشرعي، أقصد في مثل هذا الجانب؛ فإنك قد تجد من يحفظ القرآن بقراءاته ويحفظ كتب السنة بأسانيدها، ويحفظ المتون بأنواعها، بل قد تجد من يحفظ بعض كتب الفقه كاملة، والعلماء كثيرون بحمد الله تعالى في جميع التخصصات الشرعية، ولكن مع الأسف لا تكادُ تجدُ جانبًا من جوانب العلم يقصِّر فيه طلبةُ العلم الشرعي مثل هذا الجانب؛ أعني حفظ كلام العرب والعناية بالشواهد والأشعار، مع أن ذلك من الأهمية بالمكان الذي لا يخفى.

وقد اقترح عليَّ بعضُ المشايخ الفضلاء أن تُطبع هذه الألفية لكي يعم النفع بها، وتنتشر بين طلبة العلم، فرجوتُ الفائدة في ذلك إن شاء الله تعالى، فراجعتُها وأضفت إليها بعض التعليقات التوضيحية اليسيرة، وكتبت قبلها مقدمة مختصرة لبيان أهمية حفظ الشعر عمومًا، ثم أهمية ديوان الحماسة خصوصًا.

ولقد مر هذا الانتقاء بعدة مراحل، فكانت المرحلة الأولى من الانتقاء اعتمادًا على طبعة شرح ديوان الحماسة المنسوب لأبي العلاء المعري، وعرضتُ هذا الانتقاء

على بعض المشايخ فاستحسنوه.

وبعد عدة سنوات تركتُ هذا الانتقاء جانبًا، وشرعتُ في انتقاء جديد كليًّا، اعتمادًا على الطبعة المفردة لديوان الحماسة بتحقيق (د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان)، مع تجنب النظر في الانتقاء السابق تمامًا، وبعد أن انتهيتُ من الاختيار الجديد كاملًا، شرعتُ أقابل بين الانتقاءين فوجدت بحمد الله تشابهًا بنسبةٍ تزيدُ عن سبعين في المائة، فبدأت أفاضلُ بين الزيادات في الانتقاءين واخترتُ ما ترجح لي من بينها.

ومع أن الانتقاء والانتخاب يرجع إلى الذوق في الغالب، وفيه صعوبة لا تخفى على العاقل (لأن اختيار المرء قطعة من عقله)، وزاد الأمر صعوبةً أن الانتقاء هو أصلًا من كتابٍ منتقًى ومنتخب وديوانٍ متخيَّر منتخل، وانتخالُ المنتخَل صعبٌ!

إلا أني حاولتُ وضع بعض الضوابط المساعدة لتسهيل أمر الانتقاء؛ وهي:

١ - التركيز على المقاطع المشهورة المتداولة في الكتب أكثر من غيرها؛ حتى تكون استفادة طالب العلم من هذه المقاطع أكبر.

٢- اجتناب المقاطع الطويلة إلا في أضيق الحدود؛ تسهيلا للحفظ.

٣- ترك المقاطع الموجودة في مجاميع الشعر الأخرى المشهورة (وهي: المفضليات

والأصمعيات[1] وديوان الهذليين[2]) وذلك تمهيدًا لانتقاءات أخرى قادمة من هذه الدواوين[3] إن شاء الله تعالى.

٤- اجتناب المقاطع الخارجة عن عصور الاحتجاج، مع أن هذا لا يقدح في حجيتها، إلا أني تركتها من باب الاحتياط، ولذلك تركت الأبيات المجهولة القائل[4]، وتركت كثيرا من الأشعار الجميلة؛ مثل أشعار الحارثي مع جودتها، وكذلك أشعار محمد بن بشير وأشجع السلمي وعباس بن الأحنف وغيرهم، هذا فضلا عن شعر أبي العتاهية وأمثاله.

٥- اجتناب المقاطع التي طعن فيها بعض العلماء حتى وإن لم يثبت هذا الطعن،

(١) لكني لم أتجنب ما في كتاب (الاختيارين) مع أنه في الأصل جمع بين المفضليات والأصمعيات إلا أن فيه زيادات كثيرة عليهما (أعني مطبوعتيهما).

(٢) وبالمناسبة: لاحظت أن أشعار الهذليين في الحماسة قليلة، بخلاف أشعار الطائيين فهي كثيرة جدا، فيبدو أن أبا تمام الطائي كان يميل إلى قومه في الانتقاء.

(٣) عدد أبيات المفضليات تقريبا ٣٠٠٠، والأصمعيات ١٥٠٠، وديوان الهذليين ٦٠٠٠، وفي النية إن شاء الله تعالى: انتخاب ألفية من المفضليات مع الأصمعيات، وانتخاب ألفية أخرى من ديوان الهذليين؛ وذلك لأهميتها الشديدة لطلبة العلم، مع الضعف الشديد في الاطلاع عليها والعناية بها من قبل طلبة العلم الشرعي. ومع أن هذه الدواوين أهم من الحماسة وأقدم وأوثق، إلا أني قدمت الاختيار من الحماسة لأنها أنسب للمحاضرة وأسهل للحفظ. وفي النية أيضًا: ألفية منتقاة لأهم شواهد النحو، وألفية لعصارة شواهد التفسير، أسأل الله التيسير.

(٤) إلا إن كان عصر القائل معلومًا، أو كان الاختلاف يدور بين من يحتج بهم، فلا إشكال في ذلك، وكل من كان أعرابيا من شعراء الحماسة فإنه يحتج به؛ لأن الاحتجاج بالأعراب إلى منتصف القرن الرابع. وقد لقيت صعوبة أحيانا في تحديد عصر الشاعر؛ ولا سيما إن كان شعره خاليًا من الإشارة، مصداقًا لقول الشاعر الحماسي: (إن القصائد شرها أغفالها)، وخلافا لما يصرح فيه الشاعر بنسبه؛ كقول غيره: (أنا ابن محكان أخوالي بنو مطر).

ولذلك تركت القصيدة المشهورة (إن بالشعب الذي دون سلع ...).

٦- إذا انتقيتُ مقطعًا فإني أختاره كاملا (بحسب رواية المرزوقي) وذلك حتى لا يتشتت القارئ ولا يتعثر الحافظ، وليكون على بينة إذا أراد الازدياد بحفظ مقاطع جديدة ليست من ضمن هذا الانتقاء، مع أن هذا الضابط جعلني أترك كثيرا من الأبيات الجميلة الرائعة المفردة؛ لأنها كانت في وسط مقطع لم أستحسن اختياره.

وبعد الانتقاء أضفت بعض الحواشي المختصرة؛ في حال الشاعر، وشرح غريب الألفاظ، وإيضاح ما يشكل من المعاني[١]، وحاولتُ ربط الأبيات بما حضر من نصوص الكتاب والسنة، وأنصحُ القراء بالتدريب والمرانة على ربط المزيد، فهو كثير جدًّا، وينمي ملكة الاستحضار عند طالب العلم.

وقد يقول قائل: ولماذا جعلتها ألفية؟ وما السببُ في تحديد عدد الأبيات بألف؟ وهلّا كان أكثر أو أقل بحسَب ما يناسب الناس واختلافاتهم؟

فالجواب أن الناس إزاء هذا العدد ثلاثة أصناف:

١- منهم من يرى أنه كبير جدًّا، وفوق طاقته في الحفظ، فهذا أقول له: لا يلزمُك أن تحفظ الجميع، بل إن استطعت حفظ النصف فهو جيد، وإلا فاحفظ الربع،

---

(١) اعتمدتُ في غالب التعليقات على شرح الحماسة للمرزوقي، وعلى تعليقات عبد السلام هارون، وعلى طبعة الحماسة المفردة بتحقيق د. عبد الله عسيلان، مع الرجوع أحيانا إلى كتب الأدب واللغة الأخرى، ولم أشر إلى المصادر اختصارًا، واكتفاءً بهذا التنبيه.

وإن لم تقدر فاحفظ مائة بيت فقط، ولا تستقل هذا العدد، فقد يبارك الله عز وجل في القليل وينفعك الله به أكثر مما ينفع غيرك بالكثير.

٢- ومنهم من يرى أنه ملائمٌ ومناسبٌ، ويكون ذلك مرحلة من المراحل، بحسب تحصيل طالب العلم وترَقِّيه في الطلب، وهذا أقول له: **دونك فاستفِدْ**(١).

٣- ومنهم من يرى أنه قليل لا يُعَد شيئا، ولا بد أن يحفظ طالب العلم عشرات الآلاف من الأبيات، وهذا أقول له: قد يكون كلامك صحيحا، ولكن هذه الآلاف لا بد أن تبدأ بألف، فاجعل هذه الألف بدء طريقك الطويل، أو اجعلها خطوة من الخطوات، وأقول له أيضا: الإشكال ليس فيما قلت، ولكن في ضيق الوقت وقصر العمر، فلا بد من تقديم الأهم على المهم، لأن طالب العلم لا يمكنه أن يعرف كل شيء، ولا أن يقرأ كل شيء، ولا أن يحفظ كل شيء، ولا يصح في عقل عاقل أن ينفق طالب العلم عمره في حفظ عشرات الآلاف من الأشعار، وهو لا يعرف ألف حديث من السنة، ولا يعرف أساسيات العلوم الأخرى.

---

(١) من عجائب الاتفاق أن الصلاح الصفدي كان له انتخاب من الحماسة يبلغ ألف بيت! ولم أكن أعلم عنه شيئا عندما انتقيت هذه الألفية؛ قال عن الحماسة في وفياته (١١/ ٢٢٦): (هي أربعة آلاف بيت ومائتا بيت وثمانية أبيات، يكونُ الجيدُ فيها ألفَ بيت، وقد اخترتُ جيدَها فكان ألفَ بيت ومائة بيت وثلاثة وعشرين بيتًا، وسميتُ ذلك "**نفائس الحماسة**"، بعدما رتبت كل باب منها على حروف المعجم). أفادني هذه الفائدة د. محمد أجمل الإصلاحي، حفظه الله.

فلا بد أن يسير طالب العلم في العلوم كلها بالتوازي؛ لأن العلوم مترابطة ويحتاج بعضها إلى بعض، فبينها وشائجُ وصِلات، ولا يستغني بعضها عن بعض، ومن تعمق في بعض العلوم مع إهمال ما هو أهم منها من العلوم الأخرى فسوف يكون عمودُ علمه أعوجَ، وسوف يلحظ في علمه اختلالا إن آجلا أو عاجلا.

فإذا سار طالب العلم بالتوازي في العلوم فحينئذ لا مانع من أن يتبحر فيها كما يشاء؛ لأن العلم بحر لا ساحل له، وكلما ازداد فهو أفضل، مع مراعاة تقديم الأهم فالأهم كما سبق.

وإذا جمع طالب العلم بين حفظ هذه الألفية، وبين حفظ القصائد المعلقات (السبع أو العشر)، فسوف تكون استفادته كبيرة جدا، ومع أن البدء بالمعلقات أهم وأولى، إلا أن البدء بهذه الألفية أسهل وأرفق؛ لأن غريبها أقل ومقاطعها أقصر، ومن ثم فحفظها أيسر.

ومن أراد حفظ المعلقات فالأسهل أن يبدأ بحفظ معلقة زهير بن أبي سلمى ومعلقة عمرو بن كلثوم؛ لسهولة ألفاظهما موازنة بباقي المعلقات، ثم يثلث بمعلقة عنترة ثم باقي المعلقات، وليجعل معلقة لبيد آخرها؛ لأنها أصعب المعلقات لفظا، وأكثرها غريبا، مع أنها أقل المعلقات اختلافا في الروايات، فقد نقلت إلينا على وجه واحد في الغالب، بخلاف باقي المعلقات فالخلاف فيها وفي رواياتها كثير وإن تفاوتت درجاته.

نبذة عن (ديوان الحماسة) وشروحه[1]

(ديوان الحماسة) لأبي تمام من أكثر كتب الاختيارات الشعرية شهرة، فلها حظ كبير من عناية العلماء في القديم والحديث شرحًا وتعليقًا واستشهادًا إلى غير ذلك. وقد بلغت شروحها نحو الثلاثين (أو أكثر) ما بين مطبوع ومخطوط، وقد رتَّبها أبو تمام على حسب المعاني والأغراض، وقسَّمها إلى عشرة أبواب كبرى، وهي: (الحماسة، المراثي، الأدب، النسيب، الهجاء، الأضياف، المديح، الصفات، السير والنعاس، الملح، مذمة النساء). وقد كان أبو تمام من رواد هذا المنهج في التأليف؛ لأن الاختيارات قبله لم تكن ترتب بهذه الطريقة، ولا تسير على هذا المنهج، كما تراه في الأصمعيات والمفضليات. ومدار الاختيار عند أبي تمام هو الجودة والاستحسان للمعاني والأغراض؛ بناء على حسه النقدي ونظرته المرهفة؛ حتى قيل: إن أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره، ولذلك ترك كثيرًا من الأشعار بلا نسبة، وكانت جل اختياراته من المقاطيع الصغيرة في خمسة أبيات ونحو ذلك، وكان منهجه في الاختيار اجتناب المستنكر الوحشي والمبتذل العامي، والإتيان بالواسطة في ذلك كما يقول الباقلاني. وكان تركيز أبي تمام في الغالب على الشعراء المقلين أو المجهولين؛ لأن شعر المشهورين مستفيض متداول بين الناس.

---

(١) لخصتُ هذه النبذة من كتاب (حماسة أبي تمام وشروحها) للدكتور عبد الله عسيلان.

ومن أشهر شروح الحماسة: شرح المرزوقي، وهو من أنفس الشروح المتداولة، وزاده نفاسة تحقيقه من قبل عبد السلام هارون، ويليه شرح التبريزي الذي اعتمد على شرح المرزوقي وزاد عليه؛ إما بإيراد تتمة للأبيات لم يذكرها المرزوقي، أو بشرح بعض ما تركه، أو بزيادة بيان في أخبار الشاعر أو المقطوعة الشعرية، إلى غير ذلك، وهناك شروح أخرى مطبوعة غير مشهورة؛ مثل شرح الشنتمري الذي رتب أشعار الحماسة على القوافي، وشرح أبي القاسم الفارسي المتوفى ٤٦٧هـ، وغير ذلك من الشروح.

وأما (أبو تمام)؛ فهو حبيب بن أوس الطائي، من أشهر شعراء عصره، ومن أوسعهم علمًا ورواية، وقد نشأ في الشام فقيرًا، ثم رحل إلى مصر في حداثته، وتردَّد على جامع عمرو بن العاص؛ يسقي الماء ويسمع من العلماء، وصار مشغوفًا بالشعر مشغولًا بدراسته، حتى قيل: إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع، ولمع نجمه حين اتصل بالمعتصم وحين استعمله الحسن بن وهب على بريد المَوْصِل.

ومع سَعة علمه بالشعر، فقد كان متبحرًا في كثير من العلوم؛ فقد قال الحسن بن رجاء عنه: ما رأيتُ أعلمَ بكل شيء منه، وقال البحتري: لو رأيتَ أبا تمام الطائي، لرأيتَ أكملَ الناس عقلا وأدبا، وعلمت أن أقلَّ شيء فيه شعرُه!

ولأبي تمام عدد قليل من المؤلفات؛ أشهرُها المختارات المشهورة باسم (ديوان الحماسة)؛ التي يقول عنها الآمدي: (فهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ..

وأنه ما فاته كبير شيء من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث، إلا قرأه).

ويروي ابن المعتز عن محمد بن قدامة أنه قال: (دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرِق فيه، فما يكاد يرى، فوقفت ساعة لا يعلم بمكاني؛ لما هو فيه، ثم رفع رأسه فنظر إلي وسلَّم علي، فقلت له: يا أبا تمام، إنك لتنظر في الكتب كثيرا وتدمن الدرس، فما أصبرَك عليها! فقال: والله ما لي إلف غيرها ولا لذة سواها). توفي أبو تمام سنة ٢٣١هـ على أرجح الروايات.

أهمية الحفظ المثمر والمحفوظات الشعرية

إن الفروق العلمية بين الحفاظ الذين يعتنون بحفظهم ويستفيدون منه وبين غيرهم ممن يكتفي بمجرد المطالعة: شاسعة إلى الغاية!

فإن كثيرًا من المعلومات لا ترد إلى الذهن –فضلا عن أن تُتقن وتَرسخ– إلا بتراكم المحفوظ واختلاط بعضه ببعض في الذهن.

ولذلك أقول دائما لإخواني: إن الحفظ المطلوب هو الحفظ المثمر لا مجرد رصِّ الحروف في الذاكرة، وإنما الحفظ الذي يولد المعلومات، فكل معلومتين محفوظتين يتولد منهما معلومة جديدة، وهكذا إذا حفظ طالب العلم مائة معلومة فقط فإن ذهنه يستطيع تلقائيا أن يولد منها تقريبا ٥٠ ألف معلومة! هذا في التركب الثنائي فقط، فإذا أخذت معك التركب الثلاثي والرباعي وما فوق، فسوف يزداد العدد كثيرا جدا.

وكثير من الناس يظن أن الحفظ لا فائدة فيه؛ لأن الكتب موجودة ويسهل الرجوع إليها، ولا سيما بعد الإنترنت والشاملة وغيرها من وسائل البحث الإلكترونية.

وهذا ظن بعيد تماما عن الصواب؛ لأن الحافظ يستطيع استخراج معلومات كثيرة جدا غير منصوصة في محفوظه.

فمثلا: يستطيع الحافظ للشعر أن يعرف طبائع العرب وعاداتها، وما يكثر عندها وما يقل، ومناهجها في التشبيه والاستعارة، والمناحي التي كانت تنحو إليها في الكلام، ودرجات ذلك في القلة والكثرة، ويستطيع أن يعرف الأساليب المستعملة في العصور المختلفة، وكل هذه الأشياء وغيرها كثير جدا لا يستطيع الباحث معرفتها بمجرد استعمال وسائل البحث؛ لأنها تحتاج إلى استحضار المعنى الإجمالي العام للكلام، وهذا ما لا تؤديه وسائل البحث.

قد تجد شاعرا يفتخر بأنه يبش في وجه الضيوف، ويعطيهم ما عنده، وآخر يصف إقدامه في الحرب وقدرته على منازلة الأعداء، وثالثا يذكر مودته لصديقه ونحو ذلك.

ولكن كيف تعرف أن هذه الأخلاق كانت شائعة بينهم لا يكادون يختلفون فيها، ويذمون من يخالفها؟

لا يمكنك أن تعرف ذلك –غير ادعاء– إلا بالحفظ والاستحضار.

من الأمثلة التي تحضرني في ذلك أن أكثر الناس لا يكاد يستعمل وصف (المبرِّح) إلا في الضرب، يقال «ضرب مبرح» أو «ضرب غير مبرح»، ولكن من يستحضر الأبيات المذكورة في هذا الكتاب يستطيع أن يعرف أن العرب تستعمل هذا الوصف في أشياء أخرى!

فهذا عروة بن الورد يقول:

تنـالوا الغِنـى أو تبلُغـوا بنفوسِـكم ... إلى مســـتراحٍ مِـــن حِمـــامٍ مُـــبرِّحِ

فوصف الحمام (وهو الموت) بالمبرح، وسنان بن الفحل يقول:

ولكنـــي ظُلِمـــت فكـــدتُ أبكـــي ... مِـــن الظلـــمِ المـــبرِّح أو بكيـــتُ

فوصف الظلم بالمبرح، ويقول آخر:

إذا اجتمـع الجـوعُ المـبرِّحُ والهـوى ... نسِيتَ وِصالِ الآنسـاتِ الكواعِـبِ

فوصف الجوع بالمبرح[1].

ولو لم يكن في ذلك إلا اتساعُ عقل طالب العلم، وتجنبُ الإنكار لمثل هذه الاستعمالات ببادي الرأي إن رآها في كلام غيره؛ لكفى! لأن هذه الاستعمالات مستغربة عند من لم يعرفها، وهكذا كثير من العلم مستغرب عند من لا يعرفه.

---

(١) ونظير ذلك (الغض)؛ إذ يقصره بعض الناس على البصر؛ فيقال (غض بصره)، مع أنه يستعمل في أشياء أخرى، كما في قوله تعالى: {واغضض من صوتك}، وكما في قول ابن عباس: (لو أن الناس غضوا من الثلث). وهذا يبين لك أهمية استحضار النظائر في النصوص الشرعية وغيرها.

هل كان العرب يستعينون بالنجوم في معرفة الطرق؟

الجواب في نحو قول الشاعر مادحًا غيره:

يرى الوحشةَ الأُنسَ الأنيسَ ويهتدي　　　بحيثُ اهتدت أمُّ النجوم الشوابكِ

والفُرسان الذين مارسوا الحروب وخاضوا غمارها تراهم ينصحون مَن وراءَهم ألَّا يتهيبوا الحرب، وأن الموت لا يأتي إلا مرة واحدة، وهذا المعنى شائع عندهم. كما قال طرفة بن العبد:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى　　　وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي　　　فدعني أبادرها بما ملكت يدي

وقال قطري بن الفجاءة:

لا يركنن أحد إلى الإحجام　　　يوم الوغى متخوفا لحمام

وقال أيضا:

أقولُ لها وقد طارتْ شَعاعا　　　من الأبطال ويحكِ لن تُراعي

فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ　　　على الأجل الذي لك لم تُطاعي

وقال الحصين المري:

تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد　　　لنفسي حياة مثلَ أن أتقدما

وقال عمرو بن الإطنابة:

أبــت لي عفتــي وأبــى بلائــي وأخــذي الحمــد بــالثمن الــربيح
وقــولي كلــما جَشَــأت وجاشــت مكانَــك تحمــدي أو تســتريحي

وقال المتلمس:

ألــم تــرَ أن المــرءَ رهــنُ منيَّــةٍ صريعٌ لعافي الطير أو سوف يُرمَسُ
فــلا تَقْــبَلنْ ضيمًــا مخافــة مِيتــةٍ ومُــوتَنْ بهــا حُــرًّا وجلــدُك أملــسُ

وكيف يعرف الباحث أن العرب كانت تُوصي بالتناصر والتحزُّب، ولو كان مولاها ظالما؟ كما قال الشاعر:

فــلا تخــذل المــولى وإن كــان ظالمــا فــإن بــه تُثــأى الأمــور وتُــرأب

وقال آخر:

لا يســألون أخــاهم حــين ينــدبهم في النائبــات عــلى مــا قــال برهانــا

وقال غيره:

إذا استُنجدوا لم يَسألوا من دعاهمُ لأيــةِ حــربٍ أم بــأيِّ مكــانِ

وقال غيره:

إني لــمن معشــر أفنــى أوائلَهــم قــولُ الكمــاة ألا أيــن المحامونــا

وقال خالد بن نضلة:

لعمـري لـرهط المـرء خـيرٌ بقيـة ... عليـه وإن عـالَوا بـه كـل مركـب

من الجانب الأقصى وإن كان ذا غنى ... جزيـلٍ ولم يخـبرك مثـلُ مجـرب

وكيف يعرف الباحث أنهم كانوا يعدون الهشاشة في وجه الضيف والحديث معه من القِرى؟ كما قال الشاعر:

أيسـفر وجهـي أنـه أول القِـرى ... وأبـذل معـروفي لـه دون منكـري

وقال غيره:

إن الحـديث طَـرَفٌ مـن القـرى ... ثـم اللحـافُ بعـد ذاك في الـذَّرى

وقال غيره:

أحدثـه إن الحـديث مـن القـرى ... وتعلـم نفسـي أنـه سـوف يهجـع

... إلخ

ومن يعرف أنهم كانوا يعدون الجياد من الخيل أكبرَ زادهم، ويَفْدُونها بالنفس والنفيس؟ كما قال الشاعر:

أبيـت اللعـن إن سـكاب عِلْـق ... نفـيس لا تعـار ولا تبـاع

مفـداة مكرمـة علينـا ... يجـاع لهـا العيـال ولا تجـاع

وقال غيره:

نقفو الجياد من البيوت ومن يبع   فرسا فليس جوادنا بمُباعِ

وقال المقنع الكندي:

وفي فرسٍ نهد عتيقٍ جعلتُه   حجابًا لبيتي ثم أخدمتُه عبدا

ومن يعرف أنهم كانوا يعُدُّون خدمة الضيف مكرُمة، وإن كان فاعلُ ذلك يُشبِهُ العبد؛ قال الشاعر:

لعمر أبيكِ الخير إني لخادم   لضيفي وإني إن ركبت لفارس

وقال غيره:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا   وما فيَّ إلا تلك من شيمة العبد

وقال غيره:

وإني لعبد الضيف ما دام نازلا   وما شيمةٌ لي غيرها تشبه العبدا

فكل الأمثلة السابقة، وغيرُها كثير؛ تندرج تحت المعاني الذهنية التي لا يمكنُ البحثُ عنها بألفاظ معينة؛ فمهما كانت وسائلُ البحث متاحة أمام الباحث، فإنه لا يستطيع أن يصل إليها عن طريق البحث البرمجي؛ لأنه بحث لفظي مجرد، لا يعتمد على فهم المعنى.

وأما إذا أتينا إلى الألفاظ والتعبيرات والاستعمالات فحدث ولا حرج!
فكيف يعرف الباحث أن هذه الكلمة أكثر شيوعا عند العرب من تلك؟!
وكيف يعرف أن هذا التركيب لديهم أوسع استعمالا من تركيب آخر؟
وكيف يعرف أن كثيرا من التعبيرات التي نجهلها اليوم أو نستهجنها كانت معروفة في كلامهم؟

لو قيل للواحد منا اليوم: اذكُر شاهدًا واحدًا على كذا وكذا، فلن يستطيع! فإذا كان لا يعرف شاهدًا واحدًا على الكلمة، فكيف يستطيعُ الحكم بالكثرة والقلة؟! هذا يحتاجُ إلى الحفظ والاستحضار لعشرات الشواهد أو أكثر، حتى يستطيع العاقلُ أن يعقِدَ موازنةً مقبولة تكون مبنية على استقراء وإن قلَّ.

وينبغي أن يكون مثل هذا الكلام مفهومًا وواضحًا عند أصحاب بعض التخصصات.
فمثلا المتخصصون في علم التفسير يجدون في كتبهم كثيرًا من الأشعار والشواهد التي يستشهد بها المفسرون[1]، فإن لم يكن هذا دليلًا واضحًا على أهمية حفظ هذه

(١) قد يقع بعض الاختلاف في رواية الأشعار عن رواية الحماسة، ولن أنبه على ذلك فيما يأتي.

الأشعار والعناية بها في صلب تخصصهم، فما الدليل؟

فالإمام الطبري مثلا في تفسيره استشهد بكثير من أشعار العرب، ومنها ما هو في ديوان الحماسة؛ كمثل قول الشاعر:

غـلام رمـاه الله بالحسـن يافعـا ... لـه سـيمياء لا تشـق عـلى البصـر

وقد كرر الطبري هذا البيت في تفسيره ثلاث مرات.

ونحو قول الشاعر:

مـن كـان مسـرورا بمقتـل مالـك ... فليـأتِ نسـوتنا بوجـه نهـار

ونحو قول الشاعر:

مهـلا بنـي عمنـا مهـلا موالينـا ... لا تظهـرن لنـا مـا كـان مـدفونا

ومنها قول الراجز:

قـد لفهـا الليـل بسـواق حُطَـم ... لـيس براعـي إبـل ولا غـنم

هذا فضلًا عن الشواهد التي ذكرها من المعلقات؛ فهي كثيرة بالعشرات.

والمتخصصون في أصول الفقه كثيرًا ما يجدون علماء الأصول يستشهدون ببعض أشعار العرب، ولبعض المعاصرين كتاب مفرد في الشواهد الأصولية[1]، وقد

(١) وهو كتاب: توظيف الشواهد الشعرية عند الأصوليين في ميزان الحجج والدلائل؛ أ.د. عبد الله البشير.

قرأته فوجدت فيه كثيرًا من أبيات الحماسة؛ فمن ذلك قول الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

وقول الشاعر:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وهو من قصيدة أصمعية أيضًا.

وقول الشاعر:

يا أيها الراكب المزجي مطيته ... سائل بني أسد ما هذه الصوتُ

وقول الشاعر:

أشاب الصغير وأفنى الكبيـ ... ـر كَرُّ الغداة ومر العشي

وغير ذلك كثير، هذا فضلا عن أبيات المعلقات وغيرها.

وأما شروح كتب الحديث فكثيرًا ما تجد فيها استشهادات العلماء بالأشعار والشواهد؛ للاستعانة بها في شرح الأحاديث وبيانها، ومن أشهر هذه الكتب: (الاستذكار) لابن عبد البر[1]، في شرح الموطأ.

ومن أبيات الحماسة التي ذكرها فيه:

أأطلب حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

---

(١) كان ابن عبد البر، مع سعة علمه بالحديث وعلوم الشريعة؛ عالما بالشعر والأدب والأخبار، وله في ذلك كتاب نفيس؛ وهو كتاب (بهجة المجالس).

إذا أثنـــى عليــك المــرءُ يومـــا   كفـــاه مـــن تعرضـــه الثنـــاء

ومنها أيضًا:

كــأن القلــب ليلــة قيــل يُغــدى   بلــــيلى العامريـــــةِ أو يُـــــراح

قطـــاةٌ عزَّهـــا شركٌ فباتـــت   تجاذبـــه وقـــد علِـــق الجنـــاح

ومنها:

كـــذبتم وبيـــت الله لا تقتلونـــه   ولـمَّـــا يقـــم يـــوم أغـــر محجـــل

ومنها:

إن بالشـــعب الـــذي دون ســـلع   لقتـــــيلا دمـــــه مـــــا يُطـــــل

ومنها:

يكـاد إذا مـا أبصـر الضـيف مقبلا   يكلمـــه مـــن حبـــه وهـــو أعجـــمُ

وقد استشهد أيضا بعدد غير قليل من أبيات المعلقات.

ولم يخل الشرح العظيم (فتح الباري) للحافظ ابن حجر، أيضا؛ من بعض أشعار الحماسة؛ فمن ذلك قول الشاعر:

وإن دعـــوتِ إلى جـــلى ومكرمـــة   يومـــا سراةَ كـــرام النـــاس فادعينـــا

وقول الشاعر:

لعمـــرك مـــا أدري وإني لأوجـــل   ...

وقول الشاعر:

أبت الروادفُ والنهودُ لقُمصِها ... من أن تمس بطونها وظهورا

وقول الشاعر:

فقالوا لنا ثنتان لا بد منهما ... صدور رماح أشرعت أو سلاسل

وأما كتب الفقه، وخاصة المطولات الفقهية؛ ففيها كثيرٌ من أشعار العرب، ولكنها في الغالب تقتصرُ على الشواهد في تفسير الغريب وما كان من هذا القبيل.

فمن أبيات الحماسة ما جاء في كتاب (الحاوي الكبير) للماوردي:

لك المرباع فيها والصفايا ... وحكمك والنشيطة والفضول

وفيه أيضًا:

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا

وفيه أيضا:

أذاب الله نِقْيك في السلامى ... على مَن بالحنين تعوِّلينا

ومن أشهر متون الفقه عند الشافعية (المنهاج) للنووي، وفي شرحه (النجم الوهاج) للدميري أشعار وشواهد كثيرة؛ منها في الحماسة:

ألا رب يوم لو رمتني رميتُها ... ولكن عهدي بالنضال قديم

وفي (كفاية النبيه في شرح التنبيه) لابن الرفعة، من أبيات الحماسة:

وألمستُ كفي كفه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يُعدي

وفيه أيضا منها:

إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء

وفي كتاب (المغني) لابن قدامة كثير من الشواهد؛ بعضها من الحماسة؛ منها:

يؤنبني في الدين قومي وإنما ... تديَّنت فيما سوف يكسبهم حمدا

ومنها:

إنا بني نهشل لا ندعي لأب ... عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

ومنها:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا

إلى غير ذلك.

ومن المعتاد عند الباحثين في الدراسات المعاصرة أن يقدموا بين يدي بحوثهم: التعريف اللغوي لعنوان البحث، وإذا لم يكن للباحث أُلفةٌ بكلام العرب فقد يظن أن بعض الاصطلاحات خاص بالشرع ولا يُعرف في اللغة إلا قليلا، فمثلا: لو سألت أحدهم أن يذكر شاهدا من كلام العرب عن (التعزية) فربما لا يستطيع،

مع أن شواهد ذلك كثيرة جدا، وفي هذه الألفية فقط من ذلك عدة أبيات، وهي:

قول الأعرابي:

أقــولُ لِلــنَّفسِ تَأساءً وتَعزِيــةً   إحــدى يَــدَيَّ أصــابَتْني ولم تُــرِدِ

وقول غيره:

تَعــزَّ فــإنَّ الصــبرَ بــالحُر أجمــلُ   ولــيس عــلى رَيْــبِ الزمــانِ مُعــوَّلُ

وقول ثالث:

تعزَّيْــتُ عــن أوفَى بغَــيْلانَ بعــدَهُ   عــزاءً وجفــنُ العــينِ مَــلْآنُ مُــتْرَعُ

وقول أم السليك:

سأُعــــــزِّي الــــــنفسَ إذْ   لم تُجِــــــبْ مَــــــنْ سَــــــأَلَكْ

وأما علوم الحديث فلا تخلو من التعرض للأشعار، وخاصة في كتب التراجم وكتب السيرة، فمثلا في كتاب (الإصابة) للحافظ ابن حجر، تجد ذكر مئات الشعراء ومئات الأشعار.

فمن ذلك مثلا: الأجدع بن مالك (والد مسروق) صاحب الأصمعية:

أســـألتِني بركائـــب ورحالهـــا   ونســـيتِ قتـــل فـــوارس الأربـــاع

ومن ذلك: سحيم بن وثيل، صاحب الأصمعية المشهورة:

أنــا ابــن جــلا وطــلاع الثنايــا   متـــى أضـــعِ العمامـــة تعرفـــوني

ومن ذلك: عمرو بن معدي كرب، صاحب الأصمعية المشهورة:

أمــن ريحانــة الــداعي الســميع ... يــــؤرقني وأصــــحابي هجــــوع

بل إن الحافظ ابن حجر يذكر آراء أبي تمام أحيانا واختياراته في الحماسة وينص على ذلك. ومن أشعار الحماسة التي وردت في كتاب الإصابة:

إنــك يــا ابــن جعفــر نعــم الفتــى ... إلخ

ومنها: أبيات فرعان بن الأعرف في ابنه منازل.

ومنها: أبيات الحارث بن هشام عندما فر يوم بدر.

ومنها: أبيات الشماخ في رثاء عمر رضي الله عنه.

ومنها: أبيات حوط بن رئاب: دببت للمجد .. إلخ.

إلى غير ذلك.

وإن حفظ جمهرة كافية من كلام العرب يجعل معاني الألفاظ واضحة في قلب طالب العلم وعقله، فلا يكاد يستشكلُ آيةً ولا حديثًا، ولا يكادُ يخطئُ في فهم النصوص؛ لأنه يصير قريبًا من سليقة العرب في فهم الكلام ووضعِه مواضعَه.

فإنه إذا كان يعرفُ مثلًا قول الشنفرى أو غيره:

هنالــك لا أرجــو حيــاةً تسُــرُّني ... سَــجِيسَ الليــالي مُبْسَــلًا بــالجرائر

لا تجده يستشكل قوله تعالى: {أبسلوا بما كسبوا}

وبعض طلبة العلم ليس عنده ألفة بالفعل (ألفى)، فمن ثم يستشكل مثل قوله تعالى: {ألفَوْا آباءهم ضالين}، مع أنه كثير في كلام العرب، كما في قول الحماسي:

ألفيتَنـــــي هَـــــشَّ النـــــديِّ   بمَـــرْي قِـــدْحي أو شَـــجِيري

وقول الطرماح:

أكُـلُّ امـرئ ألفـى أبـاه مُقصِّـرًا   مُعـادٍ لأهـل المكرمـات الأوائـل

وإذا كان يعرف قول زياد الأعجم:

ومـن أنـتم إنـا نسـينا مـنَ انـتم   وريحكـم مـن أي ريـح الأعـاصر

فلن يستشكل قوله تعالى: {وتذهب ريحكم}

وإن كان يحفظ قول قيس بن عاصم:

إني امـــرؤ لا يعـــتري خُلُقـــي   دَنَـــسٌ يُفنِّـــده ولا أفـــنُ

فلن يتوقف في معنى قوله تعالى: {لولا أن تفنِّدون}

وقوله تعالى: {رفع سَمْكها فسواها}؛ يظهر معناه ويتضح موضع الخطأ الذي يقع للناس في فهمه إذا كان القارئ حافظا وواعيا لمثل قول الشاعر:

فأمـــا بيـــتُكم إن عُـــدَّ بيـــتٌ   فطـال السَّـمْكُ واتسـع الفنـاءُ

وقوله تعالى: {فلا يخاف ظلما ولا هضما}، يكون واضحا مألوفا مفهوما سائغا إذا كان قارئُه يعرف مثل قول الشاعر:

وما أنـا في حقي ولا في خصومتي   بمُهتضَـمٍ حقـي ولا قـارع قـرني

ومثل ذلك كثير جدًّا، وهذه مجرد نماذج يسيرة بحسب ما حضر، وأنصحُ القارئ أن يجرب بنفسه وسيجدُ العجب.

وأما النحو مثلا؛ فيحضرني من ذلك ما درسناه جميعًا من استعمال (ذو) بمعنى (الذي)، فلو قيل لطالب العلم: اذكر شاهدًا على ذلك، فلعله لا يتذكر، أو لعله يقول: إن هذا الاستعمال أُميت في كلام العرب!

مع أنَّ في الحماسة عدةَ شواهد على ذلك؛ منها قول الشاعر (قوال الطائي):

قُولا لـهذا المـرء ذو جـاء سـاعيا	هلُـمَّ فـإنَّ المشـرفيَّ الفرائـضُ

وقول آخر (سنان بن الفحل):

فـإن المـاء مـاء أبي وجـدي	وبئـري ذو حفـرتُ وذو طويـتُ

وقول آخر (منظور بن سحيم):

فإمَّـا كـرامٌ مـوسرون أتيـتهم	فحَسْبي مـن ذو عنـدهم مـا كفانيـا

وقول آخر (عارق الطائي):

لـئن لم تغـيرْ بعـضَ مـا قـد صـنعتم	لأنتحـينْ للعظـم ذو أنـا عارقُـه

هذا فضلًا عن مقدار الثروة اللفظية من الألفاظ المتقاربة والمترادفة وغير ذلك مما يجعل الكاتب يمتلك زمام الكلام ويتخير ما يروقه بسهولة، فمثلا: من الكلمات

التي لها مرادفات كثيرة في كلام العرب: (الأَصْل)؛ إذ يقال فيه (الضِّئضِئ) كما في حديث الخوارج، ويقال له (السِّنْخ)، و(الجُرثُومة) كما في قول صفية الباهلية:

كنا كغصنين في جُرثُومة سَمَقا يومًا بأحسن ما يسمو به الشجر

ويقال له (الأَرُومة)، كما في قول أبي الطمحان:

فإنَّ بني لَأْمِ بنِ عَمْرٍو أرُومةٌ سَمَتْ فوقَ صَعْبٍ لا تُرامُ مَرَاقِبُهْ

ويقال له (الخِيم) و(الضريبة)، وقد اجتمعا في قول القتال الكلابي:

كريم جليد خِيمُه وطباعه على خير ما تبنى عليه الضرائب

ويقال له (الأَثْلة) كما في قول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

مهلا بني عمنا عن نحت أَثْلَتِنا سِيروا رويدًا كما كنتم تسيرونا

ويقال له (النِّجَار) كما في قول الشاعر:

إنَّ البيوتَ معادِنٌ فنِجَارُهُ ذهَبٌ وكلُّ بيوتِه ضَخْمُ

وغير ذلك.

ومن المقابلات الشائعة في الشعر: مقابلة (القارح) بـ(الجَذَع)، أي الجمل الكبير والصغير؛ كما قال الشاعر:

ولَلقارحُ اليعبوب خيرٌ علالة من الجَذَع المرخي وأبعد منزعا

وقول قطري بن الفجاءة:

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جذَعَ البصيرة قارحَ الإقدام

ومن ذلك استعمال (الورَق) في الجود والإنفاق

كما قال جَزْء بن ضرار:

فقـيرهم مبـدي الغنـى وغنـيهم   لـــه ورق في الســـائلين رطيـــب

وقال بشامة بن الغدير:

إلا يكــن ورقــي غضــا أراح بــه   للســـائلين فـــإني طيـــب العـــود

إلى غير ذلك.

والمقصود بكل ما مضى هو الحفظ المثمر النافع الذي يتفاعل وينتج، وليس مجرد تراكم الكلمات ورص الحروف كما يظن كثير من الناس مع الأسف الشديد، حتى صار الناس أو أكثرهم فريقين: فريق يذم الحفظ لأنه لا يكاد يرى حافظا يستفيد من حفظه، وفريق يمدح الحفظ المجرد الذي لا فائدة فيه إلا ازدياد الركام!

وفوق كل ما سبق:

فالمحفوظات الأدبية الشعرية تفيدُ طالبَ العلم فوائدَ لا حصرَ لها، ولا سيما إن كانت معتمَدة كالحماسة، ومن عصور الاحتجاج.

فأولًا: تُعطيك جملة من الآداب والأخلاق المتنوعة التي تصلح لتهذيب النفس وتقويمها، واتباع محاسن الأخلاق واجتناب مساويها؛ كالحث على الصدق

والشجاعة والأمانة وحسن الجوار وحفظ العهد وإكرام الضيف والدفاع عن المظلوم والبعد عن المخازي، إلخ.

وثانيا: تعطيك مادة كافية للاستشهاد والاقتباس إن أردت الكلام في أي موضوع من الموضوعات المطروقة، أو أردت الخطابة أو المحاورة أو حتى المشاركة في أي مجال، فمن ذلك (عند الشدائد تذهب الأحقاد)، (وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه)، (والبغي مرتعه وخيم)، (وقد يستجهل الرجل الحليم)، (ومبلغ نفس عذرها مثل منجح)، (ونال التحية من نالها)، (وفي الغزو ما يلقى العدو المباغض)، (وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة)، (وما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا)، (إن التخلق يأتي دونه الخلق)، (وليكف من شر سماعه)، وغير ذلك كثير.

وثالثًا: تعطيك خلاصة خبرة السابقين في كيفية التعامل مع الناس، وتجنب مواطن الزلل، والأخذ بالحزم، والبعد عن المهالك والحذر من الخداع والغش.

ورابعًا: تعطيك زبدة تاريخية موجزة كأنها إطلالة على التاريخ الأدبي المتقدم، وما فيه من وقائع وأحداث، وكذلك أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.

وخامسًا: تعطيك زبدة جغرافية أيضا، لكثرة ما يرد في هذه الأشعار من المواطن والبلدان والمواضع، ولا سيما في أوائل الأبيات.

ويحضرني من ذلك قول علباء بن أرقم (أو سُلمي بن ربيعة):

حلــت تمــاضر غربــة فاحتلــت   فَلْجــا وأهلــك بــاللوى فالحِلَّــة

وقول عروة بن الورد:

أقـول لقـوم بـالكنيف تروحـوا   عشـية بتنـا عنـد مـاوان رزح

وقول غيره:

ألـم تعلـما مـا لي براونـد كلهـا   ولا بخـزاق مـن خليـل سـواكما

وقصائد الصمة القشيري وغيره في نجد كقوله:

أقـول لصـاحبي والعـيس تهـوي   بنـا بـين المنيفـة فالضـمار

تمتـع مـن شـميم عـرار نجـد   فـما بعـد العشـية مـن عـرار

إلى غير ذلك وهو كثير.

وسادسًا: تعطيك مجموعة كبيرة من أسماء الأعلام، وتعرِّفك كثيرا من المشاهير؛ لأن هؤلاء الشعراء لم يقتصروا على الشعر، فقد كان بعضهم من الصحابة؛ مثل حسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة والنمر بن تولب وعباس بن مرداس والنابغة الجعدي وغيرهم، وبعضهم كان من العلماء؛ مثل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وسالم بن وابصة، وبعضهم من الفرسان والشجعان؛ مثل عمرو بن معدي كرب (وهو صحابي أيضا) وقيس بن زهير وعروة بن الورد وعمرو بن كلثوم، وبعضهم كان من الأمراء أو الكبراء؛ مثل قيس بن عاصم، وغير ذلك كثير.

وسابعًا: تعطيك جملة كافية من الجمل والتراكيب والتعبيرات التي يمكنُك توظيفُها إن أردت الكتابة أو التأليف، وكذلك يمكنك الاستعانةُ بها في الفهم

والتفهم، والألفة بأساليب البلغاء وطرائق الكتاب والأدباء.

وثامنًا: تعطيك مادة لا بأس بها للاستدلال على ما تقول، والاحتجاج لما تريد؛ أيا كان تخصصك، ولا سيما فيما يتعلق بعلوم العربية، فمثلا: إن سئلت عن (الشحط) أهو بسكون الحاء أم بفتحها؟ فيمكنك أن تقول: يجوز الوجهان؛ فالسكون في قول الشاعر (إذا زار عن شحْط بلادك سلما)، والفتح في قول غيره (ما أقدر الله أن يدني على شحَط)، وإذا سئلت عن الألفاظ التي على وزن (تَفْعال) فيمكنك أن تقول: منها تَذْراف كما في قول الشاعر (لتذراف الدموع السوافك)، وتَزْوال في قوله (واللِّبْد لا أتبع تزواله)، وتَنْواط في قوله (وتساقط التنواط والذنبات)، وتأساء في قوله (أقول للنفس تأساء وتعزية)، إلى غير ذلك.

العلماء الذين كانوا يحفظون الحماسة أو بعضها

كثيرون؛ منهم:

١- أبو العلاء المعري: وكان أعلم أهل عصره بديوان الحماسة؛ حتى إنه حصر أوزانه وضروبه[1].

٢- صلاح الدين الأيوبي: كان يحفظ الحماسة، ويظن أن كل فقيه يحفظها، فإذا أنشد وتوقَّف، استَطعم فلا يُطعَم، وجرى له ذلك مع القاضي الفاضل، ولم يكن

(١) ينظر: الشرح المنسوب إلى المعري (١/ ٤٢).

يحفظُها، وخرج، فما زال حتى حفظها[1].

٣- القاضي الفاضل: عبد الرحيم البيساني[2].

٤- أبو الحسن البيهقي[3].

٥- أبو حيان الأندلسي: كان يحفظ ثلث الحماسة[4].

٦- ابن خلدون: المؤرخ المشهور صاحب المقدمة[5].

٧- ابن بريطع: ويتصل نسبه بالقاضي الفاضل[6].

٨- أبو الحجاج البياسي[7].

٩- البشير الإبراهيمي[8].

١٠- عبد العزيز الميمني[9].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٨٢).

(٢) ينظر: وفيات الأعيان (٧/ ٢٢٠) وثمرات الأوراق (١/ ١٢٢).

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات (٢١/ ٨٤).

(٤) ذكر ذلك في تفسيره: البحر المحيط (١/ ١٤).

(٥) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص: ٢٥١).

(٦) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٧/ ٢٨٩).

(٧) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٣٩).

(٨) ينظر: الماجريات (ص ٨٦).

(٩) ينظر: بحوث وتحقيقات عبد العزيز الميمني (١/ ٢٢).

العلماء الذين ظهرت عنايتهم بالحماسة في مصنفاتهم[1]

كثيرون أيضًا؛ منهم:

*** ابن قتيبة في عيون الأخبار وغيرِه**

يبدو أن ابن قتيبة كان له عناية بالحماسة؛ فقد وجدت في كتبه كثيرا من أبيات الحماسة؛ فمن ذلك قول الشاعر:

هينون لينون أيسار ذوو يسر ... سواس مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ... ولا يمارون إن ماروا بإكثار

ومن ذلك:

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ... ولكن أحاظٍ قسمت وجدود
فكم قد رأينا من غني مذمم ... وصعلوك قوم مات وهو حميد

ومن ذلك:

منى إن تكن حقا تكن أحسن المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا
أماني من سعدى عذابا كأنما ... سقتك بها سعدى على ظمأ بردا

ومن ذلك:

وإن فؤادا بين جنبيَّ عالم ... بما أبصرت عيني وما سمعت أذني

---

(١) بخلاف الشراح كما لا يخفى.

وفضلني في الشعر واللب أنني أقول على علم وأعلم ما أعني

ومن ذلك:

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

وغير ذلك كثير.

*** ابن جني في كثير من تصانيفه**

ابن جني له عناية كبيرة بالحماسة؛ وله كتاب مفرد في شرح معاني أسماء شعراء الحماسة! كتاب (المبهج)، وله كتابٌ آخر؛ وهو (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة)، وكثيرًا ما يشير إلى ذلك في كتبه الأخرى؛ كالخصائص وغيره، ولعل ابن جني كان له أثر كبير في جلب وتوظيف الشواهد الشعرية من الحماسة؛ فمن الشواهد التي ذكرها قول الشاعر:

هما خطتا إما إسار ومنة وإما دم والقتل بالحر أجدر

وقول الشاعر:

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح

وقول الشاعر:

في ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلب في ظلمائها الطنبا

وقول الشاعر:

إذا نــزل الأضــياف كــان عــذَوَّرًا   عــلى الحــي حتــى تســتقل مراجلــه

إلى غير ذلك.

*** الزمخشري في أساس البلاغة وغيره**

من المعجمات اللغوية المتفردة كتاب (أساس البلاغة) للزمخشري، وقد أبان فيه الزمخشريُّ عن علم واسع وعقل واعٍ، وحرصٍ ودأب على التحصيل مع إجادة التصنيف، وقد ظهر هذا في توظيفه واستشهاده بأبيات الحماسة في كتابه (وكذلك في غيره من كتبه؛ كالكشاف والمستقصى وغيرها)، فكثيرًا ما يستشهد بأبيات الحماسة، وأحيانًا ينص على ذلك ويقول: قال الحماسي؛ كما في قول الشاعر:

إذا كنت في قوم عدى لست منهم   فكُلْ ما عُلِفت من خبيث وطيب

وقول الشاعر:

أكنيــه حــين أناديــه لأكرمــه   ولا ألقبــه والســوأة اللقبــا

وقول الشاعر:

ولا يرعــون أكنــاف الهــوينى   إذا حلُّــوا ولا روضَ الهــدون

وغير ذلك. وللزمخشري كلمة تبين مقدار الاحتفاء والإجلال الذي كان يحمله لأبي تمام وحماسته، وهي كلمة جميلة، ومن جمالها صارت مشهورة متداولة كثيرا في

البحوث اللغوية والأدبية المعاصرة؛ يقول الزمخشري عن أبي تمام[1]: «وهو، وإن كان محدثًا لا يُستشهَدُ بشعره في اللغة، فهو مِن علماء العربية، فاجعل ما يقولُه بمنزلة ما يَرويه؛ ألا ترى إلى قولِ العلماء: الدليلُ عليه بيتُ الحماسة، فيَقتنعون بذلك؛ لوُثوقهم بروايته وإتقانِه».

*** ابن الأثير في المثل السائر**

ابن الأثير في كتابه هذا من أكثر العلماء عناية واستفادة من الحماسة، ولا أبالغ إن قلت: إن ديوان الحماسة يمثل عمودًا كبيرًا من أعمدة ثقافة ابن الأثير وعلمه، واستشهاداته به كثيرة جدًّا فلا حاجة إلى التمثيل، بل إنه أحيانا يذكر بعض الكلام المنثور من إنشائه هو، ثم يقول: وهذه المعاني مأخوذة من أبيات الحماسة. ويدل على تأثره بالحماسة وعنايته بها أنه أحيانا ينسب الأبيات إليها مع أنها موجودة في الدواوين السابقة عليها وهي أشهر منها؛ مثل المفضليات والأصمعيات.

*** ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة**

مع أن ابن أبي الحديد من الرافضة، إلا أنه كان من علماء اللغة والأدب المتبحرين،

---

(١) تفسير الكشاف (١/ ٨٧)، وعنه السيوطي في: الاقتراح في أصول النحو (الإصباح) (ص: ١٢١) وخزانة الأدب (١/ ٧)، وينظر: فيض نشر الانشراح (ص ٦١٥).

وله عناية واضحة بديوان الحماسة، كما يظهر في استشهاداته الكثيرة في شرحه النفيس جدا على نهج البلاغة، واستحضاره للمعاني في ذلك عجيب، ومن ذلك قول الشاعر:

مخضت بدلوه حتى تحسى ... ذنوب الشر ملأى أو قرابا

وقول الشاعر:

لهم جل مالي إن تتابع لي غنى ... وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا

وقول الشاعر:

سأشكر عمرا ما تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وإن هي جلت

وقول الشاعر:

تقول وصكت صدرها بيمينها ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

وكثيرا ما ينص على ذلك ويقول مثلا: ومن الحماسة كذا وكذا.

*** ابن عاشور في تفسيره وباقي كتبه**

من أشهر المفسرين المعاصرين وأعظمهم: العلامة ابن عاشور، صاحب (التحرير والتنوير)، ولا أبالغ إن قلت: إن تفسيره هو أشهرُ التفاسير المعاصرة وأنفَسُها، ولا أعرف تفسيرًا معاصرا تناولته الدراساتُ الأكاديمية فوق هذا التفسير، بل إن الدراسات التي تناولته تزيد عن بعض التفاسير القديمة المشهورة.

ومع أن تآليف أي عالِمٍ وتصانيفه هي نتاج مجمل ثقافته وتحصيله، وابن عاشور لا يخرج عن هذه المقدمة الواضحة، إلا أن ديوان الحماسة (مع شروحه، وخاصة شرح المرزوقي) كان لبنة أساسية من لبنات ثقافة ابن عاشور وأساسه العلمي الذي اعتمد عليه كثيرا في تآليفه وخاصة تفسيره النفيس، وقد كان ابن عاشور إمامًا في البلاغة نظريًّا وتطبيقيًّا، وكان له عناية شديدة بشرح المرزوقي[(١)] وهو مخطوط من قبل أن يطبع!

شواهد الحماسة

المتخصصون في النحو لا يخفى عليهم ما يتكرر كثيرًا في الكتب النحوية وما أشبهها من قولهم: (قال الحماسي) ونحوه؛ إشارة إلى الشواهد التي يُستفاد منها في القواعد النحوية فضلًا عن فوائدها اللغوية والأدبية، وقد تجد مثل ذلك أيضًا في كتب التفسير وشروح الحديث والمطولات الفقهية.

فمن ذلك قول الشاعر:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا   شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

يستشهدون به على استعمال الباء للبدل.

---

(١) أقولها نصيحة لطلبة العلم: إن شرح المرزوقي لديوان الحماسة: تُحفة علمية وفنية، ودُرة لغوية وأدبية، ولو أنفق طالبُ العلم من وقته سنةً كاملة في دراسته والعناية به لما كان كثيرًا عليه.

ومن ذلك قول الشاعر:

لعمـــرك مـــا أدري وإني لأوجـــل   عـــلى أينـــا تعـــدو المنيـــة أولُ

يستشهدون به على بناء (أول) على الضم لقطعه عن الإضافة.

ومن ذلك قول الشاعر:

مـــن صـــد عـــن نيرانهـــا   فأنـــا ابـــن قـــيس لا بـــراحُ

يستشهدون به على إعمال (لا) عمل (ليس).

وغير ذلك كثير، لا أريد الإطالة به[١].

(١) وسوف أفرد -إن شاء الله تعالى- ألفية مختارة لأهم الشواهد النحوية.

وختامًا:

هذه ألفية الحماسة، أرجو أن يستفيد منها طلبة العلم وأهله على اختلاف تخصصاتهم، وأرحب بأي ملاحظة أو تنبيه، فالمؤمن مرآة أخيه، وأشكر كل من أفادني بالتوجيه أو التصحيح، ومنهم الأستاذ (**تركي الغنامي**) الذي كان له ملاحظات وفوائد غاية في النفاسة، والأستاذ (**إبراهيم السديس**) الذي تفضل مشكورا بمراجعة الكتاب كاملا وأفادني فوائد كثيرة، وفضيلة الدكتور (**عبد الرحمن بن معاضة الشهري**) الذي تكرم مشكورا بالاطلاع على الكتاب والتقديم له، والدكتور (**محمد أجمل الإصلاحي**) الذي تفضل بالنظر في الكتاب وأشار بحذف بعض المقاطع وإضافة غيرها، فجزاهم الله خيرا كثيرا.

للتواصل:

أبو مالك العوضي: حسابي في تويتر: abomalekalawady@

بريدي الإلكتروني: abomalekalawady@gmail.com

ألفية الحماسة

(باب الحماسة)

(١)

قال بعضُ شُعَراءِ بَلْعَنْبَرِ[١]:

لـو كنتُ مِن مازنٍ لم تَسْتبِحْ[٢] إبِلِي ... بَنُـو اللَّقِيطـةِ[٣] مِـن ذُهْـلِ بـنِ شَـيْبانَا
إذَنْ لَقـامَ بنَـصْري مَعْشَـرٌ خُشُـنٌ ... عنـدَ الحَفِيـظةِ إنْ ذو لُوثـةٍ[٤] لَانَـا
قَـوْمٌ إذا الشَّـرُّ أبْـدَى ناجِذَيْـه لهـم ... طـارُوا إليـه زَرَافـاتٍ[٥] ووُحْـدانَا
لا يَسْـألونَ أخـاهم حِـينَ يَنْـدُبُهُمْ[٦] ... في النائبـاتِ عـلى مـا قـال بُرْهانَـا

---

(١) اسمه: قُرَيط بن أُنَيف. وفي هذه القطعة يعيِّر الشاعر قومَه أنهم لم ينصروه عندما ظُلم من قِبَل الذين أخذوا إبله، ويقول: إن قومه ليسوا مثل بني مازن الذين عرفوا بالعصبية الشديدة في النصرة، وغرضُ الشاعر من ذلك أن يثير غضب قومه على من ظلموه ويحثهم على الانتصار له.

وقد وضعتُ فوق كل قطعة مختارة: (رقمَها) بين قوسين، بحسب طبعة هارون لشرح المرزوقي [دار الجيل، سنة ١٤١١هـ]؛ ليسهل الرجوع إليها لمن أراد، وليسهل الإحالة عليها في الحواشي.

(٢) لنتذكر (الإباحة) في الفقه وأصول الفقه، و(الاستباحة) في التيمم ونحوه.

(٣) ذكر أبو محمد الأعرابي (وهو: الأسود الغندجاني) أن الصواب (بنو الشقيقة).

(٤) الحفيظة: الغضب لما يجب حفظه. لوثة (بضم اللام): أي ضعف واسترخاء.

(٥) زرافات (بفتح الزاي): أي جماعات.

(٦) أخاهم: أي الواحد منهم، ولنتذكر {أخوهم نوح} ونظائره، وفي حديث ابن عمر «يا أخا الأنصار». يندبهم: أي يدعوهم؛ وقد اشتهر استعمال الندبة في الدعوة إلى الإغاثة والنصرة، وهذا البيت يستشهد به كثير من العلماء عند تعريف (المندوب).

لكــنَّ قَـوْمي وإنْ كـانوا ذَوِي عَـدَدٍ لَيْسُـوا مِـنَ[1] الشـرِّ في شـيءٍ وإنْ هانَـا

يَجْزُون مِن[2] ظُلـمِ أهلِ الظلـمِ مَغفِـرةً ومِــنْ إسـاءةِ أهــلِ السُّـوءِ إحسـانَا

كــأنَّ ربَّــك لم يَخــلُقْ لِخَشْيــتِه سِـواهُمُ مِـن جميـعِ النـاسِ إنسـانَا

(٢)

وقال شَهْلُ بنُ شَيْبانَ الزِّمَّانيُّ[3]:

صَفَحْـنا عـن بَنِـي ذُهْـلٍ وقُلنـا: القَـوْمُ إخـوانُ

عَسَـى الأيَّـامُ أن يَرْجِعْـ ـنَ قومًـا كالـذي كـانُوا

فلمَّـا صَـرَّحَ الشَّـرُّ فأمْسَـى وهْـو عُرْيـانُ

ولم يَبْـقَ سِـوَى العُـدْوا نِ؛ دِنَّـاهُمْ[4] كمـا دانُـوا

(١) استعمال (من) هنا نظيرُ قول النبي ﷺ للمغيرة: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلستُ منه في شيء».

(٢) المراد بـ(من) هنا: معنى المقابلة والعوض؛ كما في قوله تعالى: {أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة}.

(٣) جاهلي قديم، وكان شاعرًا وفارسًا معمرًا، وليس في العرب (شهل) غيره، ويلقب بـ(الفِنْد) ومعناه: القطعة العظيمة من الجبل. وفي هذه القطعة يقرر الشاعر أن العفو والحلم وإن كان حسنا جميلا، ولا سيما مع الإخوان، إلا أن بعض الناس لا يناسبه إلا الشدة والحزم حتى يخضع للحق.

(٤) أي جزيناهم بما فعلوا، وهو من شواهد (الدين) بمعنى الجزاء؛ كما في {مالك يوم الدين}.

مَشَــــيْنا مِشْــــيةَ اللَّيْــــثِ غَـــدَا والليـــثُ[1] غَضْـــبانُ

بضَـــرْبٍ فيـــه تَوهِـــينٌ وتَخْـــضيعٌ[2] وإقْـــرانُ[3]

وطَعْـــنٍ كَـــفَمِ الـــزِّقِّ غَـــذَا[4] والـــزقُّ مَـــلْآنُ

وبَعْـضُ الحِلْـمِ عنـد الجَهْـــلِ لِلذِّلَّـــةِ إذْعـــانُ

وفي الشَّـــرِّ نَجَـــاةٌ حِيـــنَ لا يُنْجِيـــكَ إحســـانُ

---

(١) كرر ذكر (الليث) بدلا من استعمال الضمير؛ لأن المقام مقام تهويل وتعظيم وإخافة؛ كما في قوله تعالى: {الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة}، وسوف يكرر ذكر (الزق) أيضًا فيما يأتي.

(٢) التخضيع: من الخضعة؛ وهي اختلاط الصوت في الحرب.

(٣) الإقران: الإطاقة؛ ومنه قوله تعالى: {وما كنا له مقرنين}.

(٤) غذا: أي سالَ.

(٣)

وقال أبو الغُولِ الطُّهَويُّ[١]:

فَـدَتْ نَفْسـي ومـا مَلَكـتْ يَمِينـي فَـوارِسَ صَـدَّقُوا فـيهم ظُنُـوني[٢]

فـوارسُ لا يَمَلُّـون المَنَـايَا إذا دارتْ رَحَـى الحَـرْبِ الزَّبُـونِ[٣]

ولا يَجْـزُونَ مِـن حَسَـنٍ بسَـيْءٍ[٤] ولا يَجْـزُونَ مِـن غِلَـظٍ بِلِـينِ

ولا تَـبْلَى بَسَـالتُهم وإنْ هُـمْ صَـلُوا[٥] بالحـربِ حِينًا بعـدَ حِـينِ

هُـمُ مَنَعُـوا حِـمَى الـوَقَبَى[٦] بضَـرْبٍ يُؤلِّـفُ بـين أشْـتاتِ المَنُـونِ[٧]

---

(١) شاعر إسلامي من الدولة الأموية المروانية، والغول: بضم الغين؛ يطلقه العرب على كل داهية؛ كالجن والشياطين والحيات، والطهوي: نسبة إلى بني طُهَيَّة. وفي هذه القطعة يمدح الشاعر هؤلاء الفوارس الشجعان؛ الذين كانوا عند حسن ظنه في البسالة والنصرة، ويذكر أنهم انتصروا على أعدائهم في الحرب التي قامت بينهم بسبب نزاعهم على ماء (الوقبى).

(٢) يروى أيضًا (صَدَّقت) و(صُدِّقت)، وهذا يذكرنا بقوله تعالى: {ولقد صدق عليهم إبليس ظنه}.

(٣) الزبون: من الزَّبْن وهو الدفع؛ وفيه معنى الشدة والقوة، ومنه سمي {الزبانية}.

(٤) بتخفيف ياء (سيء) والمعنى واحد؛ مثل: هيِّن وهَيْن، وليِّن ولَيْن، وميِّت ومَيْت، وهو باب مطرد.

(٥) لنتذكر {لا يصلاها}، {وتصلية جحيم}، {أولى بها صليا}.

(٦) الوقبى: ضبطه في معجم البلدان بفتح القاف، وضبط في شرح المرزوقي بسكونها، وهو ماء على طريق المدينة من جهة البصرة. وأصل (الحِمَى) ما يُحمَى أي يُمنَع، ولنتذكر «من حام حول الحمى».

(٧) أشتات: جمع شَتٍّ؛ وهو الشيء المتفرق. والمنون: الموت.

فنكَّـــبَ عـــنهُمُ دَرْءَ[1] الأعـــادي	وداوَوْا بالجُـــنونِ مِـــنَ الجُـــنونِ[2]
ولا يَرْعَـــوْنَ أكْنـــافَ الهُوَيْـــنَى[3]	إذا حَلُّـــوا، ولا أرضَ الهُـــدُونِ[4]

(٥)

وقال جَعْفَرُ بنُ عُلْبَةَ الحارثيُّ[5]:

لا يَكشِـفُ الغَمَّـاءَ[6] إلا ابْـنُ حُـرَّةٍ	يَرَى غَمَرَاتِ[7] المَوْتِ ثُمَّ[8] يَزُورُها
نُقاسِـمُهُمْ أسْـيَافَنَا شَـرَّ قِسْـمةٍ:	فَفِينـا غَوَاشِـيها[9]، وفـيهم صُـدُورُها

---

(١) نكب: أي أبعد. درء: أي اعوجاج.

(٢) هذا من باب المقابلة؛ كقولهم: لا يفل الحديد إلا الحديد، ويذكرنا بقوله تعالى: {فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه}، {وجزاء سيئة سيئة مثلها}.

(٣) الهوينى: تصغير (الهُونَى)؛ بمعنى السكون واللين.

(٤) الهدون: الصلح؛ نحو معنى: الهدنة والمهادنة.

(٥) كان فارسًا مشهورًا بالشجاعة، وأشعارُه قليلة، غزلية. قُتل سنة ١٤٥هـ، بسبب دم كان يُطلب به.

(٦) الغماء: بمعنى المصيبة أو الشدة أو النازلة.

(٧) الغمرات (بفتح الميم): جمع غمرة (بسكون الميم)، ولا بد من فتح الميم في الجمع، فتسكينها من الأخطاء الشائعة؛ قال تعالى: {في غمرات الموت} {واتبعوا الشهوات} {من همزات الشياطين}.

(٨) ذكر الزمخشري أن (ثم) هنا للاستبعاد؛ نظير قوله تعالى: {ثم أعرض عنها}، و{ثم يصر مستكبرا}.

(٩) الغواشي: القوائم، أو الأغماد.

(٦)

وقال أيضًا (جعفرُ بنُ عُلْبَةَ الحارثيُّ)(١):

هَـوَايَ مَـعَ الرَّكْـبِ اليَمَـانِينَ(٢) مُصْعِدٌ   جَنِيـبٌ وجُثْمـانِي بِمَكَّـةَ مُوثَـقُ
عَجِبْتُ لِمَسْـرَاها وأنَّـى تَخَـلَّصَتْ(٣)   إليَّ، وبـابُ السِّجْـنِ دُونِيَ مُغْلَـقُ
أَتَتْنَـا فحَيَّـتْ، ثـمَّ قامَـتْ فوَدَّعَـتْ   فلَمَّـا تَوَلَّـتْ كـادَتِ النَّـفْسُ تَزْهَـقُ
فـلا تَحْـسَبي أنِّي تَـخَشَّعْتُ(٤) بَعْـدَكمْ   لِشَـيْءٍ، ولا أنِّي مِـنَ المَـوْتِ أَفْـرَقُ
ولا أنَّ نَفْسِـي يَزْدَهِيـها(٥) وَعِيـدُكُمْ   ولا أنَّنـي بالمَشْـيِ في القَيْـدِ أَخْـرَقُ(٦)

---

(١) هذه القطعة من أشهر أبيات هذا الشاعر، ولعله بها اشتهر؛ لجودتها. وفيها يصف حاله في السجن، وصبره عليه، والمشاعر التي كانت تنتابه وتلم به آنذاك؛ كحنينه إلى حبيبته وشوقه إليها.

(٢) اليمانين: بياء غير مشددة؛ جمع يمانٍ نسبة إلى اليمن، وهذه أفصح اللغات. ومعنى البيت: قلبي وهواي راحل مع الركبان الذاهبين نحو اليمن، منضم إليهم، وأما بدني فهو مقيد بالحبس في مكة.

(٣) المسرى: السير، والضمير عائد على غير مذكور، والمقصود به خيال محبوبته. والتخلص: الوصول؛ يتعجب من وصول خيال محبوبته إليه وهو في سجن مغلق.

(٤) التخشع: معناه المبالغة في الخضوع، ويقال: إن الخشوع في البصر، والخضوع في البدن. وهذا البيت هو سبب نفاسة هذه القطعة وتقديمها على غيرها.

(٥) يزدهيها: أي يستخفها؛ وهو معطوف على ما قبله؛ أي: لا تظني أن التهدد يؤثر في نفسي.

(٦) يروى: أخرَق بفتح الراء؛ على أنه صفة، ويروى: أخرُق بضم الراء؛ على أنه فعل. من الخُرق وهو الحمق. ومعنى هذا الشطر: لا تحسبي أنني صرت ضجرًا بسبب المشي في القيد.

وَلَكِـنْ عَرَتْنِـي[١] مِـن هَـوَاكِ صَـبَابَةٌ   كمـا كُنـتُ أَلْقَـى مِنْـكِ إِذْ أنـا مُطْلَـقُ[٢]

(٩)

وقال رَبيعةُ بنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّيُّ[٣]:

ولقـد شَـهِدْتُ الخَيْـلَ يـومَ طِـرَادِها   بسَــلِيمِ أَوْظِفَــةِ القَــوَائِمِ هَيْــكَلِ[٤]

فـدَعَوْا نَـزَالِ[٥] فكُنْـتُ أَوَّلَ نـازِلٍ   وعَــــلَامَ أَرْكَبُــــهُ إذا لم أَنْــــزِلِ

وأَلَــدَّ ذِي حَنَــقٍ عَــلَيَّ كأنمَّــا   تَغْــلِي عَــدَاوَةُ صَــدْرِه في مِرْجَــلِ[٦]

أَرْجَيْتُــهُ عنِّــي فأَبْصَــرَ قَصْــدَهُ   وكَوَيْتُــه فــوقَ النَّواظِـرِ مِــنْ عَــلِ[٧]

---

(١) عراه يعروه: أي أصابه وغشِيَه وألَمَّ به.

(٢) مطلق: أي غير مقيد (محبوس) في هذا السجن، وهذا يذكرنا بـ(المطلق والمقيد) في الأصول.

(٣) من شعراء مضر المعدودين، وهو شاعر مخضرم، شهد القادسية وغيرها. وله قصائد منتخبة في المفضليات والأصمعيات، منها (تذكرت والذكرى تَهِيجُكِ زينبا) وهي فيهما جميعا.

(٤) الطراد: حمل الفرسان بعضهم على بعض. والهيكل: الضخم. والمعنى: لقد حضرت الفرسان عند المطاردة بفرس طويل لا عيب في قوائمه.

(٥) نزال: اسم فعل بمعنى (انزل).

(٦) الألد: الشديد الخصومة. المرجل: القِدْر.

(٧) أرجيته: أخرته، ولنتذكر {ترجي من تشاء}. ومعنى الشطر الثاني: ضربته بالسيف فوق رأسه، وهو مُدبِرٌ عني، وعبر بقوله (كويته) كأنه يقول: وسَمْتُه بسِمَةٍ من الذل اشتَهَر بها ولم يُمكِنْه إخفاؤها.

(١٠)

وقال سَعْدُ بنُ ناشِبٍ التَّمِيميُّ[١]:

سَأغْسِلُ عنِّي العارَ بالسَّيْفِ جالِبًا ... علَيَّ قَضَاءُ اللهِ ما كانَ جالِبَا

وأَذْهَلُ عن داري وأَجْعَلُ هَدْمَها ... لِعِرْضِيَ مِن باقي المَذَمَّةِ حاجِبَا

ويَصْغُرُ في عَيْنِي تِلَادِي[٢] إذا انْثَنَتْ ... يَمِيني بإدراكِ الذي كُنتُ طالِبَا

فإنْ تَهْدِموا بالغَدْرِ داري فإنَّها ... تُراثُ كريمٍ لا يُبالي العَواقِبَا

أخي عَزَمَاتٍ لا يُرِيدُ على الذي ... يَهُمُّ به من مَقْطَعِ[٣] الأمرِ صاحِبَا

إذا هَمَّ لم تُرْدَعْ عزيمةُ هَمِّهِ ... ولم يأتِ ما يأتي مِنَ الأمرِ هائِبَا

فيا لَرِزامٍ رَشِّحوا بي مُقدِّمًا[٤] ... إلى الموتِ خوَّاضًا إليه الكَتائِبَا

إذا هَمَّ ألقَى بين عينيه عَزْمَهُ ... ونكَّبَ عن ذِكْرِ العواقِبِ جانِبَا[٥]

ولم يَسْتَشِرْ في أمرِه غيرَ نفسِه ... ولم يَرْضَ إلا قائمَ السَّيْفِ صاحِبَا

---

(١) شاعر إسلامي، من بني مازن، وسبب الأبيات: أنه أصاب دمًا وهرب، فطلبه الأمير (بلال بن أبي بردة) فلم يجده، فأمر بهدم داره بالبصرة، فقال هذا الشعر.

(٢) التلاد: المال القديم، كالتليد والتالد (ضد الطريف والطارف)، وإنما خصه لأن النفس بمثله أضنُّ.

(٣) مقطع الأمر: أي فصله والخروج منه، ويروى (من مُفظِع).

(٤) معنى البيت: يا بني رزام، هَيِّئوا بي رجلًا يتقدمُ إلى الموت ولا يَحِيدُ عنه، مقتحمًا الجيوشَ والشدائدَ، غير متنكِّب ولا حائد. ومقدما: بكسر الدال؛ من قَدَّم بمعنى تقدم. ويروى (مقدَّمًا) و(بيَ مُقْدِمًا).

(٥) أي: يقتحم الأمور مستبدا برأيه بلا اكتراث (وهذا يخالف صنيع الحكماء كما لا يخفى).

(١٣)

وقال آخَرُ، ويُقالُ إنها لتأبَّطَ شرًّا [١]:

إني لَمُــــهْدٍ مِــــن ثَنَــائي فقاصِــــدٌ ... به لابنِ عَمِّ الصِّدْقِ شَمْسِ [٢] بنِ مالِكِ

أهُــزُّ بــه في نَــدْوةِ الحَــيِّ عِطْفَــه [٣] ... كمـا هَـزَّ عِطْفِـي بالهِجَـانِ الأَوارِكِ [٤]

قليــــلُ التَّشَـــكِّي لِلمُهِــــمِّ يُصِـــيبُهُ ... كثيرُ الهَوَى شتَّى النَّوَى [٥] والمسالِكِ

يَظَــلُّ بمَوْمــاةٍ [٦] ويُمْسِــي بغَيرِهــا ... جَحِيشًـا ويَعْـرَوْرِي [٧] ظُهُـورَ الـمَهَالِكِ

ويَسْبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ مِن حيثُ يَنْتَحِي ... بمُنْخَــرِقٍ مِــنْ شَــدِّه المُتَــدارِكِ [٨]

---

(١) وردت في ديوانه في القسم الذي لم يختلف في نسبته إليه، وينظر تخريجها في الديوان (ص ١٤٨).

(٢) شمس: بفتح الشين؛ سَمَّوا باسم الشمس، كما سموا باسم البدر والهلال، وقيل: اسمه شُمس بالضم.

(٣) عطف كل شيء: جانبه؛ قال تعالى: {ثاني عطفه}.

(٤) الهجان: أي الإبل البيض الكرام، والأوارك: أي التي رعت الأرْك، وهو نبت.

(٥) النوى: الوجهة التي ينويها، ويروى (شت) بالإفراد، وهو المتفرق.

(٦) الموماة: المفازة (الصحراء).

(٧) يعروري: أي يركب. والجحيش: المنفرد.

(٨) ينتحي: أي يقصد ويتجه، ومنخرق: أي متسع، والشد: الجري، والمتدارك: المتلاحق، وقوله (بمنخرق) متعلق بما بعده لبيان قوة الجري، كأنه قال: (يسبقهم بشديدٍ من الجري المتواصل).

إذا خـاطَ عَيْنَيْـه كَـرَى النَّـوْمِ لم يَـزَلْ		لـه كـالئٌ[1] مِـن قَلْـبِ شَـيْحانَ فاتِـكِ[2]
ويَجْعَـــلُ عَيْنَيـــه رَبِيئَـــةَ[3] قَلْبِـــهِ		إلى سَـــلَّةٍ مِـــن حَـــدِّ أَخْلَـــقَ باتِـــكِ[4]
إذا هَــزَّهُ في عَظْــمِ قِــرْنٍ[5] تهلَّلَــتْ		نَوَاجِــذُ أَفْــواهِ الــمَنَايَا الضَّــواحِكِ
يَرَى الوَحْشةَ الأُنْسَ الأنِيسَ ويَهْتَدِي		بحيـثُ اهتَـدَتْ أمُّ النُّجُـومِ[6] الشَّـوَابِكِ

(١) من الكلاءة؛ وهي الحفظ والرعاية؛ قال تعالى: {قل من يكلؤكم}. ومنه اشتقاق (الكالئ) أي النسيئة؛ لأنه يكون محفوظا في الذمة، أو حافظا لحق صاحبه.

(٢) الشيحان: الحذر الحازم، والفاتك: الذي يفاجئ غيره بمكروه.

(٣) الربيئة: عينُ القوم الذي يطَّلع من موضع عالٍ مترصدًا العدو. ويُروى البيت (إذا طلَعتْ أُولى العَدِيِّ فنَفْرُه..)، ورجح المرزوقي هذه الرواية.

(٤) سلة: استلال. أخلق: أملس. باتك: قاطع.

(٥) القرن: النظير، والمعنى: إذا حرَّك سيفه في عظام قرينه ضحك الموت؛ لأنه قد ظفر بهذا المضروب. وهذا البيت من الشواهد البلاغية المشهورة.

(٦) أم النجوم: الشمس، وقيل: المجرة، والمعنى أنه لا يحتاج إلى من يدله على الطريق كما لا تحتاج الشمس.

(١٤)

وقال بعضُ بني قَيْسِ بنِ ثعلبةَ[1]:

إنَّا مُحَيُّوكِ يا سَلْمَى فَحَيِّينا　　وإنْ سَقَيْتِ كِرَامَ الناسِ فاسْقِينا
وإنْ دَعَوْتِ إلى جُلَّى ومَكْرُمةٍ　　يَومًا سَرَاةَ كِرامِ الناسِ فادْعِينا
إنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لا نَدَّعِي[2] لأبٍ　　عنهُ ولا هُوَ بالأبْناءِ يَشْرِينا
إنْ تُبْتَدَرْ غايةٌ يومًا لمَكْرُمةٍ　　تَلْقَ السَّوابِقَ منا والمُصَلِّينا[3]
ولَيْسَ يَهْلِكُ منا سَيِّدٌ أبَدًا　　إلا افْتَلَيْنا غُلامًا سيِّدًا فِينا
إنا لنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أنفُسَنا　　ولو نُسَامُ[4] بها في الأمْنِ أُغْلِينا
بِيضٌ مَفارِقنا تَغْلي مَراجِلُنا　　نأسُو بأموالِنا آثارَ أيْدِينا
إني لَمِنْ مَعْشرٍ أفْنَى أوائِلَهُم　　قَولُ الكُماةِ: ألَا أينَ المُحامُونا
لو كان في الألفِ مِنَّا واحِدٌ فدَعَوْا:　　مَنْ فارسٌ، خالَهم إيَّاهُ يَعْنُونا
إذا الكُماةُ تَنَحَّوْا أن يَنالَهُمُ　　حَدُّ الظُّبَاتِ[5] وَصَلْناها بأيْدِينا

---

(١) ويقال: إنها لبشامة بن جزء (أو حزن) النهشلي. وفي الكامل للمبرد: أنها لأبي مخزوم من بني نهشل.

(٢) ندعي: أي ننتسب. وإذا كان البيت للقيسي فالرواية (بني مالك).

(٣) السابق: الذي يأتي أولا في السباق، والمصلي: هو الذي يأتي ثانيا.

(٤) نسام: أي نحمل على السَّوْم، وهو عرض السلعة للبيع، ولنتذكر «ولا يسوم على سومه».

(٥) الظبات: جمع ظُبَة؛ وهي مضرب السيف.

ولا تَــرَاهُمْ وإنْ جَلَّــتْ مُصِــيبتُهُم مــعَ البُــكاةِ عــلى مَــنْ مــات يَبْكُونــا
ونَرْكَــبُ الكُــرْهَ أحيانًــا فيُفْرِجُــهُ عــنَّا الحِفــاظُ[1] وأسْــيافٌ تُواتِينــا

(١٦)

وقال الشَّمَيْذَرُ الحارِثِيُّ[2]:

بَنِــي عَمِّنــا لا تَــذكُروا الشِّــعْرَ بَعْــدَما دَفَنــتُمْ بصَــحْراءِ الغُمَــيرِ القَوافِيَــا[3]
فلَسْــنا كَمَــنْ كنــتُمْ تُصِــيبُونَ سَــلَّةً فنَقْبَــلَ ضَيْمًــا أو نُحَكِّــمَ قاضِــيَا[4]
ولكــنَّ حُكْــمَ السَّــيْفِ فــيكُم مُســلَّطٌ فنَــرضَى إذا مــا أصــبحَ السَّــيفُ راضِــيَا
وقــد ســاءَني مــا جَــرَّتِ الحَــرْبُ بيننــا بَنِــي عَمِّنــا لــو كــان أمْــرًا مُــدانِيَا[5]
فــإنْ قلــتُمُ إنَّــا ظلَمْنــا فلــم نكُــنْ ظَلَمْنــا ولكنَّــا أســأْنا التقاضِــيَا[6]

---

(١) الحفاظ: الحماية والرعاية.

(٢) معناه: السريع، والغليظ الضخم، وقيل: إنه شاعر إسلامي، وفي البيان نسبه لـ(سويد المراثي الحارثي أو غيره)، وقيل: لأعرابي من بني الحارث بن كعب.

(٣) معنى البيت (لا تفخروا علينا) كما في كتب البلاغة؛ كالجامع الكبير، والمثل السائر لابن الأثير، والإكسير للطوفي، والطراز للعلوي، وغيرها.

(٤) سلة: أي سرقة.

(٥) أمرا مدانيا: أي مقاربا لما قد يقع بين الأقارب، فيحتمل.

(٦) التقاضي: استيفاء الحقوق.

(٢٠)

وقال قَطَرِيُّ بنُ الفُجَاءةِ المازِنِيُّ[١]:

لا يَرْكَنَنْ أحدٌ إلى الإحْجامِ ... يومَ الوَغَى مُتخوِّفًا لِحِمامِ[٢]

فلَقَدْ أَراني لِلرِّماحِ دَرِيئةً[٣] ... مِن عَنْ يميني مرةً وأمامي

حتى خَضَبْتُ بما تَحَدَّرَ مِن دمي ... أكنافَ[٤] سَرْجي أو عِنانَ لِجَامي

ثم انصرفتُ وقد أَصَبْتُ ولم أُصَبْ ... جَذَعَ البَصيرةِ قارِحَ الإقدامِ[٥]

---

(١) من شعراء الأزارقة وزعمائهم، واسمه: جَعْوَنة بن مازن، وأما (قطري) فنسبة إلى موضع بين البحرين وعمان. وقد قتل خارجًا سنة ٧٨هـ بعد قتال طال نحو عشرين سنة. وفي هذه القطعة يحث الشاعر على الشجاعة والإقدام، وأنه لا يغني حذر من قدر، وهذا المعنى شائع عند الشعراء، وهذه القطعة من أجود ما قيل في ذلك.

(٢) الوغى: أي الحرب. حمام: موت.

(٣) الدريئة: أي الحلقة التي يتعلم عليها الطعن، من الدرء؛ وهو الدفع.

(٤) الأكناف: الجوانب؛ جمع كَنَف.

(٥) يقال للفرس إذا بلغ سنتين: جَذَع، فإذا بلغ خمس سنين قيل له: قارح. فقوله: جذع البصيرة قارح الإقدام، معناه أنه على استبصاره الأول لم ينتقل عنه، وإقدامُه إقدامُ خبير مجرِّب. وفي هذا البيت كلام طويل للشراح وخلافٌ، وهو من الشواهد البلاغية المشهورة.

(٢٢)

وقال ابنُ زَيَّابةَ التَّيْمِيُّ(١):

نُبِّــئْتُ عَمْــرًا غــارِزًا(٢) رأسَــهُ ... في سِـــنَةٍ(٣) يُوعِـــدُ أَخْوالَـــهُ

وتِلْــك(٤) منـــه غــيرُ مأمُونـــةٍ ... أنْ يَفعـــلَ الشـــيءَ إذا قالَـــهُ

الرُّمـــحُ لا أَمْــلأُ كَــفِّي بـــه(٥) ... واللِّـــبْدُ لا أَتْبَـــعُ تَزْوالَـــهُ(٦)

والـــدِّرعُ لا أبغـــي بهـــا ثَــرْوةً ... كـــلُّ امــرئٍ مُســـتَوْدَعٌ مالَــهُ(٧)

آلَيْـــتُ لا أَدفِـــنُ قَـــتْلَاكُمُ ... فَدَخِّـــنُوا المـــرءَ وسِرْبالَـــهُ(٨)

---

(١) شاعر جاهلي، واسمه: سلمة بن ذهل، وقيل: عمرو بن لأي، وقيل غير ذلك، وزيابة: أمه.

(٢) جعل غرز الرأس كناية عن الجهل وترك التحفظ، و(نبَّأ) من الأفعال التي تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل كما هنا. ولهذه الأفعال باب مفرد في النحو؛ لأنها محصورة.

(٣) السنة: أول النوم، قال تعالى: {لا تأخذه سنة ولا نوم}، وقد كنى بها الشاعر عن الغفلة، وقوله (يوعد) من الوعيد؛ يقال: أوعد في الشر، ووعد في الخير.

(٤) أي: وتلك الحالة الموصوفة سابقا. والمقصود بالبيت التهكم والسخرية، وهو من الشواهد البلاغية.

(٥) أي لا أقتصر على الرمح فقط، بل أتعاطى غيره من أنواع السلاح، فأجمع بينهما.

(٦) اللبد: ما يوضع على ظهر الدابة، والتزوال: الميل؛ يقول: إن مال اللبد لم أمل معه؛ يصف نفسه بالقوة، وهذا البيت تعريض بخصمه. ولنتذكر {أن تزولا}، {ما لكم من زوال}، {لتزول منه الجبال}.

(٧) أي: لا أستعمل الدرع للاتجار فيها واكتساب المال؛ لأن الأموال ودائع عند الناس مستردة منهم ولو بعد حين، يريد أنه يستعمل الدرع في الحرب، وهذا البيت أيضًا تعريض بخصمه.

(٨) رجح المرزوقي أن هذا البيت ليس في اختيار أبي تمام. وذكر أن له قصة.

(٢٥)

وقال الأشْتَرُ النَّخَعِيُّ[١]:

بَقَّيتُ وَفْري[٢] وانحَرَفْتُ عنِ العُلَا ولَقِيتُ أضيافي بوَجْهِ عَبُوسِ

إنْ لم أشُنَّ[٣] على ابنِ حَرْبٍ غارةً لم تَخْلُ يومًا مِن نِهَابِ نُفوسِ[٤]

خَيْلًا كأمثالِ السَّعالي شُزَّبًا[٥] تَعْدُو بِبيضٍ في الكَرِيهةِ شُوسِ[٦]

حَمِيَ الحديدُ عليهِمُ فكأنه وَمَضانُ بَرْقٍ أو شُعاعُ شُمُوسِ

(١) شاعر وفارس، أدرك الجاهلية والإسلام، واسمه مالك بن الحارث، وكان من أصحاب علي ﷺ، شهد معه الجمل وصفين، وتوفي من شربة عسل سنة ٣٨هـ. قال الميمني عن هذه القطعة: «اتفق العلماء أن هذا الاستفتاح أحسنُ قسم أقسم به شاعر». وهو من الشواهد البلاغية المشهورة.

(٢) الوفر: المال الكثير، وللفائدة: قال ابن نبهان الحضرمي في منظومة المترادف:

(وَفْرٌ ودَثْرٌ ورِيَاشٌ وثَرَا وجِدَةٌ جَدٌّ جَدًا وُجْدٌ ترى)

(٣) هذا البيت متعلقٌ بما قبله، والمعنى: إن لم أشن هذه الغارة، فيَلزمُني أن أفعل كذا وكذا؛ من باب القسم.

(٤) نهاب نفوس: أي اختلاس آجال؛ يريد أن هذه الغارة لا يمكن أن تخلو من القتلى.

(٥) شُزَّب: جمع شازب، وهو الضامر؛ إشارة إلى القوة والنشاط. وقوله (كأمثال السعالي) أي الجن.

(٦) شُوس: جمع أَشْوَس، وهو الذي ينظر بمُؤْخِر عينه غضبًا أو تكبرًا. وقوله (ببيض) أي برجال بيض؛ كناية عن الكرم. والكريهة: أي الحرب.

(٢٨)

وقال زُفَرُ بنُ الحارثِ الكِلَابيُّ[١]:

وكُنَّا حَسِبْنا كُلَّ بيضاءَ شَحْمةً[٢] ليالِيَ قارَعْنَا جُذامَ وحِمْيَرَا
فلَمَّا قَرَعْنا النَّبْعَ بالنَّبْعِ بَعْضَهُ[٣] بِبَعْضٍ أَبَتْ عِيدانُهُ أَنْ تَكَسَّرَا
ولَمَّا لَقِينا عُصْبةً تَغْلِبِيَّةً يَقُودُون جُرْدًا للمَنِيَّةِ ضُمَّرَا[٤]
سَقَيْناهُمُ كأسًا سَقَوْنا بمِثْلِها ولكنَّهم كانوا على الموتِ أصبَرَا[٥]

---

(١) شاعر إسلامي، يُعد من التابعين، وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان، ثم رجع إلى الطاعة، وقد قال هذه القطعة في وقعة (مرج راهط) سنة ٦٤هـ. وهو صاحب البيت المشهور:

(وقد ينبُت المرعى على دِمَن الثرى وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا)

(٢) هذا مثل يُضرب في الأمر يظنُّه الإنسانُ سهلًا ثم يجدُه بخلاف ذلك. والبيت شاهد مشهور عند النحويين على (حسِب) من أفعال القلوب.

(٣) بعضه: منصوب لأنه بدل من النبع، والنبع: أفضل الأشجار التي يصنع منها القوس، ومعنى البيت: لما التقينا في الحرب، وتقاتلنا، صبر كل منا على الآخر ولم ينهزم، وكنى عن الانهزام بكسر العيدان.

(٤) تغلبية: يجوز فيها كسر اللام وفتحها، والكسر أكثر. وقوله (جردا) أي خيلا جردا، جمع أجرد، وهو القصير الشعر. والمنية: الموت.

(٥) أي أن الموت كان فيهم أعم وأكثر. وهذا البيت من الشواهد البلاغية. ويروى (ولكننا كنا).

(٣١)

وقال بعضُ بني بَوْلانَ مِن طَيِّئٍ: (١)

نحــــنُ حَبَسْـــنا بَنِـــي جَدِيلـــةَ في نـارٍ مِـنَ الـحَـرْبِ جَحْمـةِ الضَّـرَمِ(٢)

نَسـتَوْقِدُ النَّـبْلَ بالحَـضِيضِ ونَصْـ طـادُ نُفُـوسًا بُنَـتْ عـلى الكَـرَمِ(٣)

(٣٤)

وقال عمرُو بنُ مَعْدِي كَرِبَ(٤):

لــــيس الجَمــــالُ بمِئْـــزَرٍ فاعــــلَمْ وإنْ رُدِّيـــــتَ بُــــرْدَا

إنَّ الجَمـــــــالَ معــــــادِنٌ ومَنـــــاقِبٌ أورَثْـــــنَ مَجْــــدَا

أعــــدَدْتُ للحَــــدَثَانِ ســــا بِغــــةً وعَــــدَّاءً عَلَنْــــدَى(٥)

---

(١) وهو جاهلي كما في شرح أبي القاسم الفارسي.

(٢) جحمة الضرم: أي شديدة الاشتعال والاضطرام، ومنه {الجحيم}.

(٣) هذا البيت من الشواهد الصرفية على لغة طيئ في (رُضَى) و(بُنَى) بدلا من رُضِي وبُنِيَ.

(٤) شاعر مخضرم، وفارس مشهور من بني زُبَيد باليمن، قدم على النبي ﷺ فأسلم، وبعد وفاته ارتد مع من ارتد في اليمن، ثم عاد إلى الإسلام وشهد اليرموك والقادسية وأبلى بلاء حسنا. والياء من (معدي) ساكنة، و(كرِب) بوزن حذِر.

(٥) السابغة: الدرع الواسعة، ومنه {أن اعمل سابغات}، والعلندى: الغليظ، والعداء: الجواد السريع.

نَهْـــــدًا وذا شُـــــطَبٍ يَقُـــــ ـــدُّ البَـــيْضَ والأبـــدانَ قَـــدًّا[1]

وعَلِمْـــــــتُ أني يـــــــومَ ذا كَ مُنـــازِلٌ كَعْبًـــا ونَهْـــدَا[2]

قـــومٌ إذا لَبِـــسُوا الحَدِيـــــ ـــدَ تَنَمَّـــرُوا حَلَقًـــا وقِـــدًّا[3]

كُـــلُّ امـــرئٍ يَجْـــري إلـــى يـــومِ الهِيَـــاجِ[4] بمـــا اســتَعدَّا

لَمَّـــــا رأيـــــتُ نِســـــاءَنا يَفْحَـــصْنَ بالمَعْـــزاءِ[5] شَـــدَّا

وبَـــــدَتْ لَمِيـــــسُ كأنهـــــا بَـــدْرُ السمــــاءِ إذا تَبَـــدَّى

نازَلْـــتُ كَبْشَـــهُمُ[6] ولَـــمْ أرَ مِـــن نِـــزالِ الكـــبشِ بُـــدَّا

هُـــمْ يَنْـــذِرون[7] دَمِـــي وأَنْـــ ـــذِرُ إنْ لَقِيـــتُ بـــأنْ أشُـــدَّا

كـــم مِـــنْ أخٍ لِـــيَ صـــالحٍ بَوَّأتُــــهُ بيَـــــدَيَّ لَحْـــــدَا

---

(١) النهد: الفرس الجسيم المرتفع، والشطب: الطرائق (وذو الشطب: المقصود السيف)، يقد: أي يقطع، والبيض: جمع بيضة؛ وهي الخوذة التي تلبس في الحرب.

(٢) قال ابن بري: أراد بـ(كعب) بني الحرث بن كعب، وهم من مذحج، و(نهد) من قضاعة، وكانت بينه وبينهم حروب.

(٣) الحلق (بفتح الحاء وكسرها): جمع حلقة الحديد، والقِد: السير يقطع من جلد غير مدبوغ. وقوله (تنمروا) أي تشبهوا بالنمر؛ لاختلاف ألوان الحديد والقد، وقيل غير ذلك.

(٤) الهياج: أي الحرب.

(٥) يفحصن: أي يؤثِّرن، والمعزاء: الأرض الشديدة الصلبة ذات الحجارة. والشد: الجري.

(٦) الكبش: رئيس الكتيبة.

(٧) ينذرون: أي يقولون لله علينا أن نسفك دم عمرو، ولنتذكر {يوفون بالنذر}.

مـــــا إنْ جَزِعْــــتُ ولا هَلِعْـــــ ـــتُ، ولا يَـــرُدُّ بُكـــايَ زَنْـــدَا[١]

أَلْبَسْـــــــــتُهُ أثْـــــــــوابَه وخُلِقْــتُ يــومَ خُلِقْــتُ جَلْــدَا

أُغْنِـــــي غَنَـــــاءَ الذَّاهِبِيـــــ ـــنَ أُعَـــدُّ للأعـــداءِ عَـــدَّا

ذهـــــبَ الـــــذين أُحِـــــبُّهمْ وبَقِيـــتُ مِثْـــلَ السـيفِ فَـــرْدَا

(٣٥)

وقال أيضًا (عمرُو بنُ مَعْدِي كَرِبَ)[٢]:

ولقـــد أَجـــمَعُ رِجْلَـــيَّ بهـــا[٣] حَـــذَرَ المـــوتِ وإني لَفَـــرُورْ

ولقـــــد أَعطِـــــفُها كارِهـــــةً حِـينَ للنفسِ مِـنَ المـوتِ هَرِيـرْ[٤]

كُـــلُّ مـــا[٥] ذلــك مِنِّـــي خُلُـــقٌ وبِكُـــلٍّ أنـــا في الـــرَّوْعِ جديـــرْ

وابــنُ صُــبْحٍ ســادِرًا يُوعِــدُني[٦] مـا لـه في النـاسِ مـا عِشْـتُ مُجِيـرْ

(١) المعنى: أنني لم أجزع، مع أني لو بكيت فلن يرد بكاي شيئا وإن قل.

(٢) يشير الشاعر في هذه القطعة إلى خبرته في الحرب ومعرفته بمواطن الكر والفر.

(٣) قوله (بها) أي بالفرس.

(٤) الهرير: الضجيج.

(٥) من شواهد زيادة (ما) للتوكيد أو التفخيم؛ كما في قوله تعالى: {جند ما هنالك}. ولنتذكر {أيما الأجلين} {فبما رحمة} {عما قليل} {مما خطيئاتهم}.

(٦) يشير الشاعر إلى أن هذا الشخص يتوعده بجهله وقلة معرفته به وبخبرته في الحرب السابق بيانها.

(٣٧)

وقال الحارثُ بنُ هِشامٍ المَخْزُومِيُّ[١]:

اللهُ يَعلَـــمُ مـــا تَرَكْـــتُ قِتالَـــهم   حتـى عَلَـوْا فَرَسـي بأشْـقَرَ مُزْبِـدِ[٢]
وعَلِمْــتُ أني إن أقاتِــلْ واحــدًا[٣]   أُقتَـلْ ولا يَضْــرُرْ عَـدُوِّي مَشْــهَدِي
فصَــدَدْتُ عــنهم والأحِبَّــةُ فِـيهِمُ   طَمَعًــا لهــم بعِقَــابِ يــومٍ سَرْمَــدِ

(١) هو أخو أبي جهل، وابن عم خالد بن الوليد، والأبيات المذكورة قالها لما انهزم في غزوة بدر مع المشركين. وقد أسلم يوم فتح مكة، واستشهد يوم اليرموك، ﷺ. وهو الذي سأل النبي ﷺ «كيف يأتيك الوحي».

(٢) يعني: حتى سال مني دمٌ كثير له زَبَد، فوقع على ظهر فرسي.

(٣) قوله (واحدا) حال، وليس مفعولا به، والمعنى: أقاتل وأنا واحد.

(٣٨)

قال الفَرَّارُ السُّلَمِيُّ[١]:

وكَتِيــــبةٍ لَبَّسْــــتُها[٢] بكتيبــــةٍ حتى إذا التَبَسَتْ نَفَضْتُ لـها يَدِي[٣]

فتركتُهم تَقِصُ[٤] الرِّماحُ ظُهُورَهم مِــن بــينِ مُنعَــفِرٍ وآخَــرَ مُسْــنَدِ[٥]

مــا كــان يَنفعُنــي مَقــالُ نِســائِهم -وقُتِلْـتُ خَلْـفَ رِجـالِهم-: لا تَبْعَـدِ

(٤٤)

وقال قَيْسُ بنُ زُهَيْرٍ العَبْسِيُّ[٦]:

شَـفَيْتُ الـنَّفْسَ مِـن حَـمَلِ بـنِ بَـدْرٍ وسَــيْفي مِــن حُذَيْفــةَ قــد شَــفَاني

---

(١) شاعر مخضرم، واسمه حبان (أو حيان) بن الحكم، أعطاه النبي ﷺ راية بني سليم يوم فتح مكة، وشهد غزوة حنين، وكان يسمى (الفرار) في الجاهلية؛ لأنه فر من بني عوف.

(٢) لبستها: أي خلطتها، ولنتذكر {أو يلبسكم شيعا} {وللبسنا عليهم ما يلبسون}.

(٣) المعنى الإجمالي لهذه القطعة: أن الشاعر يهيِّج الشر ويثير الحرب بين الكتائب، ثم ينسلُّ خارجا من بينها، غير مبال بما تصير إليه، ويعلل ذلك في البيت الأخير بأنه لا ينفعه أن يرثيه النساء بعد موته.

(٤) تقص: أي تكسر، من (وَقَص) كما في حديث ابن عباس في المحرم الذي وَقَصَتْه ناقتُه: أي دقَّت عنقه.

(٥) منعفر: ملقى في العفر وهو التراب. مسند: معتمد على ما يسنده. والمقصود: تركتهم ما بين مصروع في التراب وجريح ينزف فيستند إلى شيء من ضعفه.

(٦) شاعر وفارس جاهلي، كان سيد عبس، والأبيات قالها في قتله حذيفةَ وحملًا ابنَيْ بدر يوم جفر الهباءة.

فــإنْ أكُ قــد بَــرَدْتُ بهــم غَلِـيلي   فلَـــمْ أقْطَـــعْ بهـــمْ إلا بَنَـــاني

(٤٥)

وقال الحارثُ بنُ وَعْلةَ الذُّهْليُّ[١]:

قَــوْمي هُــمُ قَــتَلوا -أُمَــيْمَ- أخــي   فــإذا رَمَيــتُ يُصِــيبُني سَــهْمي[٢]

فَلَــئِن عَفَــوْتُ لأعْفُــوَنْ جَلَــلًا[٣]   ولَــئِنْ سَــطَوْتُ لأُوهِــنَنْ عَظْمــي

لا تأمَـــنَنْ قومًـــا ظَلَمْـــتَهُمُ   وبـــدأتَهم بالشَّـــتْمِ والرَّغْـــمِ

أنْ يَأبِـــرُوا[٤] نَخْـــلًا لغـــيرِهِمُ   والقـــولُ تَحقِـــرُهُ وقـــد يَنْمِـــي

وزَعَمْـــتُمُ أنْ لا حُلُـــومَ لنـــا   إنَّ العصــا قُرِعَــتْ لــذي الحِــلْمِ[٥]

---

(١) شاعر جاهلي، وهو غير الحارث بن وعلة الجرمي المذكور في المفضليات.

(٢) معنى البيت: إن قومي، يا أميمة، هم الذين فجعوني في أخي إذ قتلوه، فإذا أردت أن أجازيهم كان ذلك كأني أعاقب نفسي؛ لأن عز الرجل بعشيرته وقومه.

(٣) الجلل: يطلق على العظيم والحقير، والمقصود به هنا: العظيم.

(٤) أبَرت النخل وأبَّرته: ألقحته، والمعنى: لا تأمن هؤلاء الذين ظلمتَهم أن ينتقلوا إلى أعدائهم، فيُقَوُّوهم ويصلحوا الفاسد من فخرهم وأمرِهم نصرةً لهم. وقيل غير ذلك.

(٥) أي: زعمتم أن لا عقول لنا، فنبهونا أنتم إن كان لكم عقول؛ كما كان ينبه (عامر بن الظرب) بقرع العصا له عند كبر سنه إذا زاغ في الحكم. والمقصود السخرية والتهكم.

ووَطِئْتَنــا وَطْــئًا عــلى حَنَــقٍ وَطْءَ المُقَــيَّدِ نابِــتَ الهَــرْمِ[1]
وتَرَكْتَنــا لَحْمًــا عــلى وَضَــمٍ[2] لــو كنــتَ تَســتَبْقي مِــنَ اللَّحْــمِ

(٤٦)

وقال أعرابيٌّ[3]:

أقــولُ لِلنَّفــسِ تَأْســاءً وتَعزِيــةً إحــدى يَــدَيَّ أصابَــتْني ولم تُــرِدِ
كِــلاهُما خَلَــفٌ مِــن فَقْــدِ صــاحِبِه هــذا أخــي حــينَ أدعُــوهُ وذا وَلَــدِي

---

(١) الهَرْم: نوع من الحَمْض (والحمض: كل نَبْت مالح أو حامض يقوم على سُوق ولا أصل له)، ومعنى البيت: أثَّرت فينا تأثير الشخص الغضبان؛ كما يؤثر البعير المقيد إذا وطئ هذه النبتة.

(٢) الوضم: كل شيء يوضع عليه اللحم يقيه من الأرض. ومعنى البيت: تركتنا لا نستطيع الدفاع عن أنفسنا؛ كاللحم على المائدة يتناوله من شاء، فهلا تركت منا بقية. وهذا مثل يضرب في الانقياد.

(٣) في بعض المصادر أنه: العريان النبهاني؛ شاعر جاهلي. وسبب البيتين: أن أخاه قَتَل ابنًا له، فقُدم إليه ليَقتادَ منه، فألقى السيف وأنشأ يقولهما.

(٤٨)

وقال رجلٌ من بَنِي تَمِيمٍ[١]:

أبَيْــتَ اللَّعْــنَ إنَّ سَــكابَ عِلْــقٌ[٢] نفـــــيسٌ لا تُعـــــارُ ولا تُبـــــاعُ
مُفـــــدَّاةٌ مُكرَّمـــــةٌ علينـــــا يُجـــاعُ لهـــا العِيـــالُ ولا تُجـــاعُ
سَـــــلِيلةُ سابِقَـــــيْنِ تَنَاجَلاهـــــا إذا نُسِـــبَا يَضُمُّـهمـــا الكُـــراعُ
فــلا تَطمَــعْ أبَيْــتَ اللَّعْــنَ فيهــا ومَنْعُـــــكَها بوَجْـــهٍ يُسْـــتطاعُ

(٥٢)

وقالت كَبْشةُ أختُ عَمْرِو بنِ مَعْدي كَرِبَ[٣]:

أَرْسَــلَ عبــدُ اللهِ إذْ حــانَ يومُــهُ إلى قومــه: لا تَعقِلُــوا لــهُمُ دَمِــي
ولا تأخُـذُوا مـنهم إفـالًا وأَبْكُـرًا[٤] وأُتــرَكَ في بيــتٍ بصَــعْدةَ[١] مُظلِــمِ

---

(١) هو: عبيدة بن ربيعة؛ من رِزام بن مازن. وسبب الأبيات أن ملِكًا من ملوك اليمن طلب من الشاعر فرسًا له يُقال لها سكاب، فمنعه إياها وقال هذا الشعر.

(٢) علق نفيس: أي مال مضنون به. و(سكاب) فيه لغتان: الأولى: الإعراب؛ فيكون منصوبا (وهي لغة الشاعر لغة تميم)، والثانية: البناء على الكسر (سكابِ)؛ مثل حذامِ وقطامِ.

(٣) جاء بنو مازن إلى عمرو فقالوا: إن أخاك (عبد الله) قد قتله رجل منا سفيه وهو سكران، فنسألك الرحم إلا أخذت الدية، فهمَّ عمرو بذلك، فقالت أخته كبشة هذا الشعر لتهيِّجه على الثأر.

(٤) إفال: جمع أَفِيل، وهو الصغير من الإبل. وأبكر: جمع بَكْر، وهو الفتيُّ من الإبل.

ودَعْ عنـكَ عَمْـرًا إنَّ عَمْـرًا مُسالِـمٌ وهـل بَطـنُ عَمْرٍو غـيرُ شِبْـرٍ لِمَـطْعَمِ

فــإنْ أنــتُمُ لم تَثْــأَرُوا واتَّــدَيْتُمُ[٢] فَمَشُّــوا بــآذانِ النَّعــامِ المُــصَلَّمِ[٣]

ولا تَــرِدُوا إلا فُضُــولَ نِســائِكُمْ إذا ارتَمَـلَتْ أعقـابُهُن مِـنَ الـدَّمِ[٤]

(٥٣)

وقال عَنْتَرةُ بنُ الأَخْرَسِ[٥]:

أَطِـلْ حَـمْلَ الشَّـناءةِ لي وبُغْضـي وعِـشْ مـا شِـئتَ فـانظُرْ مَـن تَضِـيرُ

فمــا بِيَــدَيْكَ خــيرٌ أرْتَجِيــهِ وغــيرُ صُــدُودِكَ الخَــطْبُ الكبــيرُ

ألــم تَــرَ أنَّ شِــعْرَكَ ســارَ عنــي وشِـعْري حـولَ بيـتِك مـا يَسـيرُ[٦]

---

(١) صعدة: موضع باليمن.

(٢) اتَّدى: أي قبل الدية. ومشوا (بفتح الميم) أي امشوا، ويروى (مُشوا) بالضم ومعناه امسحوا.

(٣) المصلم: المقطوع الآذان. ومعنى البيت: ارجعوا أذلاء صاغرين كأن آذانكم قد قطعت من الذل.

(٤) ارتمل: أي تلطخ، ومعنى البيت: كونوا في آخر من يستقي الماء، إشارة إلى بلوغ الغاية في الذل.

(٥) من طيئ، شاعر جاهلي، أو إسلامي متقدم (لأن بعض الصحابة كان يستشهد بهذا الشعر).

(٦) ويروى (شعري .. شعرك)، وفي معنى البيت وجهان ذكرهما المرزوقي؛ الأول: شعرك الذي قلته فيَّ لم يعلق بي ذمه؛ لأنه كان كذبا، وشعري الذي قلته فيك يطوف حول دارك لا يفارقك؛ لأنه كان صدقا. الثاني: شعري الذي قلته فيك سار عني؛ لأن الرواة احتملوه استجادة له، وشعرك الذي قلته فيَّ ملازم لك؛ لزهد الناس فيه. وساغ الوجهان لأن المصدر يضاف إلى المفعول ويضاف إلى الفاعل.

إذا أبصَـــرْتَني أعرَضْـــتَ عنـــي كـــأنَّ الشـــمسَ مِـــن قِـــبَلِي تـــدورُ[١]

(٥٥)

وقال الفَضْلُ بنُ العَبَّاسِ بنِ عُتبةَ بنِ أبي لَهَبٍ[٢]:

مَهْـلًا بَنِـي عمِّنـا مَهْـلًا مَوالِينـا[٣] لا تَنبُشُـوا[٤] بينَنـا مـا كـان مَدْفُـونَا

لا تَطْمَعـوا أن تُهِينُونـا ونُكْـرِمَكُم وأن نكُـفَّ الأذى عـنكم وتُؤذُونـا

مهـلًا بني عمِّنا عـن نَحْـتِ أَثْلَتِنا[٥] سِـيرُوا رُوَيْـدًا[٦] كمـا كنـتم تَسِـيرونا

اللهُ يَعلـــمُ أنَّـــا لا نُحِـــبُّكمُ ولا نلومُـــكُمُ ألَّا تُحِبُّـــونا

كـلٌّ لـه نِيَّـةٌ في بُغْـضِ صـاحِبِهِ بِنِعمـــةِ اللهِ نَقْلِـــيكُم وتَقْلُونـــا[٧]

---

(١) قبلي: أي جهتي، والمعنى: إذا نظرت إلي حولت وجهك عني؛ بمنزلة من ينظر إلى الشمس فيصرف وجهه عنها لتأذيه بشعاعها.

(٢) من شعراء بني هاشم وفصحائهم، وكان معاصرًا للفرزدق، يعرف بـ(الأخضر) لأنه كان شديد السمرة، ويلقب (اللَّهَبي) نسبة إلى أبي لهب. والأبيات المذكورة هي أشهر شعره.

(٣) الجادة أن يقول (مواليَنا) بالنصب لأنه منادى، لكنه سكن الياء للضرورة الشعرية.

(٤) بضم الباء في المضارع.

(٥) الأثلة: شجرة تجعل مثلا للعِرْض؛ يقال: فلان ينحت أثلة فلان؛ إذا ذمه وتنقصه.

(٦) أي سيرا رفيقا ساكنا، وهذا يذكرنا بقوله تعالى: {فمهل الكافرين أمهلهم رويدا}.

(٧) يجوز أن يكون المقصود (وتقلون) بحذف المفعول للعلم به (والألف للإطلاق)، ويجوز أن يكون المقصود (وتقلوننا) وحذف النون الثانية تخفيفًا أو للضرورة الشعرية.

(٥٦)

وقال الطِّرِمَّاحُ بنُ حَكِيمٍ الطائيُّ[١]:

لقــد زادني حُـــبًّا لنفســـيَ أننـــي ... بغـيضٌ إلى كـلِّ امـرئٍ غـيرِ طائـلِ[٢]
وأني شـــقِيٌّ باللئـــامِ ولا تَـــرَى ... شـــقيًّا بهـــم إلا كـــريمَ الشمـــائلِ
إذا مـــا رآني قطَّـــعَ الطَّـــرْفَ بينَـــه ... وبينِـــيَ فِعـــلَ العـــارفِ المُتجـــاهِلِ
مـــلأتُ عليـــه الأرضَ حتـــى كأنها ... مِـــنَ الضِّـــيقِ في عينيـــه كِفَّـــةُ حابِـــلِ[٣]

(١) شاعر وخطيب إسلامي فحل، نشأ بالكوفة، وكان يرى رأي الأزارقة، توفي نحو ١٢٥هـ. ومن الطرائف أن الإمام الطبري (المفسر) كان يحفظ ديوانه كاملا بغريبه ومعانيه.

(٢) طائل: أي ذو طَول، وهو الفضل والزيادة، ولنتذكر {ومن لم يستطع منكم طَولا} و{ذي الطول}.

(٣) كفة حابل: أي حبالة صائد يصطاد بها؛ لأنه ينصبها مستديرة، وكل ما استدار فهو كفة.

(٦٩)

وقال آخَرُ[١]:

اللــؤمُ أكــرَمُ مــن وَبْــرٍ ووالــدِهِ ... واللــؤمُ أكـرَمُ مِــن وَبْـرٍ ومـا وَلَـدَا

قــومٌ إذا مــا جنَـى جــانِيهِمُ أمِنُــوا ... مِــن لــؤمِ أحسـابِهم أن يُقتَلـوا قَــوَدَا

اللـــؤمُ داءٌ لوَبْـــرٍ يُقتَلُـــون بـــه ... لا يُقتَلـــون بـــداءٍ غـــيرِه أبَـــدَا

(٧٠)

وقال إبراهيمُ بنُ كُنَيْفٍ النَّبْهانيُّ[٢]:

تَعَــزَّ فــإنَّ الصــبرَ بالحُــرِّ أجمــلُ ... ولــيس عــلى رَيْــبِ الزمــانِ مُعَــوَّلُ

فــإن تكُــنِ الأيــامُ فينــا تَبَــدَّلتْ ... ببُؤْسَــى ونُعْمَــى والحــوادثُ تَفْعَــلُ

فمــا ليَّنَــتْ منــا قنــاةً صَــلِيبةً ... ولا ذلَّلَــتْنا للتــي لــيس تَجــمُلُ

ولكــنْ رَحَلْناهــا[٣] نُفُــوسًا كريمــةً ... تُحــمَّلُ مــا لا يُســتطاعُ فتَحمِــلُ

---

(١) هو: الحكم بن زهرة، وقيل: عويف القوافي.

(٢) شاعر إسلامي، وقيل: إنه من الأعراب الذين أخذ عنهم الأصمعي.

(٣) رحلناها: أي حمَّلنا تلك الشدائد نفوسا كريمة؛ كما تحمَّل الراحلة إذا رُحِلت.

(٧٢)

وقال عُوَيْفُ القَوَافي[(١)]:

ذَهَـبَ الرُّقـادُ فمـا يُحَـسُّ رُقـادُ   مِمَّـا شَـجَاكَ ونامـتِ العُـوَّادُ

لَمَّـا أتـاني عـن عُيَيْنـةَ أنـه   أمْسَـتْ عليـه تَظـاهَرُ الأقيـادُ[(٢)]

نَخَلَـتْ لـه نفسـي النصـيحةَ إنـه   عنـد الشـدائدِ تَـذْهَبُ الأحقـادُ

وذكَـرْتُ أيُّ فَـتًى يَسُـدُّ مكانَـه   بالرِّفْـدِ حـينَ تَقاصَـرُ الأرفـادُ[(٣)]

أم مَـن يُهـينُ لنـا كـرائمَ مالِـه   ولَـنَا إذا عُـدْنا إليـه مَعَـادُ

---

(١) هو: عوف بن معاوية الفزاري، شاعر إسلامي مقل، من شعراء الدولة الأموية. وسبب الأبيات أن أخت الشاعر كانت عند عيينة بن أسماء، فطلقها، فغضب من عيينة، فلما أخذ الحجاج عيينة فحبسه، قال هذا الشعر. وسمي عويف القوافي لقوله:

(سأُكذِب من قد كان يزعم أنني   إذا قلتُ شعرا لا أجيدُ القوافيا)

(٢) الأقياد: جمع قيد؛ مثل القيود.

(٣) الأرفاد: جمع رِفْد؛ وهو العطاء والعون.

(٧٣)

وقال بِشْرُ بنُ المُغِيرةِ[١]:

جَفَاني الأميرُ والمُغِيرةُ قد جَفَا ... وأمسى يزيدُ لي قدِ ازْوَرَّ جانِبُهْ[٢]

وكُلُّهُمُ قد نال شِبْعًا لبَطْنِه ... وشِبْعُ الفتى لُؤمٌ إذا جاعَ صاحِبُهْ

فيا عَمِّ مَهْلًا واتَّخِذْني لِنَوْبةٍ ... تُلِمُّ فإنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ نوائبُهْ

أنا السَّيْفُ إلا أنَّ لِلسيفِ نَبْوَةً ... ومِثْلِيَ لا تَنبُو عليكَ مضارِبُهْ

(٧٦)

وقال أبو الشَّغْبِ العَبْسيُّ في ابنٍ له[٣]:

إذا كان أولادُ الرجالِ حَزازةً ... فأنتَ الحَلالُ الحُلوُ والباردُ العذبُ

لنا جانبٌ منه دَمِيثٌ[٤] وجانبٌ ... إذا رامَهُ الأعداءُ مُمتنِعٌ صَعْبُ

وتأخذُهُ عند المكارمِ هِزَّةٌ ... كما اهتزَّ تحتَ البارحِ[٥] الغُصُنُ الرَّطْبُ

---

(١) هو: بشر بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، شاعر وفارس مشهور، من الدولة الأموية.

(٢) ازور: انحرف، والمعنى: أعرض عني وهجرني.

(٣) من شعراء الدولة الأموية، واسمه عكرشة، وستأتي له قطعة أخرى منتقاة.

(٤) الدماثة: سهولة الخلق ولين الجانب.

(٥) البارح: ريح حارة تجيء من قبل اليمن.

(٨٤)

وقال عَمْرُو بنُ شَأْسٍ[١]:

أرادتْ عِـرارًا بالهَـوانِ ومَـن يُـرِدْ عِـرارًا لعَمْـري بالهَـوَانِ فقـد ظَلَـمْ
فـإن كُنـتِ مني أو تُريـدينَ صُـحْبتي فكُـوني لـه كالسَّمْنِ رُبَّتْ لـه الأَدَمْ[٢]
وإنْ كنـتِ تَهْـوَيْنَ الفِـراقَ ظَعِينتـي فكُـوني لـه كالـذئبِ ضـاعتْ لـه الغَـنَمْ
وإلا فسِـيري مِثْـلَ مـا سـارَ راكـبٌ تَجَـشَّمَ خمسًـا لـيس في سـيره أَمَـمْ[٣]
فـإنَّ عِـرارًا إنْ يكُـنْ ذا شَـكِيمةٍ تُـلاقِينَها منـه فمـا أَمْلِـكُ الشِّـيَمْ
وإنَّ عِـرارًا إنْ يكُـنْ غـيرَ واضِـحٍ فإني أُحِبُّ الجَوْنَ[٤] ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

---

(١) شاعر مخضرم كثير الشعر، وقد أدرك الإسلام كبيرا، وشهد القادسية وله فيها شعر. وفي هذه القطعة يوصي امرأته بابنه (عرار)، ويحذرها أن تؤذيه، ويهددها بالطلاق إن فعلت، ويذكر حبه له. ولعرار هذا قصة مع الحجاج.

(٢) ربت: أي طليت بالرُّبِّ؛ وهو: عصارة التمر المطبوخة. الأدم: جمع أديم.

(٣) تجشم خمسا: أي تكلف وتحمل السير في خمسة أيام. أمم: قصد واعتدال. والمعنى: اغربي عني وفارقيني مثل هذا الراكب الموصوف، فلا حاجة لي فيك.

(٤) الجون: الأسود. العمم: التام (مثل العميم).

(٨٨)

وقال الأعْرَجُ المَعْنِيُّ[١]:

أنَــا أبــو بَــرْزَةَ إذْ جَــدَّ الوَهَــلْ خُلِقْــتُ غــيرَ زُمَّــلٍ ولا وَكَــلْ[٢]

ذا قُـــوَّةٍ وذا شَـــبَابٍ مُقْتَبَـــلْ لا جَـزَعَ اليـومَ عـلى قُـرْبِ الأجَـلْ

المـوتُ أحـلَى عِنـدَنا مِـنَ العَسَـلْ رُدُّوا علَيْنــا شَيْخَــنَا ثــم بَجَــلْ[٣]

نحنُ -بَنِي ضَبَّةَ- أصحابُ الجَمَلْ نَنْعَـى ابـنَ عَفَّـانَ بـأطرافِ الأَسَـلْ[٤]

(٩٣)

وقال يَزِيدُ بنُ حِمَّانَ السَّكُونِيُّ[٥]:

إني حَمِـدْتُ بَنِـي شَـيْبانَ إذ خَـمَدَتْ نِــيرانُ قــومي وفــيهم شُــبَّتِ النــارُ

ومِــن تَــكَرُّمِهم في المَحْــلِ أنهُــمُ لا يَعلــمُ الجــارُ فــيهم أنــه جــارُ

حتـى يكـونَ عزيـزًا مِـن نُفُوسِـهِمُ أو أنْ يَبِــينَ جميعًــا وهْــو مخــتارُ

---

(١) شاعر مخضرم من طيئ، واسمه: عدي بن عمرو بن سويد. قيل له (المعني) نسبة إلى جده الأكبر (مَعْن بن عتود).

(٢) الوهل: اشتداد الخوف. زمل: ضعيف. وكل: أي عاجز يتكل على غيره.

(٣) شيخنا: يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه (كما في البيت الذي يليه). بجل: أي حسبنا وكافينا.

(٤) الأسل: الرماح.

(٥) قالوا: الصواب (ابن حمار) بالراء، وهو جاهلي، كان له بلاء ورأي يوم ذي قار.

كأنَّـــه صَـــدَعٌ في رأسِ شـــاهقةٍ مِـــن دُونِـه لِعِتـاقِ الطـيرِ أَوْكـارُ[١]

(٩٤)

وقال آخَرُ[٢]:

نَزَلْـتُ عـلى آلِ المُهَـلَّبِ شـاتِيًا غريبًـا عـنِ الأوطـانِ في زمـنٍ مَحْـلِ
فمـا زالَ بي إكـرامُهُمْ واقتفـاؤُهُمْ وإلطـافُهُمْ حتـى حَسِبْـتُهُمْ أهـلي

(١٠٥)

وقال آخَرُ[٣]:

ألا قالـتِ العَصْمـاءُ يـومَ لَقِيتُهـا: أراكَ حـديثًا نـاعِمَ البـالِ أفْرَعَـا
فقلـتُ لهـا: لا تُنْكِرينـي فقَلَّمـا يَسُـودُ الفَتَـى حتـى يَشِـيبَ ويَصْـلَعَا
ولَلْقـارِحُ اليَعْبُـوبُ خـيرٌ عُلالـةً مِنَ الجَـذَعِ المُـرْخِي وأبعَدُ مَنْزَعَا[٤]

---

(١) الصدع: الفتيُّ من الأوعال. شاهقة: قمة جبل. عتاق الطير: العقبان وما أشبهها من أحرار الطير.

(٢) هو: بكير بن الأخنس، أو أبو الهندي (توفي قبل ١٥٠هـ وليس ١٨٠ كما قال الزركلي)، وقيل: غيرهما. وزمن الأبيات معروف، وهو أوائل الدولة العباسية.

(٣) لبعض العرب كما ذكر الأصمعي. وقد يكون هو نفسه (أبا علقة التيمي) عند أبي زيد في نوادره.

(٤) اليعبوب: الكثير الجري. العلالة: آخر الجري. المرخي: الضعيف الجري [وانظر أيضا: القطعة (٢٠)]. وقوله: (منزعا)؛ أي رأيا وتدبيرا.

(١١٥)

وقال جَزْءُ بنُ ضِرَارٍ[١]:

أتـاني فلـم أُسْرَرْ بـه حـينَ جـاءني حـديثٌ بـأعلى القُنَّـتَينِ[٢] عجيـبُ
تَصامَمْـتُه حتـى أتـاني يَقِينُـه وأَفْـزَعَ منـه مخـطئٌ ومُصِـيبُ
وحُدِّثتُ قومي أحدثَ الدهرُ فيهِمُ وعَهـدُهُمُ بالحـادثاتِ قريـبُ
فـإنْ يـكُ حقًّـا مـا أتـاني فـإنهم كِـرامٌ إذا مـا النائبـاتُ تَنُـوبُ
فقـيرُهُمُ مُبـدِي الغِنَـى وغنـيُّهم لـه وَرَقٌ[٣] للسـائلين رَطِيـبُ
ذَلُولُـهمُ صَـعْبُ القِيـادِ وصَـعْبُهم ذلـولٌ بحـقِّ الـراغبين رَكُـوبُ
إذا رَنَّقَـتْ[٤] أخـلاقَ قـومٍ مُصـيبةٌ تُصـفَّى لهـم أخلاقُهـم وتَطيـبُ
ومَـن يَغمُـرُوا مـنهم بفَضـلٍ فإنـه إذا مـا انتمـى في آخَـرِينَ نَجِيـبُ

---

(١) وهو: أخو الشماخ بن ضرار.

(٢) القنة: أعلى الجبل، والمراد بالقنتين هنا موضع بعينه لجبل مشرف.

(٣) له ورق: أي ورق الشجر؛ شبه كرمه لمن يسأله بالورق الرطب؛ لأن به تعيش إبلهم ويكثر انتفاعهم.

(٤) رنقت: كدَّرت، وهذا يظهر بتأمل مقابله (تصفى) في عجز البيت.

(١١٦)

وقال القُطامِيُّ [١]:

مَـــنْ يكُـــنِ الحِـــضارةُ أعجَبَتْـــه فـــأيَّ أُنـــاسِ باديـــةٍ تَرَانَـــا
ومَـــنْ رَبَـطَ الجِـحاشَ فـإنَّ فينـا قَنًـا سُلُـبًا [٢] وأفراسًـا حِسـانَا
وكُـــنَّ إذا أغَـــرْنَ عـــلى جَنَـابٍ وأعْـــوَزَهُنَّ نَهْـــبٌ حيـــثُ كانَـا
أغَـرْنَ مِـنَ الضِّـبابِ عـلى حُلُـولٍ وضَـــبَّةَ إنـــه مَـــنْ حـــانَ حانَـا
وأحيـــانًا عـــلى بَكْـــرٍ أخِيـــنا إذا مـــا لم نَجِـــدْ إلا أخانَـا

(١) اسمه: عمير بن شييم التغلبي، وهو شاعر مقل، كان نصرانيا فأسلم، وكان الأخطل يعجب بشعره.

(٢) الجحاش: جمع جحش. قنا: رماح. سلب: جمع سَلُوب؛ وهو الطويل.

(١١٩)

وقال ابنُ رُمَيْضٍ العَنْبَرِيُّ[١]:

بـــاتُوا نِيـــامًا وابْـــنُ هنـــدٍ لم يَـــنَمْ   بـــاتَ يُقاسِـــيها غُـــلامٌ كالزَّلَـــمْ[٢]

خَـــدَلَّجُ الســـاقَينِ خَفَّـــاقُ القَـــدَمْ   قـــد لَفَّهـــا الليـــلُ بسَـــوَّاقٍ حُطَـــمْ[٣]

لـــيس بِراعِـــي إِبِـــلٍ ولا غَـــنَمْ   ولا بجَـــزَّارٍ عـــلى ظَهْـــرِ الوَضَـــمْ

(١٢٠)

وقال جَعْفَرُ بنُ عُلْبَةَ الحارِثِيُّ[٤]:

ألَا لا أُبـــالي بعـــدَ يَـــوْمِي بسَـــحْبَلٍ   إذا لم أُعـــذَّبْ أن يَجـــيءَ حِمامِيَـــا[٥]

تَرَكْـــتُ بجَنْبَـــيْ سَـــحْبَلٍ وتِلَاعِـــهِ   مُـــرَاقَ دمٍ لا يَـــبْرَحُ الدَّهْـــرَ ثاوِيَـــا

إذا مـا أتَيْـتَ الحـارِثِيَّاتِ فانْعَـنِي[٦]   لهـــنَّ وخَبِّـــرْهن أنْ لا تَلَاقِـــيَا

---

(١) هو: رُشَيد بن رميض (مصغرين)، وأما العنبري؛ فقيل: الصواب العنزي، من بني عنزة، وهو شاعر مخضرم، والأبيات قالها في غارة الحطم على اليمن، وهذه القطعة مشهورة في كتب التاريخ.

(٢) الزلم: القِدْح يستقسم به؛ ولنتذكر {وأن تستقسموا بالأزلام}.

(٣) خدلج: غليظ. خفاق: سريع الخطو. لفها: أي جمعها (أي الإبل). حطم: عنيف.

(٤) قالها الشاعر حين لقي بني عقيل. وقد سبقت له القطعة (٥).

(٥) سحبل: اسم واد باليمن، وقعت فيه حرب بين بني عقيل وبني الحارث. الحمام: الموت.

(٦) بفتح العين لا بكسرها كما هو شائع الآن، وكذلك قول طرفة بن العبد (إذا مت فانعَيْني بما أنا أهله).

وقَـوِّدْ قَلُـوصِي[1] في الرِّكَـابِ فإنها   ستُضْـحِكُ مسـرورًا وتُبْكِـي بَوَاكِيَـا

(١٢١)

وقال آخَرُ (خالدُ بنُ نَضْلةَ)[2]:

لعَمْـري لَـرَهْطُ المـرءِ خـيرٌ بَقِيَّـةً   عليـه وإنْ عـالَوْا[3] بـه كـلَّ مَركَـبِ
مِنَ الجانبِ الأقصى وإنْ كان ذا غِنًى   جزيـلٍ ولم يُخْـبِرْك مِثْـلُ مُجَـرِّبِ
إذا كنـتَ في قـومٍ ولم تـكُ مـنهمُ   فكُـلْ مـا عُلِفْـتَ مِـن خبيـثٍ وطيِّـبِ

(١) قَوِّد: بمعنى قُدْ، وهو جَرُّ الدابة من أمامها؛ ضد سَوْقها من ورائها، وشُدِّدَ للكثرة.

(٢) شاعر جاهلي، من بني عمرو بن قُعَين، وكان سيد بني أسد، وقيل: إنه أدرك الإسلام، وفيه نظر؛ لأن الأسود بن يَعفُر قد رثاه، والأسود مات في الجاهية. وخالد: هو جَدُّ الشاعر الإسلامي (مضرس بن ربعي)، وجد الشاعر (المرار بن سعيد) أيضا، وسيأتي لهما بعض المقاطيع في هذه الألفية.

(٣) عالوا به: مثل أعلوه؛ أي رفعوه عاليا. والمعنى: عشيرة المرء خير له، وإن أركبوه مراكب صعبة.

(١٣٠)

وقال البَعِيثُ بنُ حُرَيْثِ بنِ جابرٍ[١]:

خَيَــالٌ لأمِّ السَّلْســبيلِ ودُونَهَــا　　مَسِــيرةُ شــهرٍ للبَرِيــدِ المُذبــذَبِ[٢]

فقلــتُ لهــا أهــلًا وسَــهْلًا ومَرْحبًــا　　فــرَدَّتْ بتأهيــلٍ وسَــهْلٍ ومرحَــبِ[٣]

مَعَــاذَ الإلهِ[٤] أن تكــونَ كظَبْيَــةٍ　　ولا دُمْيــةٍ ولا عَقِيلــةِ رَبْــرَبِ

ولكنَّهــا زادتْ عــلى الحُــسْنِ كُلِّــه　　كمــالًا ومِــن طِيــبٍ عــلى كــلِّ طيِّــبِ

وإنَّ مَسِــيري في البِــلادِ ومَنْــزلي　　لَبِالمَنْــزلِ الأقصــى إذا لم أُقَــرَّبِ

ولســتُ وإن قُرِّبــتُ يومًــا ببــائعٍ　　خَلَاقي[٥] ولا قَـوْمي ابتغـاءَ التحبُّـبِ

ويَعْتَــدُّهُ قَــومٌ كثــيرٌ تجــارةً　　ويَمنَعُنــي مِــن ذاك دِينــي ومَنصِــبي

دعــاني يزيــدُ بعــدما ســاءَ ظَنُّــه　　وعَبْسٌ وقد كانا على حَدِّ مَنْكَبِ[٦]

---

(١) شاعر إسلامي من بني حنيفة بن لجيم، وأبوه أيضًا شاعر. لم يترجموا له، ولكن يظهرُ من سلسلة نسبه أنه عاش في حدود سنة ١٠٠هـ. وهو غير (البعيث المجاشعي) الذي كان يُهاجي جريرًا.

(٢) المذبذب: المتردد، وقيل: السريع. ولنتذكر {مذبذبين بين ذلك}.

(٣) ولنتذكر {لا مرحبا بكم}.

(٤) استشهد الزمخشري بهذا البيت على أن اسم (الله) أصله (الإله). ومثله قول عمرو بن كلثوم الذي سيأتي (معاذ الإله أن تنوح نساؤنا) [في القطعة (١٦٠)].

(٥) خلاقي: أي نصيبي من الخير والصلاح، ولنتذكر {لا خلاق لهم}.

(٦) منكب (بفتح الكاف): أي نكبة وهلاك، ويحتمل كسر الكاف؛ ويكون تشبيها بمنكِب الإنسان.

وقـــد عَلِمـــا أنَّ العشـــيرةَ كلَّهـــا – سِوَى مَحْضَري – مِن خاذِلِين وغُيَّبِ

فكنـتُ أنـا الحـامي حقيقـةَ وائـلٍ كمـا كـان يَحـمي عـن حقائقِهـا أبي

(١٣١)

وقال المُثَلَّمُ بنُ رِيَاحٍ[١]:

مَـــن مُبلِـــغٌ عنـــي سِـــنانًا رِســـالةً وشِـجْنَةَ أنْ قُومَـا خُـذا الحـقَّ أوْ دَعَـا

ســأكْفِيكَ جَنْبِــي وَضْــعَهُ ووِســادَهُ وأغضَـبُ إن لم تُعْـطِ بـالحَقِّ أشْـجَعَا[٢]

تَصـــيحُ الرُّدَيْـــنِيَّاتُ فينـــا وفـــيهِمُ صِياحَ بَناتِ الماءِ أصبَحْنَ جُوَّعَا[٣]

لَفَـفْنا البيـوتَ بـالبيوتِ فأصـبحوا بنـي عمِّنـا مَـنْ يَرْمِنـا يَرْمِنـا مَعَـا[٤]

---

(١) المثلم بن رياح بن ظالم المري، شاعر جاهلي، أخباره قليلة. وفي هذه القطعة يرد الشاعر على (سنان بن أبي حارثة) في أمر وقع بينهما. وقد اشتهر منها البيت الثالث، فصار من أشهر الشواهد البلاغية.

(٢) معنى البيت: لا أكلفك شيئا إن أمسكت عما تفعل، وأما إن ظلمت قبيلة أشجع، فسوف أغضب.

(٣) الردينيات: الرماح. بنات الماء: الضفادع أو طيور الماء. والمعنى: أن المطاعنة بيننا اشتدت حتى صار صوت الرماح فيها كالصياح المذكور.

(٤) أي: خلطنا بيوت أشجع ببيوتنا، فأصبحوا كأنهم منا.

(١٣٤)

وقال بَشَامةُ بنُ الغَدِيرِ[١]:

ولقد غضِبْتُ لِخِنْدِفٍ ولِقَيْسِها[٢] ... لَمَّا وَنَى عن نَصْرِها خُذَّالُها
دافَعْتُ عن أعراضِها فمَنَعْتُها ... ولَدَيَّ في أمثالِها أمثالُها
إني امرُؤٌ أَسِمُ القصائدَ للعِدَا ... إنَّ القصائدَ شَرُّها أَغْفالُها[٣]
قَومي بنو الحَرْبِ العَوانِ، بجَمْعِهم ... والمَشْرَفِيَّةِ والقَنَا إشعالُها[٤]
ما زال معروفًا لمُرَّةَ في الوَغَى ... عَلُّ القَنَا، وعليهِمُ إنهالُها[٥]
مِن عهدِ عادٍ كان معروفًا لنا ... أَسْرُ المُلوكِ وقَتلُها وقِتالُها

---

(١) هو خال زهير بن أبي سلمى (من بني مرة بن عوف بن ذبيان). وقيل: الشعر لبشامة بن حزن النهشلي.

(٢) خندف: لقب ليلى امرأة الياس بن مضر، فصارت مضر نسلين: أحدهما ولد قيس عيلان، والآخر خندف. وقوله (لقيسها) لأن الإضافة لأدنى ملابسة. وونى: أي ضعف.

(٣) أَسِم القصائد: أجعل فيها علامات يعرف بها سببها ومَن قيلت فيه. وضد ذلك: الأغفال؛ جمع غَفَل.

(٤) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، فصارت عوانا بعد أن كانت بكرا، ولتتذكر {لا فارض ولا بكر عوان}. المشرفية: السيوف. القنا: الرماح. والمعنى: باجتماع قومي مع السيوف والرماح يحصل اشتعال الحرب.

(٥) الإنهال: سقي الإبل عند أول ورودها. والعل: الشربة الثانية. ومعنى البيت: سقيُ الرماح من دماء أعدائنا واجبٌ علينا في المرة الأولى، وسقيُها مرة ثانية معروف من صنيعنا.

(١٣٥)

وقال أرطاةُ بنُ سُهَيَّةَ المُرِّيُّ(١):

ونحــنُ بَنُــو عَــمٍّ عــلى ذاكَ بَيْننــا زَرَابيُّ فيهـــا بِغْضَـــةٌ وتَنـــافُسُ(٢)
ونحـنُ كصَـدْعِ العُـسِّ إنْ يُعْـطَ شاعِبًا يَدَعْـــهُ وفيـــه عَيْبُـــه مُتَشـــاخِسُ(٣)
كَفَـــى بَيْنَنـــا ألَّا تُـــرَدَّ تَحِيَّـــةٌ عـلى جانـبٍ ولا يُشـمَّتَ(٤) عـاطسُ

(١٣٧)

وقال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الأزديُّ(٥):

لا أدفعُ ابـنَ العـمِّ يَمْشـي عـلى شَـفًا وإنْ بلَغَتْنـــي مِـــن أذاهُ الجَنـــادِعُ
ولكـــنْ أُواسِـــيه وأنسَـــى ذُنُوبَـــه لِتَرجِعَـــه يومًـــا إليَّ الرَّواجِـــعُ
وحَسْـبُك مِـن ذُلٍّ وسُـوءِ صَـنيعةٍ مُنـاواةُ ذي القُرْبَـى وإنْ قِيـلَ قـاطعُ

---

(١) هو أرطاة بن زفر بن عبد الله المزني، وسهية: أمه، وهو شاعر إسلامي أموي، وقيل: أدرك الجاهلية؛ لأنه وفد على عبد الملك بن مروان وعمره ١٣٠ سنة.

(٢) الزرابي: الطنافس ذوات الألوان، ولنتذكر {وزرابي مبثوثة}. ومعنى البيت: مع أننا أبناء عمومة، إلا أن بيننا ألوانًا وضروبًا من التباغض والتنافس. ويروى (على ذات بيننا).

(٣) الصدع: الشرخ. العس: القدح العظيم من خشب. الشاعب: ما يصلح به الصدع. متشاخس: متمايل.

(٤) يروى (يسمت) بالسين، وهما لغتان. واستحضر هذا البيت إذا سئلت شاهدا لتشميت العاطس.

(٥) شاعر إسلامي كما ذكر أبو القاسم الفارسي، ويبدو أنه هو: محمد بن عبيد بن عوف الأزدي؛ الذي ذكره المرزباني في معجم الشعراء، وهو شاعر فصيح أدرك الدولة العباسية.

(١٤٥)

وقال عُرْوةُ بنُ الوَرْدِ[1]:

لَحَى اللهُ صُعْلُوكًا إذا جَنَّ ليلُهُ ... مُصافِي المُشاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزِرِ[2]
يَعُدُّ الغِنَى مِن نفسِه كُلَّ ليلةٍ ... أَصابَ قِرَاها مِن صديقٍ مُيَسِّرِ[3]
يَنامُ عِشاءً ثم يُصبِحُ ناعِسًا ... يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنبِه المُتَعَفِّرِ
ولكنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحةُ وجهِه ... كضَوءِ شِهابِ القابسِ المُتَنَوِّرِ[4]
مُطِلًّا على أعدائه يَزْجُرُونَهُ ... بِساحَتِهم زَجْرَ المَنِيحِ[5] المُشَهَّرِ
إذا بَعُدوا لا يأمَنُون اقترابَه ... تَشَوُّفَ أهلِ الغائبِ المُتَنظَّرِ
فذلك إنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَها ... حَمِيدًا وإن يَسْتَغْنِ يومًا فأَجْدِرِ

(١) شاعر جاهلي من بني عبس، وكان فارسا شجاعا ومعروفا بالجود. لقب بـ(عروة الصعاليك)؛ لأنه كان يجمعهم ويقوم بأمرهم.

(٢) الجادة أن يقول (مصافيَ) بالنصب. المشاش: العظم الهش الذي يؤكل. مجزر: موضع الجزر (أي الذبح)، وهو مكسور الزاي على خلاف القياس.

(٣) ميسر: أي غنيٌّ ذو يَسار، أو هو الذي نُتجت إبله وكثر لبنه.

(٤) صفيحة الوجه: أي صفحته، وهي جانبه. القابس: طالب القبس؛ وهي القطعة من النار. المتنور: المستضيء بنورها. ولنتذكر {بشهاب قبس}، {نقتبس من نوركم}.

(٥) المنيح: من قداح الميسر التي كانوا يستقسمون بها، ولا نصيب له.

(١٤٧)

وقال قَيْسُ بنُ زُهَيْرٍ العَبْسيُّ(١):

تَعَلَّـــمْ أنَّ خــيرَ النـــاسِ حَـــيًّا ... عـــلى جَفْـــرِ الهَبَـــاءةِ لا يَـــريمُ(٢)

ولـــولا ظُلمُـــهُ مـــا زِلْـــتُ أبكـــي ... عليـــه الدَّهْـــرَ مـــا طلَـــعَ النُّجُـــومُ

ولكـــنَّ الفتـــى حَمَـــلَ بْـــنَ بَـــدْرٍ ... بَغَـــى والبَغْـــيُ مَرْتَعُـــهُ وَخِـــيمُ

أظُـــنُّ الحِـــلْمَ دلَّ عَـــلَيَّ قـــومي ... وقـــد يُسْتَجْهَـــلُ الرَّجُـــلُ الحَلِيـــمُ

(١) سبقت له القطعة (٤٤). والأبيات في رثاء حذيفة وحمل ابني بدر الفزاريين.

(٢) جفر الهباءة: بئر معروفة، ماؤها كثير معين، وهي التي قتل عندها حمل بن بدر. يريم: يبرح.

(١٥١)

وقال العبَّاسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمِيُّ[١]:

فلم أرَ مثلَ الحَيِّ حَيًّا مُصبَّحًا[٢] ولا مِثلَنا يومَ التَقَيْنا فوارِسَا

أكَرَّ وأحْمَى للحقيقةِ منهُمُ وأَضْرَبَ منا بالسيوفِ القَوانِسَا[٣]

إذا ما حَمَلْنا حَمْلةً نَصَبوا لنا صُدُورَ المَذَاكي والرِّماحَ الدَّوَاعِسا[٤]

إذا الخَيْلُ جالت عن صريعٍ نَكُرُّها عليهم فما يَرْجِعن إلا عوابِسَا[٥]

---

(١) شاعر وفارس مخضرم، من سادات قومه، أسلم عام الفتح، وهو من المؤلفة، ﷺ. والأبيات المذكورة تعد من المُنصِفات؛ وهي القصائد التي ينصف فيها الشعراءُ أعداءَهم ويحكمون بالعدل.

(٢) أي: لم أر مثل هذا الحي الذين أغرنا عليهم في الصباح، ولا مثلنا.

(٣) القوانس: جمع قونس؛ وهو أعلى الخوذة. والبيت من الشواهد النحوية في باب أفعل التفضيل.

(٤) المذاكي: جمع مُذَكٍّ، وهو الجواد القوي التام السن. الدواعس: من الدَّعْس وهو الدفع.

(٥) المعنى: إذا رجعت الخيل إلينا بعد مصرع فارسها، رجعنا بها إليهم، فترجع الخيل إليهم وهي عابسة.

(١٥٥)

وقال مُساوِرُ بنُ هِنْدٍ(١):

أَوْدَى الشَّــبابُ فمــا لــه مُتَقفَّــرُ(٢) وفَقَــدتُ أتــرابي فــأين المَغْبَــرُ

وأرَى الغَــوانِيَ بعــدَما أَوْجَهْنَنــي(٣) أعرَضْــنَ ثُمَّــت قُلْــنَ: شــيخٌ أعــوَرُ

ورأيْــنَ رأسي صــارَ وَجْهًــا كلُّــه إلا قَفــايَ ولِحْيــةً مــا تُضْــفَرُ

ورأيْــنَ شَــيْخًا قــد تَحَــنَّى صُــلْبُه يَمْشِــي فيَقْــعُسُ أو يُكِــبُّ فيَعْثُــرُ(٤)

لَمَّــا رأيــتُ النــاسَ هَــرُّوا فتنــةً(٥) عَمْيــاءَ تُوقَــدُ نــارُها وتُسعَّــرُ

وتَشــعَّبوا شُعَــبًا فكُــلُّ جزيــرةٍ فيهــا أمــيرُ المؤمنــين ومِنــبرُ

ولَتَعْــلَمَنْ ذُبْيَــانُ إنْ هــي أعرَضَــتْ أنَّــا لنــا الشــيخُ الأغــرُّ الأكــبرُ(٦)

---

(١) مساور بن هند بن قيس بن زهير العبسي، شاعر مخضرم، وفارس؛ أدرك النبي ﷺ، لكنه لم يجتمع به. يعد من المعمرين؛ إذ عاش إلى أيام الحجَّاج.

(٢) تقفر الشيءَ: أي تتبَّعه؛ يقول: ولى الشباب وفات، فلا يستطيع أحد أن يلحقه.

(٣) أي: بعد أن كان لي عندهن وجاهة ومكانة، صرن يعرضن عني.

(٤) القعس: ضد الحَدَب، فهو نتوء الصدر ودخول الظهر. يعثر: أي يقع. ويكب: أي يسقط، وهو فعل لازم، ومنه {أفمن يمشي مكبا}، والمتعدي منه (كَبَّ) الثلاثي، كما في حديث معاذ «وهل يَكُب الناس». فهو خارج عن الجادة في تعدية الأفعال بالهمزة.

(٥) هروا: أي كرهوا. والفتنة العمياء: أي التي لا يهتدى لوجهها.

(٦) أعرضت: ظهرت وأقبلت. ومعنى البيت: أنه يتوعد هذه القبيلة إن جاءتهم أن لديهم الرئيس الكبير الشأن، يقصد (قيس بن زهير) أو (زهير بن جذيمة).

ولنـــا قنـــاةٌ مِـــن رُدَيْنـــةَ صَـــدْقةٌ   زَوْراءُ، حامِـــلُها كـــذلك أزْوَرُ[١]

(١٥٦)

وقال عُرْوةُ بنُ الوَرْدِ[٢]:

قلـتُ لقَـوْمٍ في الكَنيـفِ: تَروَّحـوا   عَشِـيَّةَ بِتْنـا عنـدَ مـاوانَ- رُزَّحِ[٣]

تَنـالُوا الغِنَـى أو تَبلُغُـوا بنُفوسِـكم   إلى مُسـتراحٍ مِـن حِمـامٍ مُبَـرِّحِ[٤]

ليَبْلُـغَ عُـذرًا أو يُصـيبَ رغيبـةً   ومُبلِـغُ نَفْـسٍ عُـذرَها مثـلُ مُـنجِحِ

(١) قناة: رمح. صدقة: صلبة. زوراء: عوجاء، والذي يحملها أعوج؛ يقصد أنه ممتنع متعسر لا يلين لطالبه.

(٢) سبقت له القطعة (١٤٥).

(٣) الكنيف: الحظيرة من الشجر. تروحوا: أي سيروا في الرواح (وهو آخر النهار). رزح: جمع رازح، أي شديد التعب والإعياء، وتقدير البيت: (قلت لقوم رزح عشية كذا: تروحوا...). ماوان: وادٍ.

(٤) حمام: موت. مبرح: شديد.

(١٦٠)

وقال عَمْرُو بنُ كُلْثُومٍ[١]:

مَعَـــاذَ الإله أنْ تَنُـــوحَ نِســـاؤنا   عـلى هالـكٍ أو أنْ نَضِـجَّ مِـنَ القتـلِ
قِـراعُ السُّـيوفِ بالسُّـيوفِ أحَلَّنـا   بـأرضٍ بَـرَاحٍ ذي أراكٍ وذي أَثْـلِ[٢]
فمـا أبْقَـتِ الأيـامُ مِلْمـالِ[٣] عِنـدَنا   سِـوَى جِـذْمِ أذوادٍ مُحـذَّفةِ النَّسْـلِ[٤]
ثلاثـــةُ أثـــلاثٍ؛ فأثمـــانُ خيلِنـــا،   وأقواتُنـا، ومـا نسـوقُ إلى العَقْـلِ[٥]

---

(١) شاعر وفارس جاهلي مشهور، من بني تغلب وكان سيد قومه، وهو من أصحاب المعلقات.

(٢) الأرض البراح: الواسعة التي لا بناء فيها.

(٣) ملمال: أي من المال، وهذا الاستعمال كثير في كلام العرب، ومنه (وما أنس ملأشياء) و(طفت عَلْماء) و(بلعنبر)، وقول ذي الإصبع (في المفضليات):

(أجعل مالي دون الدنا غرضا   وما وهى مِلْأمور فانصدعا)

ومنه أيضا -فيما أرجِّح، والله أعلم- قول الرحبي في منظومة المواريث: (والوارثون مِ الرجالِ عشرة) (والوارثات مِ النساءِ سبع).

(٤) جذم: أي أصل. أذواد: جمع ذَوْد (وهو ما دون العشرة من الإبل). محذفة النسل: مقطوعة الأولاد.

(٥) العقل: الدية؛ أي أن أموالنا مقسمة ثلاثة أقسام، فثلثها للخيل، وثلثها للقوت، وثلثها للديات.

(١٦٤)

وقال الشَّنْفَرَى[١]:

لا تَقْبُــــرُوني إن قَــــبْري مُحـــــرَّمٌ عـلـيكم ولكــنْ أبشــري أمَّ عــامرِ[٢]
إذا احتَمَلـوا رأسي وفي الـرأسِ أكثـري وغُــودِرَ عنــد المُلتـقَى ثَــمَّ ســائري
هنالِــك لا أرجُـــو حيـــاةً تَسُــــرُّني سَــجِيسَ الليـالي مُبْسَـلًا بالجَـرائرِ[٣]

(١) قال الجاحظ عن هذه القطعة: «رأيناه عاليا على كل ما جاء في هذا الباب من الشعر». والأبيات تنسب لتأبط شرا.

(٢) أم عامر: هي الضبع؛ يقصد: إذا قتلتموني فلا تدفنوني، ولكن ألقوني إلى التي يقال لها: خامري أم عامر (وهي الضبع)؛ لتأكلني. لأن الضبع تأكل الجيف.

(٣) سجيس الليالي: أي طَوال الليالي، ودوامَها، ويروى (سمير الليالي) والمعنى واحد. ومبسلًا: أي مسلَما (وقد رُوي بهذا اللفظ)، ومنه {أبسلوا بما كسبوا}، والجرائر: جمع جريرة، وهي الجناية. وهذا البيت من شواهد اللغة المتداولة، وهو من شواهد التفسير المعروفة أيضًا.

(١٦٧)

وقال سَعْدُ بنُ مالكٍ[١]:

يـــا بُـــؤسَ لِلْحَـــرْبِ[٢] التـــي وَضَـــعَتْ أَراهِـــطَ فاســـتراحوا
والحَـــرْبُ لا يَبقَـــى لِجَـــا حِمِـــها التخيُّـــلُ والمِـــراحُ
إلا الفتـــى الصَّـــبَّارُ في النَّـــ ـجَـــدَاتِ والفَـــرَسُ الوَقَـــاحُ[٣]
والنَّثْـــرةُ الحَصْـــداءُ[٤] والـــ بَيْـــضُ المُكلَّـــلُ[٥] والرِّمـــاحُ
والكَـــرُّ بعـــدَ الفَـــرِّ إذْ كُـــرِهَ التقـــدُّمُ والنِّطـــاحُ
وتَســـاقَطَ التَّنْـــواطُ والـــذَّ نَبَـــاتُ إذ جُهِـــدَ الفِضـــاحُ[٦]
كَشَـــفَتْ لهـــم عـــن ســـاقِها وبَـــدَا مِـــنَ الشـــرِّ الصُّـــراحُ
فالْهَـــمُّ بَيْضـــاتُ الخُـــدُو رِ هُنـــاكَ لا النَّعَـــمُ المُـــراحُ

---

(١) هو: سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. شاعر وفارس جاهلي، قتل في حرب البسوس، وهو جد طرفة بن العبد (صاحب المعلقة).

(٢) يستشهد النحويون بهذا البيت على زيادة اللام في قوله (للحرب).

(٣) الوقاح: الصلب الجريء.

(٤) النثرة: الدرع. الحصداء: المجدولة المحكمة.

(٥) البيض المكلل: الخوذات التي عليها المسامير.

(٦) التنواط: الدخلاء (الأدعياء الهجناء). الذنبات: الأذناب (الأتباع والعسفاء). جهد الفضاح: أي اجتهد بعض القوم في أن يفضح بعضا.

بــــئسَ الخـــــلائفُ بَعْـــدَنا   أولادُ يَشْـــــــكُرَ واللِّـــــــقَاحُ
مَـــــن صَـــــدَّ عـــــن نِيرانِـــــها   فأنـــــا ابـــــنُ قـــــيسٍ لا بَـــــرَاحُ[(١)]

(١٧٢)

وقال حسَّانُ بنُ عُلبةَ[(٢)]:

إذا كنـتَ مِـن سَـعْدٍ وأمُّـك مـنهمُ   غريبًا فـلا يَغـرُرْكَ خالُـكَ مِـن سَـعْدِ
فـإنَّ ابْـنَ أختِ القـوم مُصْغًى إنـاؤه   إذا لم يُـزاحِمْ خالَـه بـأبٍ جَلْـدِ

(١٧٧)

وقال رَبِيعةُ بنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّيُّ[(٣)]:

أخُـوكَ أخُـوكَ مَـن يـدنو وترجـو   مَوَدَّتَـــهُ وإن دُعِـــيَ اســـتجابَا
إذا حاربْـتَ حـارَبَ مَـن تُعـادي   وزاد سِـــلاحُه منـــك اقتـــرابَا
وكنـــتُ إذا قَرِينـــي جاذَبَتْـــهُ   حِبـالي مـاتَ أو تَبِـعَ الجِـذَابَا

(١) هذا البيت شاهد نحوي مشهور، على أن (لا) قد تعمل عمل (ليس).

(٢) وقيل: إنها لغسان بن وعلة، والمشهور في كتب الأدب أنها للنمر بن تولب الشاعر الصحابي المعمر (قيل إنه عاش مائتي سنة) رضي الله عنه.

(٣) سبقت له القطعة (٩).

فـإنْ أهلِـكْ فَـذِي[1] حَنَـقٍ لَظَـاهُ عـــليَّ يكـــادُ يَلتهِـــبُ الْتِهـــابَا
مَخَضْـــتُ بـدَلوِه حتـى تَحَـسَّى ذَنُـــوبَ الشَّـــرِّ مَـــلْأَى أو قُـــرابَا[2]

(١٨٣)

وقال شَمْعَلةُ بنُ الأَخْضَرِ[3]:

ويـومَ شَـقِيقةِ الحَـسَنَينِ لاقَـتْ بنُـو شَـيْبانَ آجـالًا قِصَـارَا[4]
شَـكَكْنا بالرِّمـاحِ وهُـن زُورٌ صِمـاخَيْ كَبْشِـهم حتـى اسـتدارَا[5]
فخَـرَّ عـلى الأَلاءةِ لم يُوَسَّـدْ وقـد كـان الدِّمـاءُ لـه خِمـارَا[6]

---

(١) قوله (فذي): أي فرُبَّ ذي، ويكثر في كلام العرب إضمار (رب) بعد الواو، وتضمر قليلا بعد الفاء؛ كما في هذا الشاهد، وكما في معلقة امرئ القيس (فمثلِك حبلى).

(٢) التحسي: الشرب في مهلة وشيئا بعد شيء. ولنتذكر «مَن تحسى سَمًّا». الذنوب: الدلو الكبيرة. قراب: قاربت الامتلاء، ولنتذكر «لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا».

(٣) هو: شمعلة بن الأخضر بن هبيرة الضبي، شاعر وفارس، كان أبوه أحد سادات ضبة.

(٤) شقيقة الحسنين: رملة ببلاد بني تميم. والأبيات إشارة إلى مقتل (بسطام بن قيس)، ومقصود الشاعر التشفي وإظهار الشماتة. وهذه القطعة رَدٌّ على قول ابن عنمة في القطعة (٣٥٥).

(٥) الشك: الطعن. زور: جمع أزور، وهو المعوج. الصماخ: ثقب الأذن. الكبش: رئيس الكتيبة.

(٦) الألاءة: شجر ينبت في الرمل، حسن المنظر، مر الطعم.

(١٩٢)

وقال سِنانُ بنُ الفَحْلِ[1]:

وقــالوا قــد جُنِنــتَ فقُــلتُ كــلَّا ... وربِّـــي مــا جُنِنــتُ ولا انتشَــيْتُ[2]

ولكنـــي ظُلِمْـــتُ فكِــدْتُ أبكــي ... مِــنَ الظُّــلْمِ المُبــيِّنِ أو بَــكَيتُ[3]

فـــإنَّ المـــاءَ مـــاءُ أبي وجَـــدِّي ... وبئــري ذو حَفَــرتُ وذو طَوَيــتُ[4]

وقَبْلَــكَ رُبَّ خَصْــمٍ قــد تَمَــالَوْا ... عــليَّ فمــا هَلِعْــتُ ولا دَعَــوْتُ[5]

ولكنِّـــي نَصَــبْتُ لــهم جَبِيـــني ... وأَلَّـــةَ فـــارسٍ حـــتى قَـــرَيْتُ[6]

---

(١) شاعر إسلامي من طيئ، عاش في الدولة المروانية، والأبيات قالها يخاطب عبد الرحمن بن الضحاك والي المدينة، وكان بنو جرم من طيئ، وبنو هرم بن العشراء من فزارة قد لج بهم الخصام في شأن ماء من مياههم، فترافعوا إلى ابن الضحاك، وكان صهرا للفزاريين، فخشي الطائيون أن يميل في حكومته إلى أصهاره، فبرك سنان بن الفحل أمامه وأنشد الأبيات.

(٢) انتشيت: أي سكرت من شرب الخمر.

(٣) ويروى: (الظلم المبرح).

(٤) شاهد نحوي مشهور جدا على استعمال (ذو) الطائية بمعنى الموصول.

(٥) تمالوا: أي تمالئوا، وخفف الهمزة، ومعناه: تعاونوا وتألبوا علي.

(٦) يقول: ولكني صبرت لهم، وانتصبت في وجوههم، وهيأت عدتي وسلاحي لدفعهم، فعلَ الفارس، حتى خلصت من غصبهم حقي، وقريت الماء من دونهم في حوضي. والألة: الحربة.

(١٩٧)

وقال عُبَيْدُ بنُ ماوِيَّةَ[١]:

أَلَا حَــــيِّ لــــيلى وأطلالَــــها ... ورَمْلَــــةَ رَيَّــــا وأَجْبالَــــها

وأنعِــمْ بمــا أرســلَتْ بالَــها ... ونــالَ التحيــةَ مَــن نالَــها[٢]

فــإني لــذو مِــرَّة مُــرَّةٍ[٣] ... إذا ركِبَــتْ حالــةٌ حالَــها

أُقــدِّمُ بالزَّجْــرِ قبــل الوعيــدِ ... لتَنْهَــى القبائــلُ جُهَّالَــها

وقافيــةٍ مثــلِ حَــدِّ السِّــنَا ... نِ تَبقــى ويَــذهبُ مَــن قالَــها

تجــوَّدْتُ في مجــلسٍ واحــدٍ ... قِرَاهــا وتِسْــعِينَ أمثالَــها

---

(١) بضم العين مصغرًا، وقيل: عَبِيد بفتح فكسر. والأبيات من قصيدة في مدح عبد الملك بن مروان.

(٢) قوله (بالها) مفعول (أنعم)، والباء في قوله (بما أرسلت) للمقابلة؛ أي بدلا مما أرسلت من التحية.

(٣) ذو مِرة: أي قوة وصحة جسم، ولنتذكر {ذو مرة فاستوى}.

(٢٠١)

وقال بُرْجُ بنُ مُسْهِرٍ الطائيُّ[1]:

إلى اللهِ أشكو مِن خليلٍ أَوَدُّهُ ... ثلاثَ خِلالٍ كلُّها لِيَ غائضُ

فمِنهُنَّ ألَّا تَجْمَعَ الدَّهْرَ تَلْعَةٌ ... بُيُوتًا لنا، يا تَلْعَ سَيْلُكِ غامِضُ[2]

ومنهن ألَّا أستطيعَ كلامَه ... ولا وُدَّهُ حتى يَزُولَ عُوارِضُ[3]

ومنهن ألَّا يَجْمعَ الغَزْوُ بيننا ... وفي الغَزْوِ ما يُلْقَى[4] العدُوُّ المُباغِضُ

ويَترُكُ ذا البَأْوِ الشديدِ كأنه ... مِنَ الذلِّ والبَغْضاءِ شَهْباءُ ماخِضُ[5]

فسائلْ هداكَ اللهُ: أيُّ بني أبٍ ... مِن الناسِ يَسْعَى سَعْيَنا ويُقارِضُ[6]

نُقارِضُك الأموالَ والوُدَّ بيننا ... كأنَّ القلوبَ راضَها لك رائضُ

كفى بالقُبورِ صارِمًا لو رَعَيْتَهُ ... ولكنَّ ما أعلَنتَ بادٍ وخافِضُ[7]

---

(١) شاعر جاهلي معمَّر.

(٢) التلعة: أرض مرتفعة عن الوادي. غامض: ناقص ذاهب؛ يدعو على هذه التلعة بأن يغيض ماؤها.

(٣) عوارض: جبل. والمعنى: لا أستطيع كلامه أبدا.

(٤) من الشواهد على استعمال (ما) مصدرية.

(٥) شهباء ماخض: ناقة ضعيفة حامل.

(٦) يقارض: يعطي القروض (واستشهِدْ بالبيت في باب **القرض** من الفقه).

(٧) صارما: من الصرم (أي القطيعة). والمعنى: أن مآل الناس جميعا إلى القبور، فهي كافية في حصول القطيعة التي تريدها بيننا لو انتظرتها، ولكنك أبيت ذلك بسبب ما لديك من البغض؛ فبغضك ظاهر وإن كان في صدرك.

(٢١١)

وقال قَوَّالٌ الطائيُّ[(١)]:

قُـولَا لهـذا الـمَرْءِ ذُو جـاءَ سـاعِيًا   هلُــمَّ فــإن المَشْــرَفِيَّ الفــرائضُ[(٢)]
وإنَّ لنـا حَمْضًـا مِـنَ المـوتِ مُنقَعًـا   وإنَّـكَ مُـخْتَلٌّ فهَـلْ أنْـتَ حـامِضُ[(٣)]
أظنُّـكَ دُونَ المـالِ ذو جِئْـتَ تَبتغِـي   سـتَلْقَاكَ بِـيضٌ للنُّفُـوسِ قـوابِضُ[(٤)]

(١) شاعر إسلامي أموي، أدرك أوائل الدولة العباسية، والأعرابية واضحة في الأبيات.

(٢) من شواهد النحو على استعمال (ذو) بمعنى (الذي). المشرفي: السيف. الفرائض: جمع فريضة؛ والمقصود الزكوات التي جاء هذا الساعي لتحصيلها.

(٣) مختل: أي آكل للخُلَّة؛ والخلة: كل نبات حُلو ترعاه الإبل، والحَمْض: ما ملح من النبات، تأكله الإبل إذا سئِمتِ الخلةَ، والعرب تقول: (الخلة خبزُ الإبل، والحمض فاكهتُها).

(٤) شاهد نحوي لاستعمال (ذو) بمعنى (الذي).

(٢١٥)

وقال زُفَرُ بنُ الحارِثِ(١):

أفي اللهِ: أمَّـا بَحْـدلٌ وابـنُ بَحْـدلٍ   فيَحيـا وأمَّـا ابـنُ الزُّبَيـرِ فيُقتـلُ
كـذَبتُم وبيـتِ اللهِ لا تَقتُـلونه   ولَمَّـا يكُـنْ يـومٌ أغـرُّ مُحَجَّلُ
ولَمَّـا يكُـنْ للمَشْـرَفيَّةِ فَوقَـكم   شُعاعٌ كقَرْنِ الشمسِ حين تَرَجَّلُ(٢)

(٢١٧)

وقال القَتَّالُ الكِلَابيُّ(٣):

إذا هَـمَّ هَمًّـا لم يَـرَ الليـلَ غُمَّـةً   عليـه ولم تَصْـعُبْ عليـه المَـراكِبُ
قَرَى الهَمَّ إذْ ضافَ الزَّمَاعَ فأصبَحَتْ   مَنَازِلُـه تَعْـتَسُّ فيهـا الثعالـبُ(٤)
جَلِيـدٌ كـريمٌ خِيمُـه وطِباعُـه   على خَيرِ ما تُبنَى عليه الضَّـرائِبُ(٥)

---

(١) سبقت له القطعة (٢٨).

(٢) المشرفية: السيوف. قرن الشمس: أول ما يظهر منها. ترجل: أي ترتفع للضحى.

(٣) اسمه: عبد الله بن مجيب، من بني عامر بن صعصعة. وهو شاعر إسلامي، وقيل مخضرم. لقب بالقتال لكثرة فتكه، وكان من الفرسان الشجعان.

(٤) الزماع: العزم على الأمر. تعتس: تطوف. ومعنى البيت: أنه جعل الهم النازل به كالضيف، فقراه وأكرمه بالنفاذ والعزيمة على الأمر الذي يريده، فصارت منازله خاوية من بعده.

(٥) الخيم: الطبيعة والخُلُق. الضرائب: جمع ضَرِيبة، وهي الخليقة.

إذا جــاعَ لم يَفــرَحْ بأَكْلــةِ ســاعةٍ ... ولم يَبْتئِسْ مِن فَقْدِها وهْو ساغِبُ[١]
يَـرَى أنَّ بَعْـدَ العُسْـرِ يُسْـرًا ولا يَـرَى ... إذا كــان عُسْــرٌ أنــه الدَّهْــرَ لازِبُ[٢]

(٢١٨)

وقال أَوْسُ بنُ حَبْناءَ[٣]:

إذا الـمــرءُ أَوْلاكَ الهَــوَانَ فأَوْلِــهِ ... هَوَانًــا وإن كانــتْ قريبًــا أَواصِــرُهْ
فــإنْ أنــتَ لم تَقــدِرْ عــلى أنْ تُهِينَــهُ ... فـذَرْهُ إلى اليـومِ الـذي أنـتَ قـادِرُهْ[٤]
وقــارِبْ إذا مــا لم تكُــنْ لـك حِيلـةٌ ... وصَــمِّمْ إذا أيقنْــتَ أنــك عــاقِرُهْ

(١) ساغب: جائع.

(٢) لازب: دائم، وأصله اللاصق، ولنتذكر {من طين لازب}.

(٣) شاعر إسلامي، وتنسب القطعة أيضا للمغيرة بن حبناء، ويبدو أنهما أخوان.

(٤) إما أن يكون المعنى: قادر عليه (فيكون الضمير للمفعول، وحُذف الجار اختصارا)، وإما أن يكون المعنى: قادر فيه (فيكون الضمير لليوم، من باب الإضافة إلى الظرف كقوله: {بل مكر الليل والنهار}).

(٢١٩)

وقال آخَرُ[١]:

إني إذا مـا القـومُ كـانوا أَنْجِيَـةْ[٢] واضْطَرَبَ القومُ اضطرابَ الأَرْشِيَةْ[٣]
وشُـدَّ فـوقَ بعضِهـم بالأَرْوِيَـةْ[٤] هنـاك أَوصِـيني ولا تُـوصي بِيَـهْ

(٢٢٠)

وقال المُتَلَمِّسُ[٥]:

ألـم تَـرَ أنَّ المَـرْءَ رَهْـنُ[٦] مَنِيَّـةٍ صريعٌ لعافِي الطيرِ أو سوف يُرْمَسُ[٧]
فـلا تَقـبَلَنْ ضَيْمًـا مخـافةَ مِيتـةٍ ومُـوتَنْ بهـا حُـرًّا وجِلـدُكَ أملَـسُ

---

(١) هو: سُحَيْم بنُ وَثِيل الرياحي، وهو شاعرٌ مخضرم عاش في الجاهلية أربعين سنة وفي الإسلام ستين سنة، وهو صاحب الأبيات المشهورة (وهي في الأصمعيات):

(أنا ابنُ جَلَا وطلَّاعُ الثنايا متى أضعِ العمامةَ تعرِفوني)

(٢) أنجية: جمع نجي، ولنتذكر {خلصوا نجيا}، والمعنى: صار القوم جماعات يتناجون ويتشاورون فيما نزل بهم.

(٣) الأرشية: جمع رِشاء، وهو الحبل يستقى به من البئر.

(٤) الأروية: جمع رِواء، وهو الحبل يستقى به.

(٥) شاعر جاهلي، واسمه جَرِيرُ بنُ عبد المسيح، من أشعر الشعراء المقلين في الجاهلية، وكان ينادم ملك الحيرة، والمتلمس هو خال (طرفة بن العبد)، وقد لقب بذلك لما قاله في البيت التاسع من هذه القطعة.

(٦) أي: كل إنسان مرتهن بأجله، ولنتذكر (باب الرهن) في الفقه.

(٧) عافي الطير: أي رائدُه؛ وهو الذي يطلب ما يأكله، يُرمس: أي يوضع في الرَّمْس؛ وهو القبر.

فمِـنْ طَلَـبِ الأوْتـارَ مـا حَـزَّ أنفَـهُ   قَصِيرٌ[1] وخاضَ الموتَ بالسيفِ بَيْهَسُ
نَعامــةُ لَمَّــا صَرَّعَ القــومُ رَهْطَــهُ   تَبَــيَّنَ في أثوابــه كيــفَ يَلْــبَسُ[2]
ومـا النـاسُ إلا مـا رأوا وتحــدَّثوا   ومـا العَجْـزُ إلا أن يُضـامُوا فيَجْلِسـوا
ألـم تَـرَ أن الجَـوْنَ أصبَحَ راسِـيًا   تُطِيــفُ بــه الأيــامُ مــا يَتــأيَّسُ[3]
عصَـى تُبَّعًـا أزمـانَ أُهلِكَـتِ القُـرَى   يُطَـانُ عليـه بالصَّـفِيحِ ويُكلَـسُ[4]
هلُــمَّ إليهــا قــد أُثِـيرتْ زُرُوعُهــا   وعـادت عليهـا المَنْجنُـونُ تَكَـدَّسُ[5]
وذاك أوانُ العِــرْضِ حَــيَّ ذُبابُــهُ   زَنَابِــــيرُهُ والأزرَقُ المُتَلمِّــــسُ[6]
يكــونُ نَــذِيرٌ مِــن ورائــيَ جُنَّــةً   ويَنصُــرُني مــنهم جُلَــيٌّ وأَحْمَــسُ

(١) يشير إلى قصة (قصير) و(الزبَّاء) مع (جذيمة الأبرش)، انظرها في **تاريخ الطبري** وغيره.

(٢) يشير إلى قصة (بيهس) الذي يلقب نعامة، في الانتقام لإخوته ممن قتلوهم، وكيف تحامق وتصنع الجنون حتى أخذ بثأره، انظرها في **مجمع الأمثال** وغيره.

(٣) الجون: حصن باليمامة. تطيف به الأيام: أي تلم به الحوادث والنوائب. يتأيس: يلين.

(٤) هذا البيت بيان للبيت السابق؛ و(عصى تبعا) يقصد أن حصن الجون السابق ذكره قد امتنع من تبع عندما غزا القرى فأهلكها؛ لأنه كان مبنيا بالحجارة بدلا من الطين.

(٥) إليها: أي اليمامة. المنجنون: الدولاب (المستدير الذي يستخرج به الماء). تكدس: يعلو بعضها بعضا.

(٦) العِرْض: وادٍ باليمامة. حي ذبابه: أي عاش، والشطر الثاني بدل تفصيل بعد إجمال؛ كأنه يقول: أدعو لذباب هذا الوادي بالحياة والعيش الخصيب، ودعائي شامل لكل أنواعه من الزنابير والزرق.

وجَمْعَ بنـي قُـرَّانَ فـاعرِضْ علـيهِمُ فـإن يَقبَلـوا هاتَـا التـي نحـنُ نُـؤبَسُ[١]

فــإن يُقبِلــوا بــالوُدِّ نُقبِــلْ بمِثلِــهِ وإلا فإنَّـــا نحـــنُ آبَـــى وأشـــمَسُ[٢]

وإن يَــكُ عَنَّــا في حُبَيْـــبٍ تثاقُــلٌ فقــد كــان مِنَّــا مِقنَــبٌ مــا يُعــرِّسُ[٣]

(٢٢٣)

وقال قُرَادُ بنُ عَبَّادٍ[٤]:

إذا المـرء لم يَغضبْ له حين يَغضبُ فوارسُ إنْ قيل اركبوا الموتَ يَركبوا

ولم يَحْــبُه بالنصـــرِ قـــومٌ أعِـــزَّةٌ مقـــاحيمُ في الأمـــرِ الـــذي يُتهيَّـــبُ

تَهضَّـــمَه أدنـــى العـــدوِّ ولم يـــزَلْ وإن كـــان عِضًّـــا بالظُّلامـــة يُضـــرَبُ

فآخِ لحال السِّلمِ مَن شئتَ واعلمَنْ بـأنَّ سِوَى مـولاكَ في الحـربِ أَجنَبُ

ومـــولاك مـــولاك الـــذي إن دعوتَـــه أجابــك طوعًـــا والدمـــاءُ تَصـــبَّبُ

فلا تخـذُلِ المـولى وإن كـان ظالمًـا فـــإنَّ بـــه تُثـــأى الأمـــورُ وتُـــرأبُ

(١) هاتا: أي هذه (أي الخطة). ونؤبس: أي نقهر ونغلب عليها. و(جمع بني قران) مفعول به، من باب الاشتغال، كقوله تعالى: {وكلا ضربنا له الأمثال}.

(٢) أشمس: من الشِّماس؛ وهو الامتناع والإباء.

(٣) المقنب: زهاء ثلاثمائة من الخيل. يعرس: أي ينزل بالليل للراحة. والمعنى: إن حصل تكاسل من بني حبيب في طلب ثأرنا، فقد كان من جماعتنا طائفة كبيرة تسهر وتدأب في طلب ذلك.

(٤) من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مات نحو ١٦٠هـ وقد جاوز المائة. قال أبو هلال: اسمه (قراد بن العيار).

(٢٣٩)

وقال الهُذْلُولُ بنُ كَعْبٍ العَنْبَرِيُّ[١]:

تقــولُ ودَقَّــتْ صَــدْرَها بيَمينِهــا ... أبَعْـلِيَ هـذا بـالرَّحَى المُتـقاعِسُ[٢]
فقلــتُ لــها: لا تَعْجَـلِي وتَبيَّنــي ... بلائــي إذا التقَّــتْ عــليَّ الفــوارسُ
أَلَسْــتُ أرُدُّ القِــرْنَ يركَــبُ رَدْعَــهُ ... وفيــه سِــنانٌ ذو غِــرارَينِ يــابِسُ[٣]
وأحتمِــلُ الأَوْقَ الثقيــلَ وأمْــتَرِي ... خُلُـوفَ المنايا حين فرَّ المُغـامِسُ[٤]
وأَقـرِي الـهُمومَ الطارِقـاتِ حَزَامـةً ... إذا كثُـرَتْ للطارقــاتِ الوَســاوِسُ
إذا خــامَ أقــوامٌ تقحَّمــتُ غَمْــرةً ... يَهــابُ حُمَيَّاهــا الألــدُّ المُداعِـسُ[٥]
لعَمْــرُ أبيــكِ الخــيرِ إني لَخَــادمٌ ... لِضَيْــفي وإني إنْ رَكِبْــتُ لَفــارِسُ
وإني لأشْـري الحـمدَ أبغـي رَبَاحَـه ... وأتـرُكُ قِـرْني وهْـو خَزْيـانُ نـاعِسُ

---

(١) في الكامل للمبرد: أن هذه الأبيات لأعرابي من بني سعد بن زيد مناة، فنزل به أضياف، فقام إلى الرحى فطحن لهم، فمرت به زوجته، فرأته، فأخبر بذلك في هذه القطعة.

(٢) القعس: خلاف الحدب، وهو خروج الصدر ودخول الظهر.

(٣) يركب ردعه: يخر صريعا. غرارين: حدين. يابس: صلب.

(٤) الأوق: الثقل. أمتري: أمسح. خلوف: جمع خِلف (الضرع). المغامس: المنغمس في الحرب، ومعنى البيت: أنه يصف نفسه بالشجاعة والتعرض للموت في الحرب عند فرار الأبطال منها.

(٥) خام: جبن. حمياها: سَوْرتها وشدتها. المداعس: من الدَّعْس، وهو الطعن.

(٢٤٤)

وقال سالِمُ بْنُ وابِصةَ[(١)]:

عليكَ بالقَصْدِ فيما أنت فاعِلُه ... إنَّ التخلُّقَ يأتي دُونه الخُلُقُ[(٢)]

ومَوقفٍ مثلِ حدِّ السيفِ قُمتُ به ... أحمِي الذِّمارَ وتَرميني به الحَدَقُ

فما زَلِقْتُ ولا أبلَيْتُ فاحِشةً ... إذا الرجالُ على أمثالِها زَلِقوا

---

(١) شاعر وفارس، من شعراء عبد الملك بن مروان، وهو تابعي، وهو ابن الصحابي (وابصة بن معبد)، وكان يؤم الناس بالرقة. والبيت الأول في هذه القطعة من أشهر الأبيات في كتب الأدب، وصدره في كثير منها: (يا أيها المتحلي غير شيمته)، وينسب للعرجي.

(٢) المعنى: عليك بالتوسط والاعتدال فيما تفعل، وترك التكلف لما ليس من شيمتك؛ فإن الطبع غلاب.

(٢٥٠)

وقالت عاتكةُ بنتُ عبدِ المطَّلِبِ(١):

سـائِلْ بنـا في قومِنـا ... ولْيَـكْفِ مِـن شَـرٍّ سَمـاعُهْ
قَيْـسًا ومـا جَمَـعوا لنـا ... في مَجْـمَعٍ بـاقٍ شَـنَاعُهْ
فيـه السَّـنَوَّرُ والقَنَـا ... والكَـبْشُ مُلتمِـعًا قِناعُـهْ(٢)
بِعُكـاظَ يُعْشِـي الناظِريـ ... ـنَ -إذا هُـمُ لَـمَحوا- شُـعاعُهْ
فيـه قَـتَلْنا مالِـكًا ... قَسْـرًا وأَسْـلَمَهُ رَعَـاعُهْ
ومُجَـدَّلًا غادَرْنَـه ... بالقـاعِ تَنْـهَسُه(٣) ضِـبَاعُهْ

(١) إحدى عمات النبي ﷺ، اختلف في إسلامها.

(٢) السنور: الدرع (أو: آلة الحرب). القنا: الرماح. الكبش: رئيس الكتيبة. قناعه: أي البيضة (الخوذة).

(٣) النهس: أخذ الشيء بمقدم الفم، ويروى (تنهشه)؛ وهو الأخذ بالأنياب، وقيل: هما بمعنى واحد. والضمير في (غادرنه) للخيل.

(٢٥٢)

وقالت امرأةٌ من بني عامرٍ[١]:

وحَـرْبٍ يَضِـجُّ القـومُ مِـن نَفَيَانِها ضَـجِيجَ الجِمـالِ الجِـلَّةِ الـدَّبِراتِ[٢]
سيَتـرُكُها قـومٌ ويَصْـلَى بحَرِّهـا بنـو نِسـوةٍ للثُّكْـلِ مُصْـطَبِراتِ
فـإنْ يَـكُ ظنِّي صـادقًا وهْـو صـادِقِي بكُـم وبأحـلامٍ لكُـمْ صَـفِراتِ[٣]
تُعِـدْ فِـيكُمُ جَـزْرَ الجَـزُورِ رِماحُنـا ويُمْسَـكْنَ بالأكبـادِ مُنكَسِـراتِ[٤]

(٢٥٣)

وقال مَعْبَدُ بنُ عَلْقمةَ[٥]:

غُيِّـبْتُ عـن قتـلِ الحُتَـاتِ وليتَنـي شـهِدْتُ حُتاتًـا يـومَ ضُرِّجَ بالـدمِ
وفي الكَـفِّ منـي صـارمٌ ذو حقيقـةٍ متـى مـا يُقـدَّمْ في الضَّريـبةِ يُقْـدِمِ
فـيَعلمَ حَيَّـا مالـكٍ ولَفِيفُهـا بـأنْ لَسْـتُ عـن قتـلِ الحُتـاتِ بمُحْـرِمِ

---

(١) وهي أمامة العامرية. وقيل: امرأة من بني قشير (من بني عامر).

(٢) نفيان القدر: ما يتطاير منها عند الغليان، والمقصود هنا: ما يتطرف من الجيش عند احتدام الحرب. الجلة: الإبل المسنة. الدبرات: من الدَّبَر؛ وهو القرح يصيب خف الدابة أو ظهرها.

(٣) أحلام: عقول. صفرات: خاوية.

(٤) جزر الجزور: أي ذبحها. الأكباد: الأوساط. ويروى (يمسِكن) بالكسر.

(٥) شاعر إسلامي مغمور، يبدو أنه عاش في الدولة الأموية.

فقُــلْ لِــزُهيرٍ إنْ شَــتَمْتَ سَرَاتَنــا فلَسْـــــنا بشَـــــتَّامِينَ للمُتَشَـــــتِّمِ
ولكنَّنــا نــأبى الظُّــلَامَ[1] ونَعتصــي بكُــلِّ رَقيــقِ الشَّــفْرَتينِ مُصــمِّمِ
وتَجــهَلُ أيــدينا ويَحــلُمُ رأيُنــا ونَشـــتِمُ بالأفعـــالِ لا بالتـــكلُّمِ
وإنَّ التمــادي في الــذي كــان بينَنَــا بكفَّـــيْكَ فاســتأخِرْ لــه أو تَقَــدَّمِ

(٢٥٤)

وقال أميَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ[2]:

غَــذَوْتُكَ مولــودًا وعُلْتُــكَ يافِعًــا تُعَـــلُّ بمـــا أُدْنِي إليـــكَ وتُنْهَـــلُ
إذا ليلــةٌ نابَتْــكَ بالشَّــكْوِ لم أبِــتْ لشَـــكْوِكَ إلا ساهِـــرًا أتمـــلمَلُ
كــأني أنــا المــطروقُ دُونــك بالــذي طُرِقْـــتَ بـــه دُوني وعينِـــيَ تَهمِـــلُ
فلمَّــا بلَغْــتَ السِــنَّ والغايــةَ التــي إليهــا مَــدَى مــا كنــتُ فيــكَ أؤمِّــلُ
جَعَلْتَ جزائي منك جَبْهًا وغِلظةً كأنــك أنــت المُنــعِمُ المتــفضِّلُ
فليتـــك إذ لم تَـــرْعَ حـــقَّ أبـــوَّتي فعلــتَ كمــا الجــارُ المجــاورُ يفعَــلُ
تـــراهُ مُعِـــدًّا للخِـــلافِ كأنـــه بِــرَدٍّ عــلى أهــلِ الصــوابِ مُوكَّــلُ

---

(١) الظلام (بضم الظاء): بمعنى المظلمة.

(٢) شاعر مخضرم مشهور، أدرك الإسلام لكنه لم يسلم، وكان في الجاهلية قد نظر في الكتب، توفي سنة ٩هـ.

(٢٥٥)

وقالت امرأةٌ من بني هِزَّانَ(١):

رَبَّيْـتُه وهْـو مثـلُ الفَـرْخِ، أعظَمُـهُ ... أمُّ الطعـامِ، تَـرَى في جِلْـدِه زَغَبَـا(٢)

حتـى إذا آضَ كالفُحَّـالِ شَـذَّبَه ... أبَّـارُه ونَفَـى عـن مَتْنِـه الكَرَبَـا(٣)

أنشـا يُمـزِّقُ أثـوابي يُؤدِّبُـني ... أبَعْـدَ شـيبِيَ عنـدي تَبتغـي الأدَبَـا

إني لأُبصِـرُ في تَرجِيـلِ لِمَّـتِهِ ... وخَـطِّ لِحْيـتِه في وجهِـه عَجَبَـا

قالـت لـه عِرْسُـهُ(٤) يومًـا لتُسْـمِعَني ... مَهْـلًا فـإنَّ لنـا في أمِّنـا أَرَبَـا

ولـو رأتنِـيَ في نـارٍ مُسـعَّرةٍ ... ثـم استطاعتْ لَـزَادتْ فوقَهـا حَطَبَـا

---

(١) يقال لها: أم ثواب. وقصتها ذكرها أبو عبيدة في (العققة والبررة)، وهذا يوحي بقدمها.

(٢) أم الطعام: البطن.

(٣) الفحال: فَحْل النخل. شذَّبه: قطع شَذَبه؛ أي قِشْره. الأبَّار: الذي يصلح النخل والزرع. الكَرَب: أصول السعف تُترك ليرتقى عليها.

(٤) عرسه: زوجه.

(٢٦٠)

وقال جُرَيْبَةُ بنُ الأَشْيَمِ الفَقْعَسِيُّ[١]:

فِـــدًى لِفَوارِســـيَ المُعْلَميـــ ـــنَ تـحتَ العَجاجـةِ خـالي وعَـمْ[٢]
هُـــمُ كشَـــفوا عَيْبَـــةَ العـــائِبينَ مِـــنَ العـــارِ أَوْجُهُـــهُمْ كالحُـــمَمْ
إذا الخيلُ صاحتْ صِياحَ النُّسُورِ حَـــزَزْنا شَراسِيـــفَها بالجِـــذَمْ[٣]
إذا الدَّهْـــرُ عضَّـــتْك أنيـــابُه لَـــدَى الشـــرِّ فـأْزِمْ بـــه مـــا أَزَمْ[٤]
ولا تُلْـــفَ في شـــرِّه هائِـــبًا كأنـــك فيـــه مُسِـــرُّ السَّـــقَمْ
عَرَضْـــنا نَـــزالِ فلَـــم يَنزِلـــوا وكانـــتْ نَـــزالِ علـــيهِم أطَـــمْ
وقـــد شَـــبَّهوا العِـــيرَ أفراسَـــنَا وقـــد وجَـــدوا مَيْرَهـــا ذا بَشَـــمْ[٥]

---

(١) من شعراء بني أسد في الجاهلية، وأدرك الإسلام فأسلم. وفي قصة هذه الأبيات أقوال؛ منها: أن بني ضبيعة وبني فقعس التقيا في طلب بعض الغنائم على غير ميعاد، فصاح بنو فقعس: نزال نزال، فأبى بنو ضبيعة وقاتلوا على الخيل، فهزمتهم بنو فقعس، فقال الشاعر هذه الأبيات.

(٢) المعلمين (بفتح اللام وكسرها) أي لهم علامات يشتهرون بها في الحرب. العجاجة: الغبار.

(٣) الشراسيف: جمع شُرْسُوف؛ وهو طرف الضلع. الجذم: السياط.

(٤) الأَزْم: العض. والمعنى: اثبت له ما ثبت لك؛ من باب المقابلة.

(٥) العير: الإبل عليها الميرة (وهي: الطعام يجلب للبيع وغيره). بشم: امتلاء وتخمة. ومعنى البيت: أن هؤلاء القوم ظنوا خيولنا سهلة المنال، فأخلف ظنهم. شبه ما لاقوه بالتخمة والكظة.

(باب المراثي)

(٢٦٣)

وقال عَبْدةُ بنُ الطَّبِيب(١):

عليك سَلامُ اللهِ قيسَ بْنَ عاصمٍ ... ورحمتُه ما شاء أن يَترحَّمَا
تحيَّةَ مَنْ غادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى ... إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سَلَّمَا(٢)
فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلكُ واحدٍ ... ولكنه بُنيانُ قومٍ تهدَّمَا(٣)

(٢٦٤)

وقال هِشامٌ أخو ذي الرُّمَّةِ(٤):

تعزَّيْتُ عن أوفَى بغَيْلانَ بعدَهُ ... عَزاءً وجَفْنُ العينِ مَلْآنُ مُتْرَعُ
نَعَى الرَّكْبُ أوفَى حين آبَتْ رِكابُهم ... لعَمْري لقد جاءوا بِشَرٍّ فأوجَعُوا
نَعَوْا باسِقَ الأفعالِ لا يَخْلُفُونَهُ ... تكادُ الجِبالُ الصُّمُّ منه تَصَدَّعُ

---

(١) بسكون الباء، وهو شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم، وشهد بعض الوقائع والفتوح. واسم أبيه: يزيد بن عمرو. وعبدة: شاعر مجيد على قلة شعره، والأبيات المذكورة من أشهر المختارات له.

(٢) غرض الردى: أي هدفا منصوبا للموت. شحط: بُعْد.

(٣) يجوز في (هُلْك) الرفع والنصب، والبيت شاهد مشهور في كتب النحو.

(٤) هشام بن عقبة العدوي، واسم أخيه ذي الرمة: غيلان. وفي هذه القطعة يرثي أخاهما الثالث (أوفى).

خَوَى المسجدُ المعمورُ بعدَ ابنِ دَلْهَمٍ وأمسَى بأوفَى قومُه قد تَضَعْضَعُوا
فلم تُنْسِني أوفَى المُصِيباتُ بعدَه ولكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوجَعُ[1]

(٢٦٥)

وقال مُتمِّمُ بنُ نُوَيْرةَ[2]:

لقد لامني عندَ القبورِ على البُكا رَفِيقي لتَذْرافِ الدُّموعِ السَّوافِكِ
فقال: أتبكي كلَّ قبرٍ رأيتَهُ لقَبْرٍ ثَوَى بين اللِّوَى فالدَّكادِكِ
فقلتُ له: إن الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فدَعْني فهذا كلُّهُ قبرُ مالِكِ

(٢٦٨)

وقال رجلٌ من خَثْعَمَ[3]:

نَهِلَ الزَّمانُ وعَلَّ غيرَ مُصرَّدِ مِن آلِ عتَّابٍ وآلِ الأسْوَدِ[4]

---

(١) نكء القرح: قشره. القرح (بالفتح ويضم): الجرح أو ألمه، ولنتذكر {من بعد ما أصابهم القرح}.

(٢) يرثي أخاه مالكا.

(٣) هو حارثة بن بدر (شاعر مخضرم)، وقيل: عمرو بن النعمان البياضي. والبيت الأخير في القطعة من أشهر أبيات الاستشهاد المتداولة. والمشهور فيه (غير مسود).

(٤) نهل: أي شرب حتى روِي. عل: شرب مرة بعد مرة. مصرد: منقوص مقلل.

مِـن كـلِّ فيَّـاضِ اليـدينِ إذا غَـدَتْ نَكْبـاءُ تُلْـوِي بـالكَنِيفِ المُوصَــدِ[١]
فـاليومَ أَضْـحَوْا للمَنُـونِ وَسِـيقةً[٢] مِـــن رائــحٍ عَجِــلٍ وآخَــرَ مُغتَــدِ
خَلَـتِ الدِّيـارُ فسُـدْتُ غـيرَ مُـدافَعٍ ومِـــنَ الشـــقاءِ تفــرُّدي بالسُّـــودَدِ

(٢٧٧)

وقال البَرَاءُ بنُ رِبْعيٍّ الفَقْعَسيُّ[٣]:

أَبَعْــدَ بنــي أمِّــي الــذين تَتَــابَعُوا أُرجِّـي الحـياةَ أمْ مِـنَ المـوتِ أجـزَعُ
ثمـــانيةٌ كـــانوا ذُؤابـــةَ قـــومِهم بهــم كنــتُ أُعطـي مَـن أشـاءُ وأمنَـعُ
أولئــك إخــوانُ الصَّــفاءِ رُزِئْــتُهُمْ ومـــا الكــفُّ إلا إصــبَعٌ ثــم إصــبَعُ
لَعَمْــرُكَ إني بالخــليلِ الــذي لــه عــــليَّ دَلالٌ واجِـــبٌ لمُفـــجَّعُ
وإنيَ بالمَــولى الــذي لـيس نـافِعِي ولا ضــــائِرِي فِقْدانُــــه لمُمــــتَّعُ

---

(١) نكباء: ريح من غير الجهات الأربع؛ وهي تدل على الجدب. تلوي: تذهب بالشيء (أي تزيله). الكنيف: الحظيرة. الموصد: المغلق، ويروى (المؤصد)، ولنتذكر {إنها عليهم مؤصدة}.

(٢) وسيقة: طريدة، وأصلها جماعة الأتن يسوقها الفحل.

(٣) شاعر جاهلي، كنيته أبو الحبال، أو أبو الحناك. والقطعة واضحة الغرض.

(٢٨٧)

وقال نَهْشَلُ بنُ حَرِّيٍّ[١]:

أغَــرُّ كمِصْــباحِ الدُّجُنَّــةِ يتَّقِــي قَــذَى الــزادِ حتــى يُسـتفادَ أطايِبُــهْ

وهَــوَّنَ وَجْــدي عــن خلــيلِيَ أننــي إذا شِـئتُ لاقَيْـتُ امْـرَأً مـاتَ صـاحِبُهْ

أخٌ ماجــدٌ لم يُخْــزِني يــومَ مَشْــهَدٍ كما سيفُ عَمْرٍو[٢] لم تَخُنْهُ مَضَارِبُهْ

(٢٨٩)

وقال رجلٌ من بني أَسَدٍ[٣]:

خلــيليَّ هُبَّــا طــالَ مــا قــد رَقَدْتُمــا أجِدَّكمــا لا تَقضِــيانِ كَرَاكُمــا[٤]

ألــم تَعْلمــا مــا لي برَاوَنْــدَ كلِّهــا ولا بخُــزاقٍ مِــن خليــلٍ سِواكُمــا

أقــيمُ عــلى قبرَيْكمــا لســتُ بارِحًــا طَـوَالَ الليـالي أو يُجيـبَ صَدَاكُمـا[٥]

---

(١) شاعر شريف مخضرم، بقي إلى أيام معاوية ﷺ. وقيل: الصواب أن الأبيات للشمردل بن شريك، وهو شاعر هجاء من بني ثعلبة بن يربوع.

(٢) المقصود: عمرو بن معدي كرب، الفارس الشجاع المشهور، وقد سبقت له القطعة (٣٤). وقوله: (يوم مشهد)؛ أي حرب وغزو؛ ومنه قولهم في تراجم الصحابة: «شهد المشاهد كلها».

(٣) اختلفوا في قائله، لكن خلافهم لا يخرج عن عصور الاحتجاج.

(٤) أجدكما: أي أتجعلان هذا الفعل منكما جِدًّا. الكرى: النوم.

(٥) طوال (بفتح الطاء): أي طول. الصدى: طائر كانت العرب تزعم أنه يخرج من قبر الميت فيجيب عنه.

أصُـبُّ عـلى قبرَيْكمـا مِـن مُدامـةٍ	فــإن لم تذُوقـــاها أبُـــلَّ ثَرَاكُمـــا
وأبكيكُما حتى المَماتِ وما الذي	يَـرُدُّ عـلى ذي عَوْلـةٍ[1] أن بَكَاكُمـا

(٢٩٦)

وقال خَلَفُ بنُ خَلِيفةَ[2]:

أُعاتِـبُ نفسـي أنْ تبسَّـمْتُ خالـيًا	وقـد يَضْـحَكُ المَـوتُورُ وهْـو حـزينُ
وبالـدَّيْر أشـجاني وكـم مِـن شَـجٍ لـه	دُوَيْـنَ المُـصلَّى بـالبَقِيعِ شُـجُونُ
رُبًـا حَوْلَــها أمثالُــها إنْ أتيتَهـا	قَرَيْنَـكَ أشـجانًا وهُــنَّ سُـكُونُ
كـذا الهَجْـرُ أنَّـا لم يَضِـحْ لـك أمرُنـا	ولم يأتِنـا عَمَّـا لديــك يقــينُ

---

(١) العولة: من العويل؛ وهو البكاء.

(٢) شاعر أموي، يلقب بالأقطع، وكان معاصرا لجرير والفرزدق. وقد عده الفرزدق من المطبوعين.

(٣٠١)

وقال آخَرُ في أخٍ له مات بعد أخٍ(١):

كــأني وصَــيْفِيًّا خليلِــيَ لم نقُــلْ لِمُوقِــدِ نــارٍ آخِــرَ الليــلِ أوْقِــدِ
فلــو أنهــا إحــدى يَــدَيَّ رُزِئْتُهــا ولكــنْ يَـدِي بانـت عـلى إثرِهـا يَـدِي
فأقسَـمْتُ لا آسَـى عـلى إثـرِ هالـكٍ قَدِي الآنَ مِن وَجْدٍ على هالكٍ قَدِي(٢)

(٣٠٨)

وقالت فاطمةُ بنتُ الأحْجَمِ الخُزَاعيَّةُ(٣):

يـا عـينُ بَكِّـي عنـدَ كُـلِّ صَـباحِ جُــودي بأربعــةٍ عــلى الجَــرَّاحِ(٤)
قــد كنــتَ لي جــبلًا ألــوذُ بظِلِّــهِ فتركتَنــي أَضْــحَى بـأَجْرَدَ ضــاحِ(٥)
قـد كنـتُ ذاتَ حـميَّةٍ مـا عِشـتَ لي أمشـي البَرَازَ(٦) وكنتَ أنتَ جَنَاحي

---

(١) قيل: لرجل من كلب، وقيل: لرُقَيْع بن عبيد الأسدي، وهو شاعر إسلامي، كان في زمن معاوية ﷺ.

(٢) قدي: أي حسبي، وفيه شاهد على حذف النون من (قدني).

(٣) اختلف في قائل الأبيات، ولا تخرج عن عصور الاحتجاج، وذكر القالي أن عائشة رضي الله عنها كانت تتمثل بهذه الأبيات بعد وفاة النبي ﷺ.

(٤) بكي: أكثري أو كرري البكاء. بأربعة: أي جوانب العين. والجراح؛ قيل: اسم زوجها.

(٥) أجرد: أملس، والمقصود (مكان منكشف). ضاح: بارز لا ستر فيه.

(٦) البراز: الفضاء من الأرض، والمقصود: أمشي في مكان ظاهر لا أخشى أحدا.

فـــاليومَ أخضـــعُ للذليـــلِ وأتَّقـــي ... منـــــه وأدفَـــعُ ظالـــــمي بالـــــرَّاحِ

وإذا دَعَـــتْ قُمْرِيَّـــةٌ شَجَـــنًا لـــها ... يومًـا عـلى فَـنَنٍ دَعَـوْتُ صـباحي[1]

وأغُـضُّ مِـن بَصَـري وأعلـمُ أنـه ... قـد بـانَ[2] حَـدُّ فوارسـي ورِمـاحي

(٣١٠)

وقالت أمُّ السُّلَيْك[3]:

طـــــافَ يَبْغـــــي نَجْـــــوةً ... مِـــــن هـــــلاكٍ فهَـــــلَكْ

ليـــــتَ شِعْـــــري ضَلَّـــــةً ... أيُّ شـــــيءٍ قَتَلَـــــكْ

أمريـــــضٌ لم تُـــــعَدْ ... أم عـــــدوٌّ خَتَـــــلَكْ

كـــــلُّ شـــــيءٍ قاتـــــلٌ ... حـــــين تَلقَـــــى أجَلَـــــكْ

والمنايـــــا رَصَـــــدٌ ... للفتـــــى حيـــــثُ سَـــــلَكْ

أيُّ شـــــيءٍ حَسَـــــنٍ ... لِفَـــــتًى لم يَـــــكُ لَـــــكْ

سأُعَـــــزِّي الـــــنفسَ إذْ ... لم تُجِـــــبْ مَـــــنْ سَـــــأَلَكْ

(١) أي: تقول: واصباحي، أو واصباحاه، أو وا سوء صباحاه.

(٢) بان: أي ضعف، أو فات.

(٣) هو السليك بن السلكة، من الصعاليك في الجاهلية، ويقال: إنها لأم تأبط شرا.

إنَّ أمـــــــــرًا فادحًـــــــا عــــــن جوابـــــي شَغَــــــلَكْ
طــــالَ مــــا قــــد نِلْــــتَ في غــــــيرِ كَــــــدٍّ أمَلَــــــكْ

(٣١١)

وقال العُجَيْرُ السَّلُوليُّ[١]:

تَرَكْنـا أبـا الأضـيافِ في ليلـةِ الصَّـبَا بِمَـرَّ ومِـرْدَى كُـلِّ خَصْـمٍ يُجـادِلُهْ[٢]
تَرَكْنـا فتًـى قـد أيقـنَ الجُـوعُ أنـه إذا مـا ثَـوَى في أرْحُـلِ القـومِ قاتِلُـهْ
فتـى قُـدَّ قَـدَّ السـيفِ لا مُتضـائلٌ ولا رَهِــــلٌ لَبَّاتُــــهُ وأَباجِلُــــهْ[٣]
إذا جَـدَّ عنـد الجِـدِّ أرضـاك جِـدُّهُ وذو باطـلٍ إن شـئتَ ألهـاك باطِلُـهْ
يَسُـرُّك مظلومًـا ويُرْضِـيك ظالمًـا وكُـلُّ الـذي حـمَّلتَه فهْـو حامِلُـهْ

(١) هذا لقبه، واسمه: عمير بن عبد الله بن كعب، وهو شاعر إسلامي أموي مقل.

(٢) مر: موضع. المردى: صخرة يكسر بها النوى؛ ثم يقال: فلان مردى الخصوم؛ أي يغلبهم ويكسرهم.

(٣) رهل: مسترخ. لباته: جمع لبة؛ وهي الصدر، فجمعه بما حوله. أباجل: جمع أبجل؛ وهو عرق في الساق.

(٣١٥)

وقال مُهَلهِلٌ[١]:

نُبِّـــئْتُ أنَّ النـــارَ بَعْـــدَكَ أُوقِـــدَتْ   واسْـتَبَّ بعـدَكَ يـا كُلَيْـبُ المجـلِسُ
وتكلَّمـــوا في أمـــرِ كـــلِّ عظيمـــةٍ   لــو كنــتَ شــاهِدَهُمْ بهــا لم يَنبِسُــوا

(٣١٨)

وقالت أمُّ الصَّرِيحِ الكِنْدِيَّةُ[٢]:

هَـوَتْ أمُّهـم مـاذا بهـم يـومَ صُرِّعُـوا   بجَيْشـانَ مِـن أسـبابِ مَجْـدٍ تَصَـرَّما
أبَـوْا أن يَفِـرُّوا والقَنَـا في نُحُـورِهم   وأن يَرتَقُـوا مِـن خَشْـيةِ المـوتِ سُلَّمـا
ولـــو أنهـــم فَـــرُّوا لكـــانُوا أعِـــزَّةً   ولكـنْ رأَوْا صَـبْرًا عـلى المَـوْتِ أكْرَمَـا

---

(١) شاعر جاهلي، واسمه: عدي بن ربيعة، وقيل غير ذلك، وسمي مهلهلا لأنه أول من أرقَّ الشعر وهلهله، وهو خال امرئ القيس، وجد عمرو بن كلثوم، وهو أخو (كُلَيب بن وائل) الذي هاجت بمقتله حرب بكر وتغلب. والأبيات في مدح (كليب) كما هو واضح. وقد صار البيت الثاني من أبيات الاستشهاد الشائعة في المحافل عند موت أحد الكبراء؛ وخاصة إن كان من العلماء.

(٢) ذكر أبو القاسم الفارسي في شرحه أنها إسلامية. وفي (بلاغات النساء) أنها من كندة، وأقامت في بني كليب بن يربوع، ويبدو أنها أعرابية مخضرمة. وهذه الأبيات مشهورة في كتب الأدب.

(٣١٩)

وقال الحُسَينُ بنُ مُطَيرٍ[1]:

أَلِمَّـا عـلى مَعْـنٍ وقُـولَا لقـبرِهِ ... سَـقَتْكَ الغَـوادي مَرْبَعًـا ثـم مَرْبَعَـا
فيـا قـبرَ مَعْـنٍ أنـتَ أولُ حُفْـرةٍ ... مِنَ الأرضِ خُطَّتْ للسماحةِ مَضْجَعَا
ويـا قـبرَ مَعْـن كيـفَ وارَيْـتَ جُـودَهُ ... وقـد كـان منـه الـبَرُّ والبَحْـرُ مُتْـرَعَا
بلى قد وَسِعْتَ الجودَ والجودُ ميِّتٌ ... ولـو كـان حيًّـا ضِـقْتَ حتـى تَصَـدَّعا
فَـتًى عِـيشَ في معروفِـه بعـد موتِـه ... كمـا كـان بعـدَ السَّـيْلِ مَجْـراهُ مَرْتَعَـا
ولَمَّامضَى مَعْنٌ مضى الجُودُفانْقَضَى ... وأصْـبَحَ عِـرْنِينُ المَكَـارِمِ أجْـدَعَا

---

(١) شاعر من مخضرمي الدولتين، متقدم في القصيد والرجز، موصوف بالفصاحة، وأنه كان على مذاهب الأعراب وأهل البادية. واستشهاد العلماء بشعره مشهور في كتب النحو واللغة. توفي سنة ١٦٩هـ. وهذه القطعة من أشهر شعره، وقد وصفه عبد الله بن طاهر من أجلها بأنه أشعر الشعراء.

(٣٢٢)

وقال عبدُ اللهِ بنُ الزَّبِير الأسديُّ[١]:

رَمَــى الحَــدَثانُ نِسْــوةَ آلِ حَــرْبٍ بمِقــدارٍ سَــمَدْنَ لــه سُــمُودَا[٢]
فــرَدَّ شُــعُورَهُنَّ السُّــودَ بِيضًــا ورَدَّ وُجُــوهَهن البِــيضَ سُــودَا

(٣٢٦)

وقالت صَفِيَّةُ الباهِلِيَّةُ[٣]:

كنــا كغُصْــنَينِ في جُرثُومــةٍ سَــمَقَا حِينًــا بأحسَــنِ مــا تســمو لــه الشــجرُ
حتــى إذا قيــل قــد طالــتْ فُرُوعُهمــا وطــالَ فَيْــآهما واستُنظِــرَ الثَّمَــرُ
أَخْنَى علـى واحـدٍ رَيْبُ الزمـانِ ومـا يُبْقِــي الزمــانُ عــلى شــيءٍ ولا يَــذَرُ
كنــا كأنــجُمِ ليــلٍ بينهــا قمــرٌ يجلـو الـدُّجَى فهَـوَى مِـن بينِهـا القمـرُ

(١) شاعر أموي نشأ بالكوفة (والزبير بفتح الزاي وكسر الباء). وكان متعصبا لبني أمية، ثم مدح مصعب بن الزبير لما غلب على الكوفة، وانقطع إليه حتى قتل، ومات في خلافة عبد الملك. والبيتان من أشهر المقاطع في كتب الأدب، والبيت الثاني شاهد بلاغي مشهور.

(٢) السمود: الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه، ولنتذكر {وأنتم سامدون}.

(٣) وهي أعرابية ترثي زوجها.

(٣٣١)

وقال سُلَيْمانُ بنُ قَتَّةَ العَدَويُّ[١]:

مَــرَرْتُ عــلى أبيــاتِ آلِ محــمَّدٍ ... فلــم أرَهــا أمثالَــها يــومَ حُلَّــتِ

فــلا يُبعِــدُ اللهُ الديــارَ وأهلَهــا ... وإن أصبَحَتْ منهم برَغْمي تَخَلَّتِ

ألَا إنَّ قَتلَى الطَّفِّ مِن آلِ هاشمٍ ... أذلَّتْ رِقابَ المسلمين فذَلَّتِ[٢]

وكانوا غِياثًا ثم أضْحَوْا رَزيَّةً ... ألَا عظُمَتْ تلك الرَّزَايا وجَلَّتِ

(٣٣٢)

وقالت قُتَيْلةُ بنتُ النَّضْرِ[٣]:

يــا راكبًــا إنَّ الأُثَيْــلَ[٤] مَظِنَّــةٌ ... مِــن صُــبحِ خامســةٍ وأنــت مُوفَّــقُ

بَلِّــغْ بــه مَيْتًــا فــإنَّ تحيــةً ... مــا إنْ تــزالُ بهــا الركائــبُ تَخــفِقُ

مِنِّــي إليــه وعَــبْرةً مســفوحةً ... جادَتْ لمائِحِها[٥] وأُخرى تَخنُقُ

---

(١) شاعر مقل، يقال: إنه أول من رثى أهل البيت، وهو محدِّث أيضا ووثقه ابن معين، والأبيات مشهورة جدا في كتب التاريخ والتراجم، فضلا عن كتب الأدب.

(٢) الطف: موضع بالعراق؛ قتل به الحسين بن علي رضي الله عنه ومن معه.

(٣) النضر: هو ابن الحارث بن علقمة، وقتيلة: مخضرمة، وكان أبوها قد قتل صبرًا بعد بدر، فقالت هذه الأبيات للنبي ﷺ. وقيل: إنه لما سمع الشعر قال: لو سمعته ما قتلته.

(٤) الأثيل: موضع، وهو الذي دفن فيه النضر.

(٥) المائح: هو الذي ينزل البئر ليملأ الدلو؛ والمعنى: استنزاف دموع العين.

فَلَيَسْـــمعنَّ النضـــرُ إن ناديتَـــهُ إن كـــان يســـمعُ ميِّـــتٌ أو يَنطِـــقُ

ظلَّـت سـيوفُ بنـي أبيـه تنوشُـهُ[1] للهِ أرحـــامٌ هنـــاك تُشـــقَّقُ

أمحمـــدٌ ولأنــت نجــلُ نجيبــةٍ مِــن قومِهـا والفَحْـلُ فحـلٌ مُعـرِقُ

مـا كـان ضَرَّك لـو مَنَنْـتَ ورُبَّمـا مَـنَّ الفتـى وهُـو المَغِيـظُ المُحنَـقُ

والنضـرُ أقـربُ مَـن أصبْتَ وسـيلةً وأحَـــقُّهم إن كـــان عِتـــقٌ يُعتَـــقُ

(٣٤٢)

وقال رُقَيْبَةُ الجَرْميُّ[2]:

أقــولُ وفي الأكفــانِ أبـيضُ ماجِـدٌ كغُصْـنِ الأراكِ وَجْهُـه حِينَ وَسَّمَـا[3]

أحقًّـا عِبـادَ اللهِ أنْ لَسْـتُ رَائِيًـا رِفاعــةَ طُــولَ الدَّهْــرِ إلا تَوَهُّمَــا

فأُقسِــمُ مــا جَشَّــمتُه مِــن مُهِمَّــةٍ تــؤودُ كـرامَ القــومِ إلا تَجَشَّمَــا[4]

ولا قُلتُ مَهْلًا وهْو غضبانُ قد غَلَا مِـنَ الغَـيظِ وَسْـطَ القـومِ إلا تبسَّمَـا

---

(١) تنوشه: تتناوله، ولنتذكر {وأنى لهم التناوش}.

(٢) شاعر إسلامي من طيئ. والأبيات تنسب أيضا لعقيل بن علفة المري.

(٣) وسم: أي خرج شَعَرُه؛ يريد أنه مات صغيرا.

(٤) جشمته: حملته. تؤود: تثقل؛ ولنتذكر {ولا يؤوده حفظهما}.

(٣٤٧)

وقال الرَّبيعُ بنُ زِيادٍ العَبْسيُّ[١]:

إني أرِقْتُ فلم أغمِّضْ حارِ[٢] مِن سيِّءِ النبأِ الجليلِ السَّارِي
مِن مثلِه تُمسي النساءُ حواسِرًا وتقومُ مُعْوِلةً مع الأسْحارِ
أفَبَعْدَ مقتلِ مالكِ بْنِ زُهَيْرٍ[٣] ترجو النساءُ عواقِبَ الأطهارِ
ما إنْ أرى في قتلِه لذوي القُوَى إلا المَطِيَّ تُشَدُّ بالأكوارِ[٤]
ومُجَنَّباتٍ ما يَذُقْنَ عَذُوفًا يَقْذِفْنَ بالمُهُراتِ والأمْهارِ[٥]
ومَساعِرًا صدأُ الحديدِ عليهِمُ فكأنما تُطلَى الوُجُوهُ بِقَارِ[٦]
مَن كان مسرورًا بمَقتَلِ مالكٍ فلْيَأْتِ نِسْوتَنا بوَجْهِ نهارِ[٧]

(١) شاعر جاهلي، والأبيات في رثاء مالك بن زهير العبسي؛ أحد الأعيان والفُرسان في الجاهلية، وكان قد دس له حذيفة بن بدر (من فزارة بن ذبيان) فرسانا فقتلوه. وعلى إثر ذلك جمع الربيع بن زياد بني عبس للقاء بني ذبيان، وجرت بسبب ذلك حروب فيما بينهم.

(٢) حار: ترخيم حارث.

(٣) هكذا رُوي صدرُ البيت ناقصَ الآخِر، ومثله تلوُ تلوِه.

(٤) الأكوار: جمع كُور؛ وهو الرحل.

(٥) العذوف: أقل ما يؤكل. المهرات: جمع مهرة، والأمهار: جمع مهر؛ أي تقذف أولادها لشدة السير.

(٦) مساعر: جمع مِسعَر: أي مُوقد حرب ومُحرِّكُها.

(٧) بوجه نهار: أي بأوله، ولنتذكر {وجه النهار}.

يَجِـــدِ النســـاءَ حـــواسِرًا يَنْدُبْنَـــهُ   يَلْطِمْـــنَ أوجُهَهُـــنَّ بالأســـحارِ[١]
قـد كُـنَّ يَخْـبَأْنَ الوُجـوهَ[٢] تَستُّـرًا   فـــاليومَ قـــد أَبْــرَزْنَ للنُّـــظَّارِ
يَضـرِبْنَ حُـرَّ وُجـوهِهِنَّ عـلى فَتًى   عَــفِّ الشمــائلِ طيِّــبِ الأخبــارِ

(٣٥٥)

وقال ابنُ عَنَمةَ الضَّبِّيُّ[٣]:

لأمِّ الأرضِ وَيْـــلٌ، مـــا أجنَّـــتْ؟   بحيــثُ أَضــرَّ بالحَسَنِ السَّــبِيلُ[٤]
نُقَـــسِّمُ مالَـــه فِيـــنا وندعُـــو   أبـــا الصَّـــهْباءِ إذ جَـــنَحَ الأصـــيلُ
أَجِـــدَّك لـــن تَـــرَاهُ، ولـــن تَـــرَاهُ   تَـــخُـــبُّ بـــه عُـــذافِـــرةٌ ذَمُـــولُ[٥]

---

(١) أي: إذا جاءنا الرجل عند الصبح علم أن نساءنا قد قمن للندب قبل تبلج السحر.

(٢) من الشواهد على ستر المرأة وجهها في الجاهلية. وهذا البيت من شواهد اللغة، ويروى (حين بَدَوْن للنظار)، وينظر: مجالس العلماء للزجاجي (رقم ٦٥، ورقم ١٤٠).

(٣) شاعر إسلامي مخضرم، من بني ضبة، شهد القادسية. وانظر القطعة (١٨٣). والأبيات في مقتل بسطام بن قيس، وكنيته (أبو الصهباء) كما في البيت الثاني.

(٤) أضر: دنا. الحسن: جبل. والمعنى: ويل للأرض! فقد سترت رجلا عظيما في هذا الموضع.

(٥) تخب: أي تسير الخَبَب (ضرب من العدو). عذافرة: ناقة صلبة قوية. ذمول: سريعة.

حقيبـــةُ رَحْلِهـــا بَـــدَنٌ وسَـــرْجٌ تُـعـــارِضُـــها مُـرَبَّـبـــةٌ ذَؤُولُ[1]

إلى مِيـعـــادِ أرعَـــنَ مُـكـفَهِـــرٍّ تُضَـمَّـنُ في جـوانِـبِـها الخُيُـولُ[2]

لـكَ المِـرْبـاعُ منـها والصَّفَايَـا وحُكمُـك والنَّشِـيطةُ والفُضُـولُ[3]

أفاتَتْـهُ بنُـو زيـدِ بْـنِ عمـرٍو ولا يُوفِـي ببِسْـطامٍ قتيـلُ

فخَـرَّ عـلى الأَلاءةِ[4] لم يُوَسَّـدْ كـأنَّ جَبِينَـه سـيفٌ صَـقِيلُ

(٣٦٠)

وقال الغَطَمَّشُ[5]:

ألا رُبَّ مَـن يَغتـابُني وَدَّ أنني أبـوه الـذي يُـدْعَى إليـه ويُنسَـبُ

---

(١) حقيبة: ما يوضع وراء الرحل موضع الرديف. بدن: درع قصيرة. تعارضها: تمشي بجانبها. مربية: فرس مكرمة معززة. ذؤول: سريعة خفيفة.

(٢) أرعن: أي جيش كالجبل (من الرَّعْن)، وقيل: أرعن من الرعونة. مكفهر: مرتفع. وقوله (تضمن في جوانبها الخيول) أي تقرن الخيل بالإبل في جوانبها.

(٣) المرباع: الربع. منها: أي من الغنيمة. الصفايا: جمع صفي؛ وهو أن يصطفي لنفسه شيئا قبل القسم. النشيطة: الغنائم التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. الفضول: ما فضل بعد القسمة.

(٤) الألاءة: شجرة جميلة المنظر مرة الطعم.

(٥) الغطمش الضبي: من بني شَقِرَة بن كعب بن ثعلبة، لم يذكروا ترجمته، ولكن يبدو من نسبه أنه جاهلي أو مخضرم، وله ذكر في النقائض عند أبي عبيدة يدل على أنه متقدم.

عــلى رِشْــدةٍ مِــن أمِّــهِ أو لِغَيَّــةٍ فيَغلِبَهـا فَحْـلٌ عـلى النَّسْـلِ مُنجِـبُ
فبالخــير لا بالشَّــرِّ فــارْجُ مــودَّتي وأيُّ امــرئٍ يُقتــالُ منــه الترهُّــبُ
أقـولُ وقـد فاضـتْ بعَيْنَـيَّ[1] عَـبْرةٌ أرى الأرضَ تبقـى والأخـلاءَ تـذهبُ
أخِـلَّاءِ لـو غـيرُ الحِمـام أصـابَكم عَتَبْتُ ولكـنْ ما على المـوتِ مَعْتَبُ

(٣٦٤)

وقال عِكرِشةُ أبو الشَّغْبِ[2]:

قـد كـان شَـغْبٌ لَـوَ انَّ اللهَ عَمَّـرَهُ عِــزًّا تُــزادُ بــه في عِــزِّها مُضَــرُ
فارَقْتُ شَـغْبًا وقـد قوَّسْـتُ مِـن كِـبَرٍ لَبِئْسَــتِ الخَــلَّتانِ الثُّكْــلُ والكِبَــرُ

(١) لو ضبطت بالإفراد (بعَينِيَ) لصح الوزن أيضا.

(٢) يرثي ابنه شغبا. وقد سبقت له القطعة (٧٦).

(٣٦٦)

وقال لَبِيدٌ[١]:

لَعَمْـري لـئن كـان المُخـبِّرُ صـادِقًا   لقـد رُزِئَـتْ في حـادثِ الـدهرِ جَعْفَـرُ
أخًـــا ليَ أَمَّـــا كُـــلَّ شيءٍ ســـألتُهُ   فيُعْطـــي وأمَّـــا كُـــلَّ ذنـــبٍ فيَغفِـــرُ

(٣٦٧)

وقالت زينبُ بنتُ الطَّثْرِيَّةِ[٢]:

أرَى الأَثْـلَ مِـن بَطْـنِ العَقِيـقِ مُجاوِرِي   مُقِيمًـــا وقـــد غالَـــتْ يَزِيـــدَ غوائِلُـــهْ
فَـتًى قُـدَّ قَـدَّ السـيفِ لا مُتضـائِلٌ   ولا رَهِـــــلٌ لَبَّـــــاتُهُ وأَباجِـــــلُهْ
إذا نـــزَلَ الأضـــيافُ كـــان عَـــذَوَّرًا   علـى الحـيِّ حتـى تَسـتقِلَّ مَراجِلُـهْ[٣]

(١) هو: لبيد بن ربيعة العامري، شاعر فحل مخضرم من أصحاب المعلقات، وهو من الصحابة ﷺ، ومن المعمَّرين. قيل: لم يقل شعرا في الإسلام إلا بيتا واحدا. توفي سنة ٤١هـ.

(٢) شاعرة مقلة، عاشت في الدولة الأموية، والأبيات في رثاء أخيها يزيد بن الطثرية. والطثرية: أمه، واسمه يزيد بن سلمة، من بني قشير؛ قتله بنو حنيفة سنة ١٢٦هـ.

(٣) العذور: السيئ الخلق القليل الصبر. والمعنى أنه يتشدد على جماعة الحي عند نزول الضيوف ولا يتركهم إلا بعد نصب القدور لتهيئة الطعام لهم.

مَضَـى ووَرِثْنـاه دَرِيـسَ مُفاضـةٍ[1] وأبــيضَ هِنــدِيًّا طــويلًا حَمــائِلُهْ

وقـد كـان يُـرْوِي المَشْـرَفِيَّ بكَفِّـه ويَبلُـغُ أقصى حَجْـرةِ[2] الحـيِّ نائِلُـهْ

كــــريمٌ إذا لاقيتَــــه مُتَبسِّمًــــا وإمَّــا تَــولَّى أشـعثُ الـرأسِ جافِلُـهْ

إذا القــومُ أَمُّــوا بيتَـه فهْــوَ عامِــدٌ لأحْسَــنِ مـا ظنُّـوا بـه فهْـوَ فاعِلُـهْ

تَــرَى جازِرَيْــهِ يُرْعَــدانِ ونــارُه عليهـا عَـدامِيلُ الهَشِيـمِ وصامِـلُهْ[3]

يَجُــرَّانِ ثِنْـيًا خيرُهـا عَظْـمُ جـارةٍ بصــيرًا بهـا لم تَعْـدُ عنهـا مَشـاغِلُهْ[4]

---

(١) دريس: بالٍ خلَق. مفاضة: درع واسعة. أبيض: سيف.

(٢) المشرفي: السيف. حجرة: ناحية. نائله: عطيته. ومعنى الشطر الأول: أنه كان يثخن الأعداء بكثرة القتل، ويتولى ذلك بنفسه من دون أن يجر الجرائر على غيره، والعرب تمدح بهذا.

(٣) عداميل: جمع عدمول؛ وهو: العتيق من الخشب الغليظ. صامل: يابس.

(٤) يجران: أي الجازران. الثني: التي ولدت بطنين.

(٣٧٤)

وقال النَّابِغةُ الجَعْدِيُّ(١):

أَلــم تَعْلمــي أني رُزِئْــتُ مُحــارِبًا ... فمــا لــكِ منــه اليــومَ شــيءٌ ولا لِيَــا

ومِــنْ قَبْلِـه مـا قـد رُزِئْـتُ بوَحْـوَحٍ ... وكـان ابـنَ أمـي والخليـلَ المُصـافِيَا

فَــتًى كَمَلَــتْ خَيْرَاتُــه غــيرَ أنــه ... جَـوَادٌ فمـا يُبقـي مِـنَ المـالِ باقِيَـا

فَــتًى تَــمَّ منــه مــا يَسُــرُّ صــديقَه ... عــلى أنَّ فيــه مــا يَســوءُ الأعادِيَــا

(٣٨٤)

وقال الأُبَيْرِدُ اليَرْبُوعيُّ(٢):

ولَـمَّـا نَعَـى الناعي يَزِيـدَ تَغوَّلـتْ(٣) ... بِيَ الأرضُ فَرْطَ الحُزْنِ وانقطعَ الظَّهرُ

عساكِرُ تَغشى النـفسَ حتى كـأنني ... أخــو سَــكْرةٍ دارَتْ بهامتِــه الخــمرُ

---

(١) شاعر فحل، كنيته أبو ليلى، واسمُه: قيس بن عبد الله، وقيل غير ذلك. وهو صحابي من المعمرين (جاوز المائة) رضي الله عنه، وله قصة مشهورة أنه أنشد النبي ﷺ من شعره:

(بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا)

فقال له: إلى أين؟ قال: الجنة إن شاء الله. وفي أسانيدها نظر.

(٢) شاعر بدوي فصيح مقل، من بني تميم، عاش في صدر الإسلام وأول دولة بني أمية، والأبيات في رثاء أخيه، وقالوا: الصواب في اسم أخيه (بُريد).

(٣) تغولت: أي دارت.

فتًى إنْ هو استَغْنى تَخرَّقَ في الغنى وإنْ قَلَّ مالًا لم يضَعْ مَتْنَه الفقرُ[1]
فتًى لا يَعُدُّ الرِّسْلَ يَقضي ذِمامَه[2] إذا نزَل الأضيافُ أو تُنْحَرَ الجُزْرُ

(٣٨٥)

وقال سَلَمةُ الجُعْفيُّ[3]:

أقولُ لنفسي في الخَلاءِ ألومُها: لكِ الويلُ ما هذا التجلُّدُ والصبرُ
ألم تعلمي أنْ لَستُ ما عِشتُ لاقيًا أخي إذْ أتى مِن دُونِ أوصالِه القبرُ
وكنتُ أرى كالموتِ مِن بَيْنِ[4] ليلةٍ فكيف ببَيْنٍ كان مِيعادَه الحَشْرُ
وهَوَّنَ وَجْدي أنني سوف أغتدي على إثْرِه يومًا وإنْ نُفِّسَ العُمْرُ
فتًى كان يُعطي السيفَ في الرَّوْعِ حَقَّه إذا ثَوَّبَ الداعي وتَشْقَى به الجُزْرُ
فتًى كان يُدْنِيه الغِنَى مِن صَدِيقِه إذا ما هو استغنى ويُبعدُه الفقرُ

---

(١) تخرق: توسع؛ من الخَرَق (الثقب)، أو من الخِرق (الكريم من الرجال)؛ قال في موطأة الفصيح:

(وذا الفتى خِرقٌ له تخرُّقُ بماله وهو ظريفٌ لبِقُ)

(٢) الرسل: اللبن؛ والمعنى: أنه لا يكتفي باللبن في إكرام الضيوف، بل لا بد من ذبح الجزر.

(٣) سلمة بن يزيد الجعفي، شاعر، وصحابي، والأبيات في رثاء أخيه لأمه.

(٤) أي: من فراق ليلة.

(٣٨٦)

وقالت عَمْرةُ الخَثْعَمِيَّةُ[١]:

لقد زَعَموا أني جَزِعْتُ عليهما ... وهل جَزَعٌ أن قلتُ: وا بِأباهُما[٢]

هما أَخَوَا في الحربِ مَنْ[٣] لا أخَا لَهُ ... إذا خاف يومًا نَبْوةً فدَعَاهما

هما يَلْبَسانِ المَجْدَ أحسَنَ لِبْسةٍ ... شَحِيحانِ ما اسْطاعا[٤] عليه كِلَاهما

شِهَابان مِنَّا أُوقِدا ثُمَّ أُخْمِدَا ... وكان سَنًا للمُدْلِجِين سَنَاهما[٥]

إذا نَزَلَا الأرضَ المخُوفَ بها الرَّدَى ... يُخَفِّضُ مِن جَأْشَيْهما مُنْصُلاهما[٦]

إذا استَغْنَيا حُبَّ[٧] الجميعُ إليهما ... ولم يَنْأَ عن نَفْعِ الصديقِ غِنَاهما

---

(١) لا تعرف لها ترجمة، ويقال (الجشمية). وقد قال أبو زيد في نوادره: قالت امرأة من بني سعد جاهلية. والأبيات في رثاء ابنيها.

(٢) كلمة (وا) تقال للتوجع والشكوى. و(بأباهما) أي: بأبي هما.

(٣) هذا البيت من شواهد النحو؛ (أخوا) مضاف، و(من) مضاف إليه، وقد فصل بينهما بالجار والمجرور (في الحرب). و(أخا) بفتح الخاء من غير تنوين.

(٤) لنتذكر {تأويل ما لم تسطع}.

(٥) السنا: الضوء؛ ولنتذكر {يكاد سنا برقه}. والمدلج: السائر بالليل.

(٦) المخوف: نعت سببي للأرض، والردى: نائب فاعل لاسم المفعول (المخوف). والمنصل: السيف.

(٧) المعنى: حُبِّب جميعُ عشيرتهما إليهما. قال أبو القاسم الفارسي في شرحه: (حب) على ما لم يسم فاعله.

إذا افتَقَـرَا لم يَجثُمـا خَشْـيةَ الـرَّدَى ولم يَخْـشَ رُزْءًا منهمـا مَوْلَـيَاهما[١]
لقـد سـاءني أن عَنَّسَـتْ زَوْجَتاهمـا وأنْ عُرِّيَـتْ بعـد الـوَجَى[٢] فَرَسَـاهما
ولـن يَلْبَـثَ العَرْشـانِ يُستَـلُّ منهمـا خِيـارُ الأَواسـي أن يَمِيـلَ غَمَـاهُما[٣]

(٣٨٨)

وقال الشمَّاخُ بنُ ضِرَارٍ[٤]:

جَـزَى اللهُ خـيرًا مِـن أمـيرٍ وبارَكَـتْ يـدُ اللهِ في ذاكَ الأديـمِ المُمـزَّقِ[٥]
فمَـنْ يَسْـعَ أو يَرْكَـبْ جَنَـاحَيْ نَعامـةٍ لِيُـدرِكَ مـا قـدَّمْتَ بـالأمسِ يُسْـبَقِ
قضَـيْتَ أمـورًا ثـم غـادَرْتَ بعـدَها بـوائِجَ في أكمـامِها لم تُفَتَّـقِ[٦]

(١) معنى البيت: أنهما إذا قل مالهما وضاق بهما الأمر، لم يلزما البيوت خوفا من الموت، ولم يكلفا الأولياء عبئًا أو يأخذا منهم مالًا بسبب ما هم فيه من الفقر.

(٢) عريت: أي أخليت (من الإسراج والإلجام)، والوجى: الحفاء، والمعنى: أن الفرسين صارتا فارغتين من الاستعمال في الحرب بعد أن كانتا تحفيان من كثرة غزو الأعداء.

(٣) العرش: البناء الذي له سقف (ولنتذكر {خاوية على عروشها})، والأواسي: الأعمدة، والغما: السقف.

(٤) شاعر مشهور من بني ذبيان، واسمه (معقل)، وهو مخضرم، وشهد القادسية، وهذه الأبيات من أشعر شعره، وهي في رثاء عمر بن الخطاب ﷺ. وتنسب لأخيه جَزْء أيضا.

(٥) يقصد جلد عمر بن الخطاب؛ لما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي.

(٦) البوائج: الدواهي (ويروى: بوائق). والأكمام: جمع كِم، وهو غلاف الثمرة (ولنتذكر {ذات الأكمام}). وقوله (لم تفتق) أي لم تفتح ولم تفصل، والفتق ضد الرتق (ولنتذكر {كانتا رتقا ففتقناهما}).

أبَعْـــدَ قتيـــلٍ بالمديـــنة أظلَمَـــتْ   لـه الأرضُ تَهتـزُّ العِضَـاهُ بأسـؤُقِ[1]
تَظَـلُّ الحَـصَانُ البِكْـرُ يُلقِـي جَنِينَهـا   نَثَـا[2] خـــبرٍ فـــوقَ المَـــطيِّ مُعلَّـــقِ
ومـا كنـتُ أخشـى أن تكـونَ وفاتُـه   بكَفَّـيْ سَـبَنْتَى[3] أزرَقِ العـينِ مُطْـرِقِ

---

(١) العضاه: نوع من الشجر، والأسؤق: جمع ساق، ومعنى البيت أن موت عمر ﷺ كان أمرا عظيما جدا، يُستغرب معه أن تبقى الأمورُ على ما هي عليه.

(٢) الحصان: العفيفة، والبكر: التي حملت أول حملها. ويقال: نثا الخبرَ ينثوه نَثْوًا ونثًا: أي حدَّث به وأشاعه، و(نثا) في البيت مصدر، وهو فاعل لـ(يلقي) ومضاف إلى (خبر).

(٣) السبنتى: معناه في الأصل (النمر)، ويستعار في الجريء المقدام الشجاع.

(بابُ الأدَبِ)

(٣٩٩)

قال مِسْكِينٌ الدارِمِيُّ[1]:

وفتيانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بعضِهم على سرِّ بعضٍ غيرَ أني جِمَاعُها
لكلِّ امرئٍ شِعْبٌ مِنَ القلبِ فارغٌ وموضِعُ نَجْوَى[2] لا يُرامُ اطِّلاعُها
يَظلُّون شَتَّى في البلادِ وسِرُّهُم إلى صَخْرةٍ أعيا الرجالَ انصداعُها

(٤٠١)

وقال المَرَّارُ الفَقْعَسيُّ[3]:

إذا شِئتَ يَومًا أنْ تَسُودَ عَشِيرةً فبالحِلمِ سُدْ لا بالتسرُّعِ والشَّتْمِ
ولَلْحِلْمُ خيرٌ فاعلمَنَّ مَغبَّةً مِنَ الجَهْلِ إلا أنْ تَشَمَّسَ مِن ظُلمِ[4]

---

(١) شاعر إسلامي مشهور، واسمه (ربيعة بن أنيف)، أدرك أوائل الدولة الأموية، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة، ثم تصالحا. توفي سنة ٨٩هـ.

(٢) النجوى: الكلام في السر، وتأمَّلْ {وأسروا النجوى}، وهو مصدر في الأصل كما في {إنما النجوى}، ويستعمل جمعًا كما في {وإذ هم نجوى}، ولتتذكر {خلصوا نجيا}، {وقربناه نجيا}.

(٣) المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة، الأسدي، شاعر إسلامي مكثر، وله شواهد مشهورة في كتب النحو، منها قوله (من شواهد سيبويه):

(أنا ابنُ التاركِ البكريِّ بشرٍ عليه الطيرُ ترقبُه وُقُوعَا)

(٤) يقال: إنه لذو شِماس، إذا كان عَسِرًا. وشَمَس لي فلان: إذا تنكر وهمَّ بالشر. والمعنى: إلا أن تأنف من الظلم.

(٤٠٢)

وقال عِصامُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ[١]:

أبلِـغْ أبـا مِسْـمَعٍ عنـي مُغَلْغلـةً[٢] ... وفي العِتــابِ حيــاةٌ[٣] بــين أقــوامِ
أدخَلْـتَ قبلِـيَ قومًـا لم يكُـن لـهُمُ ... في الحـق أن يَـدخُلوا الأبـوابَ قُـدَّامِي
لـو عُـدَّ قـبرٌ وقـبرٌ كنـتُ أكـرَمَهُمْ ... مَيْتًـا وأبعَـدَهُمْ مِـن منـزلِ الـذَّامِ[٤]
فقـد جَعَلْـتُ إذا مـا حـاجتي نَزَلـتْ ... ببـــابِ دارِك أدْلُـــوها[٥] بأقـــوامِ

(١) عصام بن عبيد الزماني اليمامي، شاعر إسلامي، وقيل: جاهلي، وورد اسمه في بعض المصادر (همام). وتنسب القطعة كذلك لأبي القمقام الأسدي.

(٢) رسالة مغلغلة: أي محمولة من بلد إلى بلد، وقيل: سريعة.

(٣) ولنتذكر {ولكم في القصاص حياة}.

(٤) الذام: العيب.

(٥) أدلوها: من دلوتُ الدلوَ؛ إذا أخرجتَها من البئر، والمعنى: أتسبَّبُ بغيري وأصونُ عن التبذُّل عرضي.

(٤٠٣)

وقال شَبِيبُ بنُ البَرْصاءِ[١]:

وإني لَتَــرَّاكُ الضَّــغِينةِ قــد بَــدَا ثَرَاهـا[٢] مِـنَ المـولى فمـا أَسـتَثِيرُها
مَخــافةَ أن تَجْــني عــليَّ، وإنمــا يَهِــيجُ كَبِــيراتِ الأمــورِ صَــغِيرُها
لعَمْـري لقـد أشرَفْـتُ يـومَ عُنَيْـزةٍ عـلى رَغْبـةٍ لـو شَـدَّ نفسـي مَرِيرُهـا[٣]
تبَـيَّنُ أعقـابُ الأمـورِ إذا مَضَـتْ وتُقبِـلُ أَشْـبَاهًا عليـك صُـدُورُها
إذا افتَخَـرَتْ سَـعْدُ بـنُ ذُبْيـانَ لم تَجِـدْ سـوى مـا ابْتَنَيْنـا مـا يَعُـدُّ فَخُورُهـا
ألــم تَــرَ أنــا نُــورُ قَــوٍّ[٤] وإنمــا يُبــيِّنُ في الظَّلْمــاءِ للنــاسِ نُورُهــا

---

(١) هو شبيب بن يزيد المري، والبرصاء: أمه، وهو شاعر إسلامي أموي بدوي فصيح.

(٢) ثراها: أي أثرُها، والمراد: ما يستدل به على كامن الحقد، وهذا يذكرنا بقوله تعالى: {ولتعرفنهن في لحن القول}، وقوله: {قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر}.

(٣) عنيزة: موضع، والمرير: المحكَم. ومعنى البيت: لقد قاربتُ يوم عنيزة الفوزَ بمرادي؛ لو تمَّ عزمي وقوةُ قلبي. كأنه يتندمُ لتفريطه بعد العزم.

(٤) قو: موضع ينزل فيه مَن يقصد المدينة من البصرة. ويروى (نور قوم).

(٤٠٤)

وقال مَعْنُ بنُ أَوْسٍ[١]:

لعَمْـــرُك مـــا أدري وإني لأَوْجَـــلُ ... عـــلى أيِّنـــا تَعـــدُو المَنِـــيَّةُ أَوَّلُ[٢]

وإني أخـوك الـدائمُ العهـدِ لم أَخُـنْ ... إنَ ابْـزَاكَ[٣] خَصْـمٌ أو نَـبَا بِـكَ منـزلُ

أُحارِبُ مَن حارَبْتَ مِن ذي عداوةٍ ... وأحـبِسُ مـالي إنْ غرِمْـتَ فأَعقِـلُ

كأنَّـك تَشْـفي منـكَ داءً مَسَـاءتي ... وسُخْطي، وما في رَيْثَتِي[٤] ما تَعَجَّلُ

وإنْ سُـؤْتَني يومًـا صَـفَحْتُ إلى غـدٍ ... ليُعْقِـبَ يومًـا منـك آخَـرُ مُقبِـلُ

ستَقْـطَعُ في الـدنيا إذا مـا قَطَعْتَنـي ... يَمينَـــك فـــانظُرْ أيَّ كَـــفٍّ تَـــبَدَّلُ

وفي الناسِ إنْ رَثَّتْ حِبالُـكَ واصِلٌ ... وفي الأرضِ عــن دارِ القِـلَى مُتحَـوَّلُ

إذا أنـت لم تُنصِـفْ أخـاكَ وَجَدْتَـه ... عـلى طَـرَفِ الهِجْـرانِ إن كـان يَعقِـلُ

ويَركَـبُ حَدَّ السيفِ مِن أن تَضِيمَهُ ... إذا لم يكـن عـن شَـفْرةِ السيفِ مَزْحَـلُ

---

(١) شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، توفي سنة ٦٤هـ. قيل: إن مَعْنًا كان متزوجًا من أخت صديق له، فاتفق أنه طلقها وتزوج غيرها، فغضب صديقه وحلف ألا يكلمه أبدا، فأنشأ معن هذه الأبيات يستعطفه.

(٢) هذا البيت من شواهد النحو والتفسير المشهورة، وفيه ثلاثة مواضع للاستشهاد أو أكثر: مجيء (أوجل) بمعنى وَجِل، وإعراب (أي) خلافًا لبنائها في مثل {أيهم أشد}، وبناء (أول) على الضم لقطعها عن الإضافة.

(٣) أبزيت بفلان: إذا بطشت به وقهرته. وقد وصل همزة (أبزاك) ونقل حركتها إلى النون قبلها.

(٤) الريث: البطء، خلاف العجلة، والمعنى: ليس في أناتي وحلمي ما يجعلك تتعجل في إساءتي.

وكنتُ إذا ما صاحِبٌ رامَ ظِنَّتي ... وبدَّلَ سُوءًا بالذي كنتُ أفعَلُ
قَلَبْتُ له ظَهْرَ المِجَنِّ فلم أَدُمْ ... على ذاك إلا رَيْثَما أتحوَّلُ
إذا انصرَفَتْ نفسي عنِ الشيءِ لم تَكَدْ ... إليه بوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقبِلُ

(٤٠٧)

وقال رَبيعةُ بنُ مَقْرومٍ[١]:

وكم مِن حاملٍ لي ضَبَّ[٢] ضِغْنٍ ... بَعيدٍ قلبُه حُلْوِ اللسانِ
ولو أني أشاءُ نَقَمْتُ منه ... بشَغْبٍ أو لسانٍ تَيَّحانِ[٣]
ولكني وَصَلْتُ الحبلَ مني ... مواصلةً بحَبْلِ أبي بَيَانِ[٤]
وضَمْرةَ إنَّ ضَمْرةَ خيرُ جارٍ ... عَلِقْتُ له بأسبابٍ مِتانِ
هِجَانُ الحيِّ كالذهَبِ المصفَّى ... صَبيحةَ دِيمةٍ يَجْنِيه جانِ[٥]

(١) سبقت له القطعة (٩).

(٢) الضب: الحقد.

(٣) نقم: معناها هنا انتقم، وأما في نحو {وما نقموا منهم} فمعناها أنكر. شغب: جلبة. تيحان: مقدام متعرِّض لكل أمر شديد.

(٤) المعنى: أبقيت على من يعاديني ولم أعجل مؤاخذته؛ لأني قد واصلت أبا بيان، وعلَّقت حبلي بحبله.

(٥) أي: هم كرام الحي، ومثلهم مثل الذهب الصافي الذي يجتنيه المجتنون في صباح يوم ذي مطر.

(٤٠٩)

وقال آخَرُ[١]:

وأنــتَ امــرُؤٌ إمَّــا ائتَمَنْتُــكَ خاليًــا فخُنــتَ وإمَّــا قُلــتَ قــولًا بِــلا علــمِ

فأنـتَ[٢] مِـن الأمـرِ الـذي كـانَ بَيْنَنـا بمنزلـــةٍ بـــين الخِيـــانةِ والإثْـــمِ

(٤١١)

وقال سالِمُ بنُ وابِصةَ[٣]:

أُحِـبُّ الفتـى يَنفـي الفـواحشَ سَـمْعُهُ كـأنَّ بـه عـن كـلِّ فاحشـةٍ وَقْـرَا[٤]

سَـلِيمُ دَواعِـي الصَّـدْرِ لا باسـطٌ أذًى ولا مـانعٌ خـيرًا ولا قائـلٌ هُجْـرَا[٥]

---

(١) هو عبد الله بن همام السلولي، من بني مرة بن صعصعة، شاعر إسلامي كان موجودًا في صدر الدولة الأموية، وقيل: له صحبة. والبيتان مشهوران في كتب الأدب؛ لتفردهما في معناهما؛ روي أن رجلًا أتى عبيد الله بن زياد فأخبره أن هذا الشاعر سبَّه، فأرسل إليه ابن زياد، وقال: إن هذا يزعم أنك قلت كذا وكذا، فأقبل الشاعر على الرجل وقال له البيتين.

(٢) ويروى (فأُبْتَ)؛ أي عدت.

(٣) سبقت له القطعة (٢٤٤).

(٤) الوقر: الثقل، ومنه {وفي آذاننا وقر}.

(٥) الهُجر: الفحش، ومنه {سامرا تهجرون}.

إذا ما أتَتْ مِنْ صاحبٍ لك زَلَّةٌ فكُنْ أنتَ محتالًا لزَلَّتِه عُذْرَا
غِنَى النفسِ ما يَكْفِيك مِنْ سَدِّ حاجةٍ فإنْ زاد شيئًا عادَ ذاك الغِنى فَقْرَا

(٤١٣)

وقال عَقِيلُ بنُ عُلَّفةَ المُرِّيُّ(١):

وللدَّهْرِ أثوابٌ فكُنْ في ثيابِهِ كلِبْستِهِ يومًا أجَدَّ وأخْلَقَا
وكُنْ أكْيَسَ الكَيْسَى إذا كنتَ فيهِمُ وإنْ كُنتَ في الحَمْقى فكُن أنت أحْمَقَا

(١) شاعر مجيد قليل الشعر، من شعراء الدولة الأموية، كان شريفا معتزا بنفسه، وكانت إحدى بناته زوجة الخليفة يزيد بن عبد الملك.

(٤١٤)

وقال بعضُ الفزَاريِّين[١]:

أَكْنِيـــهِ حـــين أُنادِيـــه لِأُكرِمَـــهُ ولا أُلقِّـــبُه والسَّـــوْأَةَ اللَّـــقَبَا[٢]
كـذاك أُدِّبْـتُ حتـى صـارَ مِـن خُلُقـي أني وَجَـدْتُ مِـلاكَ الشِّـيمةِ الأدَبَـا[٣]

(٤١٥)

وقال رجلٌ مِن بني قُرَيْع[٤]:

متـى مـا يَـرَى النـاسُ الغَنِـيَّ وجـارُهُ فَقـــيرٌ يَقُولُـــوا: عاجـــزٌ وجَلِيـــدُ
ولـيس الغِنَـى والفقرُ مِـن حِيلـةِ الفَتَـى ولكـــنْ أحـــاظٍ قُسِّـــمَتْ وجُـــدُودُ[٥]
إذا المـــرءُ أعْيَتْـــهُ المُـــروءةُ ناشِـــئًا فمَطْلَـــبُها كَهْـــلًا عليـــه شـــديدُ[٦]
وكـــائِنْ رَأَيْنـــا مِـــن غَنـــيٍّ مُـــذمَّمٍ وصُـــعْلُوكِ قـــومٍ مـــاتَ وهْـــو حَمِيـــدُ

---

(١) لم يذكروا اسمه، ولكن يبدو أنه أعرابي فصيح؛ إذ ليس بين العلماء اختلاف في الاحتجاج بالبيتين، وقد ذكر أبو القاسم الفارسي في شرحه أنه إسلامي. والبيتان يُرويان بالنصب والرفع.

(٢) من شواهد النحو المشهورة. واستدل به ابن جني على تقديم المفعول معه على مصحوبه، وخولف.

(٣) من الشواهد النحوية في باب (ظن وأخواتها) أو (أفعال القلوب).

(٤) هو المَعْلُوط بن بَدَل القريعي السعدي.

(٥) أحاظ: قيل جمع حظ (على غير قياس)، والأَولى أن يكون أصله: حُظوة فجمعت على حِظًى، ثم أَحْظٍ، ثم أحاظٍ. كما قال ابن الأنباري. والجدود: جمع جَد، وهو الحظ أيضا.

(٦) في هذا البيت شاهد نحوي؛ وهو: تقدم الحال على صاحبه المجرور.

(٤١٨)

وقال آخَرُ[١]:

إيَّــاكَ والأمْــرَ الــذي إنْ تَوسَّــعَتْ ... مَدَاخِلُـهُ ضـاقَتْ عليـكَ المصـادِرُ[٢]

فمـا حَسَـنٌ أنْ يَعْـذِرَ المـرءُ نَفْسَـهُ ... ولـيس لـه مِـن سـائرِ النـاسِ عـاذِرُ

(٤١٩)

وقال العبَّاسُ بنُ مِرْداسٍ[٣]:

تَــرَى الرجُــلَ النَّحِيــفَ فتَزْدَرِيــه ... وفي أثوابـــه أسَـــدٌ مَزِيـــرُ[٤]

ويُعجِبُـــك الطَّرِيـــرُ[٥] فتَبْتَـــلِيه ... فيُخلِــفُ ظَــنَّك الرجــلُ الطريــرُ

فمــا عِظَــمُ الرِّجــالِ لهــم بفَخْــرٍ ... ولكـــنْ فَخْـــرُهُمْ كَــرَمٌ وخِـــيرُ

ضِــعافُ الطــيرِ أطولُــها جُسُــومًا ... ولم تَطُــــلِ البُــــزاةُ ولا الصُّــــقورُ

---

(١) هو: مضرس بن ربعي بن لقيط بن خالد بن نضلة الفقعسي، شاعر متمكن، كان معاصرًا للفرزدق.

(٢) المصادر: المخارج.

(٣) سبقت له القطعة (١٥١).

(٤) المزير: هو الجَلْد الخفيف النافذ في الأمور.

(٥) الطرير: هو الشاب الناعم السمين.

بُغــاثُ الطــيرِ أكثرُهــا فِراخًــا   وأمُّ الصــقرِ مِقْــلاتٌ نَــزُورُ[1]

لقــد عظُــمَ البعــيرُ بغــيرِ لُــبٍّ   فلــم يَسْــتَغْنِ بالعِــظَمِ البعــيرُ

يُصــرِّفُه الصــبيُّ لكــلِّ وَجْــهٍ   ويَحْبِـسُه عـلى الخَـسْفِ الجَـرِيرُ[2]

وتَضــرِبُه الوليــدةُ بالهَــرَاوَى   فــلا غِيَــرٌ لديــه ولا نكــيرُ[3]

فــإنْ أكُ في شِــرارِكُمُ قلــيلًا   فإنــي في خيــارِكُمُ كثــيرُ

---

(١) البغاث: كل طير ليس من الجوارح فلا يصيد شيئا. مقلات: أي لا يبقى لها ولد. نزور: أي قليلة الأولاد؛ يقال: شيء نَزْر؛ أي قليل.

(٢) الجرير: هو الحبل.

(٣) الهراوى: جمع هِراوة، وهي العصا. الغِيَر: التغيير، ومنه حديث وكيع بن عُدُس عن أبي رَزِين «يضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه». والنكير: الإنكار، ومنه {فكيف كان نكير}.

(٤٢٢)

وقال منظورُ بنُ سُحَيْمٍ[١]:

ولستُ بِهَاجٍ في القِرَى[٢] أَهْلَ منزلٍ ... عـلى زادِهـم أَبكـي وأُبكِـي البَوَاكِيَا
فإِمَّــا كِــرامٌ مُــوسِرُون أتيــتُهُمْ ... فحَسْبِيَ مِـن ذِي[٣] عنـدَهم مـا كَفَانِيَا
وإمَّــا كِــرامٌ مُعسِــرُون عَــذَرْتُهُمْ ... وإمــا لِئــامٌ فادَّكَــرْتُ حَيَائِيَــا
وعِـرْضِيَ أَبقَـى مـا ادَّخَـرْتُ ذخـيرةً ... وبَطْنِــيَ أطْوِيــهِ كطَــيِّ رِدَائِيَــا

(١) الأسدي الفقعسي، وهو شاعر إسلامي من أهل الكوفة، وقيل: إنه مخضرم.

(٢) قوله (في القرى) أي بسبب أنهم لم يقروني ويعطوني ما يستحقه الضيف. فاستعمال (في) هنا للسببية والتعليل، ولنتذكر {لمسكم فيما أخذتم} {فذلكن الذي لمتنني فيه}، وكذلك حديث ابن عمر «عذبت امرأة في هرة».

(٣) هذا البيت من شواهد النحو، وقد اختلف في قوله (من ذي عندهم)، فقيل: إنها (ذو) الطائية بمعنى (الذي)، ولكنها جاءت معربة وهي لغة، وقيل: إنها زائدة.

(٤٣٨)

وقال المُقَنَّعُ الكِنْدِيُّ[١]:

يُعاتِـبُني في الـدَّينِ قَـوْمي وإنمـا ... دُيُـونِيَ في أشـياءَ تَـكْسِبُهُمْ[٢] حَمْـدَا
أَسُـدُّ بـه مـا قـد أخَلُّـوا وضَـيَّعوا ... ثُغُـورَ حقـوقٍ مـا أطـاقُوا لـها سَـدَّا
وفي جَفْنـةٍ مـا يُغلَـقُ البـابُ دُونَهـا ... مُكلَّلَـةٍ لَحْمًـا مُدفَّقَـةٍ ثُـرْدَا[٣]
وفي فَـرَسٍ نَهْـدٍ[٤] عَتِيـقٍ جَعَلْتُـهُ ... حِجابًـا لبَيْتـي ثـم أخْدَمْتُـهُ عَبْـدَا
وإنَّ الـذي بَيْنـي وبـين بَنِـي أبي ... وبـين بنـي عمِّـي لمُختـلِفٌ جِـدًّا
فإنْ يأكُلُوا لَحْمي وَفَرْتُ لُحومَهُمْ ... وإن هَدَمُوا مجدي بَنَيْتُ لهم مَجْدَا
وإنْ ضيَّعوا غَيْبي حفِظْتُ غُيُوبَهم ... وإنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لهم رُشْدَا
وإن زَجَروا طيرًا بنَحْسٍ تَمُرُّ بي ... زجَرْتُ لهم طيرًا تَمُرُّ بهم سَعْدَا

---

(١) اسمه: محمد بن ظفر بن عميرة، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان كريما لا يرد سائلا، حتى ركبته الديون، وكان قد خطب ابنة عمه فردَّه إخوتُها وعيَّروه بفقره وديونه، فقال هذه الأبيات.

(٢) الفعل (كسب) يتعدى إلى مفعولين بنفسه، وهو أفصح من (أكسب)، كما في حديث خديجة «وتحمل الكل، وتَكسِبُ المعدومَ، وتقري الضيف».

(٣) الجفنة: أكبر من القصعة، ومكللة: أي مملوءة؛ كأن اللحم فيها كالإكليل، ومدفقة: أي مملوءة. وثُردا: بضم الثاء جمع ثريد (والأصل: ثُرُد)، ويجوز فتح الثاء على التسمية بالمصدر. وقوله (وفي جفنة) معطوف على قوله (في الدين)، وكذلك قوله بعد (وفي فرس).

(٤) نهد: أي جسيم مرتفع.

ولا أحمِلُ الحِقدَ القديمَ عليهِمُ وليس رئيسُ القومِ مَنْ يحملُ الحِقْدَا
لهم جُلُّ مالي إنْ تَتابعَ لي غِنًى وإنْ قلَّ مالي لم أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا
وإني لعَبْدُ الضيفِ ما دام نازِلًا وما شِيمةٌ لي غيرُها تُشبِهُ العَبْدَا

(٤٣٩)

وقال رجلٌ من الفَزَارِيِّين[١]:

إلَّا يَكُنْ عَظْمي[٢] طويلًا فإنَّني لـه بالخِصالِ الصَّالِحاتِ وَصُولُ
ولا خيرَ في حُسْنِ الجُسُومِ ونُبْلِها إذا لم تَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ
إذا كنتُ في القَوْمِ الطِّوالِ أصَبْتُهُمْ بعارِفةٍ[٣] حتى يُقالَ طويلُ
وكَمْ قد رَأَيْنا مِن فُروعٍ كثيرةٍ تموتُ إذا لم تُحْيِهِنَّ أصُولُ
ولم أرَ كالمعروفِ أمَّا مَذَاقُهُ فحُلْوٌ وأمَّا وَجْهُهُ فجميلُ

---

(١) وهو شاعر إسلامي كان في زمن معاوية؛ كما في شرح أبي القاسم الفارسي.

(٢) يقصد طول الجسم.

(٣) العارفة: الفعلة الجميلة، واليد تُسدى.

(٤٤١)

وقال مُضَرِّسُ بنُ رِبْعِيٍّ[١]:

إنَّـا لنَصْـفَحُ عـن مَجَـاهِلِ قومِنـا ... ونُقِـيمُ سـالِفةَ العـدوِّ الأصْـيَدِ
ومتـى نَخَـفْ يومًـا فَسَـادَ عَشِـيرةٍ ... نُصْـلِحْ، وإنْ نَـرَ صالحًـا لا نُفْسِـدِ
وإذا نَمَـوْا صُـعُدًا[٢] فلـيس علـيهِمُ ... مِنَّـا الخَبَـالُ[٣] ولا نُفُـوسُ الحُسَّـدِ
ونُعِـينُ فاعِلَنـا عـلى مـا نابَـهُ ... حتـى نُيَسِّـرَه لِفِعْـلِ السَّيِّـدِ
ونُجِيـبُ داعِيـةَ الصَّـباحِ بثائـبٍ[٤] ... عَجِلِ الرُّكـوبِ لِدَعْـوةِ المُسْتَنْجِـدِ
فنَفُـلُّ شَـوْكَتَها ونَفْثَـأُ حَمْـيَها ... حتـى تَـبُوخَ[٥] وحَمْـيُنا لم يَـبْرُدِ
ونُحِـلُّ في دار الحِـفاظِ بُيوتَنـا ... رَتْـعَ الجَمـائلِ في الـدَّرِينِ[٦] الأسْـوَدِ

---

(١) سبقت له القطعة (٤١٨).

(٢) نموا صُعُدا: أي ازدادوا ارتفاعا، والمعنى: ارتقوا في درجات الفضل والعز.

(٣) الخبال: الفساد، ولنتذكر {لا يألونكم خبالا}.

(٤) بثائب: أي بعسكر لا ينقطع مددُه.

(٥) نفل شوكتها: نضعف قوتها، ولنتذكر {غير ذات الشوكة}. نفثأ حميها: نسكّن حرارتها. تبوخ: تنطفئ.

(٦) الجمائل: جمع جمالة، والجمالة: جمع جمل. الدرين: اليابس من الكلأ.

(٤٤٤)

وقال قيسُ بنُ الخَطِيم(١):

ومـــا بعـــضُ الإقامـــةِ في ديـــارٍ	يُهـــانُ بهـــا الفتـــى إلا بَـــلاءُ
وبعـــضُ خلائـــقِ الأقـــوامِ داءٌ	كـــداءِ الـــبطنِ لـــيس لـــه دَواءُ
يُريـــدُ المـــرءُ أنْ يُعْطَـــى مُنَـــاهُ	ويـــأبَى اللهُ إلا مـــا يَشـــاءُ
وكـــلُّ شـــديدةٍ نزَلَـــتْ بحَـــيٍّ	ســـيأتي بعـــدَ شِـــدَّتِها رَخـــاءُ
ولا يُعطَى الحريصُ غِنًى لحِرْصٍ	وقـــد يَنمِـــي إلى الجُـــودِ الثَّـــراءُ
غَنِـيُّ الـنفسِ مـا عَمِـرَتْ(٢) غنِـيٌّ	وفَقْـرُ الـنفس مـا عَمِـرَتْ شَـقَاءُ
ولـــيس بنـــافعٍ ذا البُخْـــلِ مـــالٌ	ولا مُـــزْرٍ بصـــاحِبِه السَّخـــاءُ
وبعـــضُ الـــداءِ مُلْـــتَمَسٌ شِـــفَاهُ	وداءُ النُّـــوكِ(٣) لـــيس لـــه شِـــفاءُ

---

(١) شاعر وفارس من الأوس، وهو جاهلي أدرك الإسلام، لكنه لم يسلم. وله أشعار في وقعة (بعاث) بين الأوس والخزرج، وكان بينه وبين حسان بن ثابت ﷺ منافسة. وبعض هذه الأبيات تنسب للربيع بن أبي الحقيق، كما في بيان الجاحظ. وتنسب لغيرهما أيضا.

(٢) عمِر الإنسان بكسر الميم: أي طال عمره، وهذا الفعل له معانٍ مختلفة باختلاف حركة الميم؛ كما جاء في نظم مثلث قطرب لعبد العزيز المغربي:

(ودارُه قد عمَرت ❋ عمارةً، وعمِرت ❋ نفسُ الفتى، وعمُرت ❋ دارُك بعد الخرَبِ)

(٣) النوك بضم النون: أي الحمق، وفي معنى البيت قول الشاعر:

(لكل داءٍ دواءٌ يُستطبُّ به   إلا الحماقة أعيَتْ من يداويها)

(٤٤٥)

وقال يَزِيدُ بنُ الحَكَمِ[1]:

يـــا بَـــدْرُ والأمثـــالُ يَضْـــ ـــربُها لـــذي اللُّـــبِّ الحـــكيمُ
دُمْ للخليـــــــلِ بـــــــوُدِّهِ ما خـــيرُ وُدٍّ لا يـــــدومُ
واعـــرِفْ لجـــارِكَ حَقَّـــه والحـــقُّ يعرفُـــه الكـــريمُ
واعلَـــمْ بـــأنَّ الضـــيفَ يَـــوْ مًـــا ســـوفَ يَحْـــمَدُ أو يلـــومُ
والنـــاسُ مُبْتَنِـــيَانِ مَحْـــ ـمـــودُ البِنايـــةِ أو ذمـــيمُ
واعلَـــمْ بُنَـــيَّ فإنَّـــه بالعِـــلمِ يَنتفِـــعُ العلـــيمُ
أنَّ الأمـــورَ دقيـــقُها مِمَّـــا يَهـــيجُ لـــه العظـــيمُ
والتَّـــبْلُ مِثـــلُ الدَّيْـــنِ تُقْـــ ـضـــاهُ، وقـــد يُلـــوَى الغـــريمُ[2]
والبَغْـــيُ يَصْـــرعُ أهلَـــه والظُّلْـــمُ مَرْتَـــعُه وَخِـــيمُ
ولقـــد يكـــونُ لـــكَ الغريـــ ـــبُ أخًـــا ويَقْطَعُـــكَ الحميـــمُ
والمـــرءُ يُكـــرَمُ للغِنَـــى ويُهـــانُ للعَـــدَمِ العـــديمُ

---

(١) يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي، شاعر أموي مجيد، كان معاصرًا للفرزدق، ومدح الفرزدق شعره. وهذه الأبيات من شعر الحكمة، يعظ فيها ابنه (بدرا).

(٢) التبل: الذَّحْل (الثأر). يلوى: يُمطَل. والمعنى: أن العداوات مثل الديون التي يطالب بها.

قـــد يُقتِــــرُ الحَــــولُ التَّقِــــ ـــيُّ ويُكثِـــرُ الحَمِـــقُ الأثـــيمُ[1]
يُمْــــــلَى لـــــــذاكَ ويُبْـــــتَلَى هـــــذا فأيُّهـمـــــا المَضِيـــــمُ
والمـــــرءُ يَبْخَـــلُ في الحُقـــو قِ، ولِلْكَـــلالةِ مـــا يُسِـــيمُ[2]
مـــا بُخْـــلُ مَـــنْ هـــو للمَنُــو نِ ورَيبِـــها غَــرَضٌ رَجِــيمُ[3]
ويَـــــرَى القُــــرُونَ أمامَــــه هَمَــدُوا كمــا هَمَــدَ الهــشيمُ
وتُخــــرَّبُ الدنــــيا فــــلا بُـــــؤسٌ يـــــدومُ ولا نعـــيمُ
كـــلُّ امـــرئٍ ستَئِـــيمُ مِنْــــ ـــهُ العِـــرْسُ أو مِنهـــا يَئِـــيمُ
مـــا عِلـــمُ ذي ولَـــدٍ أيَثْــــ كَـــلُهُ أمِ الولـــدُ اليتـــيمُ
والحــــربُ صـــاحبُها الصَّلِيـــ ـــبُ عـــلى تَلاتِـــلِها العَــزُومُ[4]
مَــــن لا يَمَـــلُّ ضِـــرَاسَها ولـــدى الحقيـــقةِ لا يَخِيـــمُ

(١) الحول: الكثير الحيلة. والمعنى: أن الغنى والفقر أرزاق مقدرة؛ ومن ثم فقد يفتقر العاقل صاحب التقوى، وقد يثري الجاهل صاحب الأوزار.

(٢) الكلالة: الورثة عدا الولد والوالد، ولنتذكر {يورث كلالة}. ويسيم: يرعى. والمعنى: أن الإنسان قد يبخل بماله في حياته ولا يضعه في الحقوق الواجبة، مع أن ما يجمعه سوف يصير بعد موته إلى الورثة.

(٣) المنون: أي الموت. وريبها: أي نزولها ومقدماتها. وغرض: أي هدف. ورجيم: بمعنى مرجوم؛ أي مقذوف. ولنتذكر {لأرجمنك}، {رجما بالغيب}.

(٤) الصليب: ذو الصلابة والشدة. التلاتل: الشدائد. العزوم: ذو العزم.

واعلَـــمْ بـــأنَّ الحـــربَ لا يَسْطِيـــعُها المَـــرِحُ السَّـــؤُومُ
والخَيْـــلُ أجْـــوَدُها المُـــنا هِـــبُ عنـــد كَبَّـــتِها الأَزُومُ[١]

(٤٤٧)

وقال مُحَمَّدُ بنُ أبي شِحَاذٍ[٢]:

إذا أنـتَ أُعْطِيـتَ الغِنَـى ثُـمَّ لم تَجُـدْ بفَضْـلِ الغِنَـى أُلْفِيـتَ مـا لَـكَ حامِـدُ
إذا أنـتَ لم تَعْـرُكْ بجَنْبِـكَ بعـضَ مـا يَرِيـبُ مِـنَ الأَدْنَـى رَمَـاكَ الأباعِـدُ[٣]
إذا الحِلْمُ لم يَغلِبْ لَكَ الجَهْلَ لم تَزَلْ عليـــكَ بُـــرُوقٌ جَمَّـــةٌ ورَوَاعِـــدُ
إذ العَـزْمُ لم يَفْـرُجْ لَـكَ الشَّـكَّ لم تَـزَلْ جَنِيبًـا كمـا اسْتَتْـلَى الجَنِيـبةَ قائِـدُ[٤]
وقَـــلَّ غَنَـــاءً عنـــك مـــالٌ جَمَعْتَـــهُ إذا كـــان مِيراثًـــا وواراكَ لاحِـــدُ
تَجـــلَّلْتَ عـــارًا لا يَـــزالُ يَشُـــبُّهُ[٥] سِـــبابُ الرِّجـــالِ نَثْـــرُهُمْ والقصـــائِدُ

---

(١) المناهب: السريع. كبتها: أي معظمها وشدتها. الأزوم: أي العضوض، من الأزم؛ وهو العض.

(٢) شاعر إسلامي، وقيل: اسمه حميد، وهو من بني ضبة.

(٣) المعنى: إذا لم تصبر على الأذى المحتمل من عشريتك وأقاربك، جاءك من الأباعد أذى أكبر منه. يقال: عركتُ كذا بجنبي: أي احتملتُه.

(٤) الجنيب: التابع الذي يقاد. استتلى: استتبع (جعل الشيء تابعا)؛ ومعنى البيت: إذا ركبت في الأمور الشك، ولم تعزم عزمة مصمم؛ لم تزل ذليلًا تتبع غيرك.

(٥) يشبه: أي يوقد نارَه.

(٤٤٩)

وقالت حُرَقةُ ابنةُ النُّعمانِ(١):

بَيْنَا نَسُوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا ... إذا نحنُ منهم سُوقةٌ نَتنصَّفُ(٢)

فأُفٍّ لدُنيا لا يَدُومُ نَعِيمُها ... تَقلَّبُ تاراتٍ بِنَا وتَصَرَّفُ

(١) شاعرة من بيت سلطان وملك؛ فهي: بنت النعمان بن المنذر (ملك الحيرة)، ويقال: إنها أدركت الإسلام؛ فقد روي أنها جاءت سعد بن أبي وقاص في القادسية تطلب صلته.

(٢) نسوس الناس: ندبر أمرهم. السوقة: مَن دون الملك. نتنصف: نصير خدما للناس.

(٤٥٠)

وقال الحَكَمُ بنُ عَبْدَلٍ[1]:

أَطلُبُ ما يَطلُبُ الكريمُ مِنَ الرِّزْ ... قِ بنَفْسي وأُجْمِلُ الطَّلَبَا
وأحْلُبُ الثَّرَّةَ الصَّفِيَّ ولا ... أَجْهَدُ أَخْلافَ غيرِها حَلَبَا[2]
إني رأيتُ الفتى الكريمَ إذا ... رَغَّبْتَهُ في صَنِيعةٍ رَغِبَا
والعَبْدُ لا يَطلُبُ العَلاءَ ولا ... يُعْطِيكَ شيئًا إلا إذا رَهِبَا
مِثْلُ الحِمَارِ المُوَقَّعِ السَّوْءِ لا ... يُحْسِنُ مَشْيًا إلا إذا ضُرِبَا[3]
ولم أجِدْ عُرْوةَ الخَلائقِ إلَّا الدِّ ... ينَ لَمَّا اعْتَبَرْتُ والحَسَبَا[4]
قد يُرزَقُ الخافِضُ المُقِيمُ وما ... شَدَّ بعَنْسٍ رَحْلًا ولا قَتَبَا[5]
ويُحْرَمُ المالَ ذو المَطيَّةِ والرَّحْـ ... ـلِ ومَنْ لا يَزالُ مُغْتَرِبَا

(١) من بني أسد بن خزيمة، وهو شاعر مجيد من شعراء الدولة الأموية، وكان أعرج لا تفارقه العصا، فيكتب حاجته على عصاه ويبعث بها إلى الملوك، فلا يُحبس له رسول.

(٢) الثرة: الغزيرة اللبن من النوق والشاء.

(٣) الموقع: الذي في ظهره آثار مما يحمله.

(٤) العروة: ما يتمسك به.

(٥) عنس: ناقة صلبة. الرحل: السرج. القتب: الإكاف.

(٤٥٢)

وقال الفَرَزْدَقُ[١]:

إذا مــا الدَّهْــرُ جَــرَّ عــلى أُنــاسٍ   حوادِثَـــــه أنـــــاخَ بآخَـــــرِينا

فقُـــلْ للشـــامِتِين بنـــا: أفِيقُـــوا   ســـيَلْقى الشـــامِتُون كمـــا لَقِينـــا

(٤٥٣)

وقال الصَّلَتَانُ العَبْديُّ[٢]:

أشـــابَ الصـــغيرَ وأفنـــى الكبـــيرَ   كَـــرُّ الليـــالي ومَـــرُّ العَـــشِي

إذا ليلـــــةٌ هَـــــرَّمَتْ يومَهـــــا   أتـــى بعـــدَ ذلـــك يـــومٌ فَتِـــي

نَـــــرُوحُ ونَغْـــــدُو لِحاجـــــاتِنا   وحاجـــةُ مَـــن عـــاشَ لا تَنْقَـــضِي

تمـــوتُ مـــعَ المـــرءِ حاجاتُـــهُ   ويَبْقَـــى لـــه حاجـــةٌ مـــا بَقِـــي

إذا قلـــتَ يومًـــا لِمَـــنْ قـــد تَـــرَى: أرُونِي السَّـــــرِيَّ أرَوْكَ الغَنِـــــي

(١) اسمه: همام بن غالب بن صعصعة التميمي، من أشعر شعراء عصره، وأخباره مع جرير والأخطل كثيرة. توفي سنة ١١٠هـ. وهو من أكثر من استشهد سيبويه بشعرهم في الكتاب، فقد ذكر له أكثر من خمسين شاهدا.

(٢) اسمه: قثم بن خبية، من عبد القيس. شاعر حكيم، مشهور بهذه القصيدة، وكان معاصرا لجرير والفرزدق، وله قصيدة في الحكم بينهما إذ تحاكما إليه.

ألـــم تَـــرَ لقمـــانَ أوْصَـــى بَنِيـــهِ وأوصـــيتُ عَمْـــرًا فـــنِعْمَ الـــوَصِي
بُنَـــيَّ بَـــدَا خِـــبُّ نَجْـــوى الرِّجـــالِ فكُـــن عنـــد سِرِّكَ خَـــبَّ النَّجِـــي
وسِرُّك مـــا كـــان عنـــدَ امـــرئٍ وسِرُّ الثلاثـــةِ غـــيرُ الخَـــفِي

(باب النَّسِيب)

(٤٥٤)

قال الصِّمَّةُ بنُ عبدِ اللهِ القُشَيْرِيُّ[(١)]:

حَنَنْتَ إلى رَيَّا ونَفْسُكَ باعَدَتْ ... مَزارَك مِن رَيَّا وشَعْبَاكُما مَعَا[(٢)]

فما حَسَنٌ أنْ تأتِيَ الأمرَ طائعًا ... وتَجْزعَ أنْ داعي الصَّبابةِ أسمَعَا[(٣)]

قِفا وَدِّعَا نَجْدًا ومَنْ حَلَّ بالحِمَى ... وقَلَّ لنَجْدٍ عِندَنا أنْ يُوَدَّعَا[(٤)]

وليستْ عَشِيَّاتُ الحِمَى برَواجِعٍ ... عليك ولكنْ خَلِّ عينيك تَدْمَعَا

ولَمَّا رأيتُ البِشْرَ أعرَضَ دُوننا ... وحالتْ بناتُ الشوقِ يَحنِنَّ نُزَّعَا[(٥)]

بَكَتْ عينِيَ اليُمنى فلمَّا زَجَرْتُها ... عنِ الجهلِ بعدَ الحِلمِ أَسْبَلَتا مَعَا

---

(١) شاعر إسلامي بدوي مقل، من شعراء الدولة الأموية، وهو مشهور بشعره الرقيق في الغزل. وقد قيل عن هذه القصيدة: لو حلف حالف أنها أحسن ما قيل في الغزل في الجاهلية والإسلام ما حنث.

(٢) الشعب: فوق القبيلة.

(٣) الصبابة: الشوق، ومعنى البيتين: كيف تشتاق إلى هذه المرأة وقد آثرت نفسُك البعد عنها بعد أن كان حيَّاكما مجتمعين؟ فليس من الحسن أن تفعل الشيء باختيارك ثم تجزع بعده.

(٤) الحمى: الموضع يكون به الماء والكلأ يمنع منه الناس.

(٥) البشر: جبل. وأعرض: أي اعترض. وقوله (حالت) بالحاء عند المرزوقي، ويروى (جالت) بالجيم. وبنات الشوق: المقصود كل عضو يتأثر بالشوق؛ كعينه وقلبه. النزع: جمع نازع؛ أي مشتاق.

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحيِّ حتى وجدتُني وَجِعْتُ مِنَ الإصغاء لِيتًا وأخْدَعَا[1]
وأذكرُ أيامَ الحِمى ثم أَنْثَني على كَبِدِي مِنْ خشيةٍ أن تَصدَّعَا

(٤٦٣)

وقال آخَرُ[2]:

إنَّ التي زَعَمَتْ فؤادَكَ مَلَّها خُلِقَتْ هواكَ كما خُلِقْتَ هَوًى لها
بيضاءُ باكَرَها النعيمُ فَصَاغَها بلَباقةٍ فأدَقَّها وأجَلَّها
حَجَبَتْ تحيَّتَها فقُلتُ لصاحِبِي ما كان أكثَرَها لنا وأقَلَّها
وإذا وَجَدْتُ لها وساوِسَ سَلْوةٍ شَفَعَ الضميرُ لها إليَّ فسَلَّها

(١) الليت (بكسر اللام): صفحة العنق، والأخدع: عرق في الليت. وهذا البيت من شواهد البلاغة.

(٢) هو: عروة بن أذينة، شاعر أموي مجيد، من شعراء المدينة المشهورين بالغزل، وهو أيضا من الفقهاء والمحدثين.

(٤٦٦)

وقال الصِّمَّةُ القُشَيريُّ[١]:

أقـولُ لصـاحِبِي والعِـيسُ[٢] تَهـوِي ... بِنَـا بـين المُنِيـفةِ فالضِّمـارِ[٣]

تَمَـتَّعْ مِـنْ شَـمِيمِ عَـرَارِ[٤] نَجْـدٍ ... فمـا بعـدَ العَشِـيَّةِ مِـن عَـرَارِ

ألا يـا حَبَّـذا نَفَحَـاتُ نَجْـدٍ ... ورَيَّـا رَوْضِـهِ غِـبَّ القِطَـارِ[٥]

وأهلُـكَ إذ يَحُـلُّ الحـيُّ نَجْـدًا ... وأنـتَ عـلى زمانِـكَ غـيرُ زارِ[٦]

شُـهورٌ يَنقضِـينَ ومـا شَـعَرْنا ... بأنصـافٍ لهـن ولا سَرَارِ[٧]

---

(١) سبقت له القطعة (٤٥٤).

(٢) العيس: الإبل البيض العراب.

(٣) المنيفة: موضع، والضمار: مكان أو واد.

(٤) الشميم: مصدر شمَّ، والعرار: نبات أصفر طيب الرائحة.

(٥) ريا روضه: رائحته. غب القطار: بعد المطر.

(٦) زار: عائب؛ من قولك: زريت عليه.

(٧) سرار الشهر: آخره.

(٤٧١)

وقال آخَرُ[١]:

قد كنتُ أعلُو الحُبَّ حِينًا فلم يَزَلْ   بيَ النَّـقْضُ والإبـرامُ حتـى عَلَانِيَـا[٢]

ولم أرَ مِثْلَـيْنا خلـيلَيْ جَنابـةٍ[٣]   أشـدَّ عـلى رَغْـمِ العـدوِّ تَصَـافِيَا

خليلَـينِ لا نرجُـو لِقـاءً ولا تَـرَى   خليلَـينِ إلا يرجُـوانِ التَّلاقِيَـا

(٤٧٦)

وقال عبدُ اللهِ بنُ عَجْلانَ النَّهْديُّ[٤]:

وحُقَّـةِ مِسْـكٍ مِـنْ نِسـاءٍ لَبِسْـتُها   شَـبَابِي وكـأسٍ باكَـرَتْني شَمُولُـها[٥]

جديـدةُ سِرْبـالِ الشـبابِ كأنَّهـا   سَـقِيَّةُ بَـرْدِيٍّ نَمَـتْها غُيُولُـها[٦]

---

(١) مجنون ليلى، واسمه: قيس بن معاذ العامري، توفي سنة ٦٨هـ.

(٢) المعنى: كنت أغلِبُ الهوى زمانًا، فلم أزل أجاذبه ويجاذبني حتى غلبني.

(٣) الجنابة: البعد، واستحضر هذا الشاهد عند دراسة (أحكام الجنب) في الفقه.

(٤) شاعر جاهلي، كان من المتيمين وممن قتله الحب؛ كانت له زوجة اسمها هند، فطلقها ثم ندم ومات أسفا عليها.

(٥) حقة المسك: وعاؤه وظَرْفُه. والشمول: الخمر التي تملك العقل. باكرتني: جاءتني وقت البكور.

(٦) جديدة سربال الشباب: أي أنها في أول الشباب وطراوته. سقية بردي: أي ما سُقِي من البردي. نمتها: أي أنبتتها. والغيول: جمع غَيْل؛ وهو الماء يجري بين الأشجار.

وَمُخْمَلَـةٍ[1] بـاللحمِ مِـن دُونِ ثَوْبِهـا   تَطُـولُ القِصَـارَ والطِّـوالُ تَطُولُـها
كـأن دِمَقْـسًا أو فُـرُوعَ غَمـامةٍ   عـلى مَتْنِهـا حيـثُ اسـتَقَرَّ جَـدِيلُها[2]

(٤٧٨)

وقال أبو الطَّمَحَانِ القَيْنِيُّ[3]:

ألا عَلِّـلاني قبـلَ صَـدْحِ النَّـوائحِ   وقبـلَ ارتقـاءِ النـفسِ فـوقَ الجـوانِحِ
وقبـل غـدٍ يـا لَهْـفَ نفسـي عـلى غـدٍ   إذا راحَ أصـحابي ولسـتُ بـرائحِ

---

(١) مخملة باللحم: أي سمينة؛ كأن اللحم جعل خَمْلًا عليها (الخمل: كساء كالقطيفة والطنفسة). والشطر الثاني معناه أنها ربعة وسط.

(٢) دمقس: أي حرير أبيض. فروع غمامة: أي أطراف سحابة. جديل: أي وشاح.

(٣) شاعر وفارس، مخضرم، وهو مشهور بكنيته، واختلف في اسمه؛ فقيل: حنظلة بن الشرقي (أو شرقي بن حنظلة)، وقيل: ربيعة بن عوف، وهو معدود في المعمَّرين.

(٤٧٩)

وقال آخَرُ[١]:

هَـلِ الوَجْـدُ إلا أنَّ قلبـيَ لـو دَنَـا مِنَ الجَمْرِ قِيدَ الرُّمْحِ لاحترقَ الجَمرُ[٢]
أفي الحَـقِّ[٣] أني مُغْـرَمٌ بـكِ هـائمٌ وأنـكِ لا خَـلٌّ هَـواكِ ولا خمـرُ
فـإنْ كنـتُ مَطْبوبًـا فـلَا زلـتُ هكـذا وإنْ كنـتُ مسـحورًا فـلا بَـرَأَ السِّـحْـرُ

(٤٨١)

وقال شُبْرُمَةُ بنُ الطُّفَيْلِ[٤]:

ويـومٍ شـديدِ الحَـرِّ قَصَّـرَ طُولَـهُ دَمُ الـزِّقِّ عَنَّـا واصـطِكاكُ المَـزَاهِرِ[٥]
لَـدُنْ غُـدْوةً حتـى أرُوحَ، وصُـحْبَتي عُصـاةٌ عـلى النـاهِينَ شُـمُّ المَنَـاخِرِ[٦]

---

(١) تنسب للمجنون، وللنهدي (عبد الله بن عجلان)، ولفائد بن المنذر القشيري، ولغيرهم.

(٢) قيد الرمح: أي قَدْرُه، ومنه حديث عائشة «من ظلم قِيدَ شبر».

(٣) شاهد نحوي في أن (أحقًّا) أصلها (أفي حق).

(٤) لم يترجموا له، ولكن ذكروا أنه روى عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهما، فهو من طبقة التابعين. والأبيات تنسب ليزيد بن الطثرية أيضًا، ولعل هذا هو الأرجح.

(٥) دم الزق: المقصود الخمر. المزاهر: آلات اللهو. جمع (مِزهَر)، ولنتذكر حديث أم زرع «إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك».

(٦) شاهد على نصب (غدوة) بعد (لدن).

كـــأنَّ أبـــارِيقَ الشَّـــمُولِ عَشِـــيَّةً إوَزٌّ بـأعلى الطَّـفِّ عُـوجُ الحَنَـاجِرِ[1]

(٤٨٥)

وقال إيَاسُ بنُ الأرَتِّ[2]:

هَلُـمَّ خَلِـيلِي والغَوَايـةُ قـد تُصْـبِي هلُـمَّ نُحَيِّ المُنْتَشِينَ مِـنَ الشَّـرْبِ[3]
نُسَـــلِّ مَلامـــاتِ الرِّجـــالِ بِرَيَّـــةٍ ونَفْـرِ شُرورَ اليـوم باللَّهْـوِ واللَّعْـبِ[4]
إذا مــا تَرَاخَــتْ ســاعةٌ فاجْعَلنَّهــا لـخيرٍ فإنَّ الدَّهْـرَ أعْصَلُ ذو شَغْبِ[5]
فـإن يـكُ خـيرٌ أو يكُـنْ بعـضُ راحـةٍ فإنَّـك لاقٍ مِـن غُمـومٍ ومِـن كَـرْبِ

---

(١) الشمول: الخمر. الطف: أي الشاطئ.

(٢) شاعر إسلامي من طيئ.

(٣) الشرب: جمع شارب.

(٤) نفر: نقطع.

(٥) أعصل: معوج الأنياب. شغب: شر.

(٤٩٣)

وقال كُثَيِّر[(١)]:

وَدِدْتُ ومــا تُغنــي الــوَدادةُ أننــي بمـــا في فُـــؤادِ الحاجِبِـــيَّةِ عالِـــمُ
فــإنْ كــانَ خــيرًا سَــرَّني وعَلِمْتُــهُ وإنْ كــانَ شَــرًّا لم تلُمْنــي اللــوائمُ
ومــا ذَكَرَتْــكِ النفــسُ إلا تفرَّقَــتْ فـــريقَينِ منهـــا عـــاذرٌ لي ولائـــمُ

(٤٩٥)

وقال نُصَيْبٌ[(٢)]:

لقــد هَتَفَــتْ في جِـنْحِ ليــلٍ حمامــةٌ عـــلى فَـــنَنٍ وَهْنًـــا وإني لنـــائمُ
كَـذَبتُ وبيـتِ اللهِ لـو كنـتُ عاشـقًا لَمَـــا ســـبَقَتْني بالبكـــاءِ الحمـــائمُ

---

(١) شاعر أموي من الفحول، وهو مشهور بشعره الغزلي في (عزة) حتى نسب إليها. توفي سنة ١٠٥هـ.

(٢) نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، من فحول الشعراء الإسلاميين، وكان معاصرا لجرير والفرزدق. توفي سنة ١٠٨هـ.

(٤٩٦)

وقال الشَّماطِيطُ الغَطَفانيُّ[١]:

أرارَ اللهُ مُخَّكِ[٢] في السُّلَامَى ... إلى مَنْ بالحَنِينِ تُشَوِّقِينَا
فإني مِثلُ ما تَجِدِين وَجْدي ... ولكِنِّي أُسِرُّ وتُعْلِنِينَا
وبي مِثلُ الذي بِكِ غيرَ أني ... أُجَلُّ عَنِ العِقَالِ وتُعْقَلِينَا

(٥٠١)

وقال آخَرُ[٣]:

أحُبًّا على حُبٍّ وأنتِ بخيلةٌ ... وقد زَعَموا ألَّا يُحَبَّ بَخِيلُ
بلى والذي حَجَّ المُلَبُّونَ بَيْتَه ... ويَشفِي الهوى بالنَّيْلِ وَهْوَ قليلُ
وإنَّ بِنَا لو تعلمين لَغُلَّةً ... إليكِ كما بالحائماتِ غَلِيلُ

(١) أو غيره، وتنسب للنابغة الجعدي. وهذا الشاعر إسلامي، كان معاصرا لابن ميادة. وفي هذه القطعة يخاطب ناقته داعيا عليها بالهزال بسبب أنها لما حنَّت حملته على الشوق والحنين، فضجر لشدة ما يلاقيه بتهييجها له.

(٢) أرار مخك: أي جعله رقيقا من الهزال، وخصه بالسلامى؛ لأنه آخر ما يبقى فيه المخ.

(٣) هو مجنون ليلى، وقد سبقت له القطعة (٤٧١).

(٥٠٣)

وقال عبدُ اللهِ بنُ الدُّمَيْنةِ(١):

ألا يا صَبَا نَجْدٍ متى هِجْتِ مِن نَجْدِ   لقد زادني مَسْراكِ وَجْدًا على وَجْدِ
أأنْ هَتَفَتْ وَرْقاءُ في رَوْنَقِ الضُّحَى   على فَنَنٍ غَضِّ النباتِ مِنَ الرَّنْدِ
بكيتَ كما يَبكي الوليدُ ولم تزَلْ   جليدًا وأبدَيْتَ الذي لم تكُنْ تُبدِي
وقد زَعَمُوا أن المُحِبَّ إذا دَنَا   يَمَلُّ وأنَّ النأيَ يَشفِي مِنَ الوَجْدِ
بكُلٍّ تَداوَيْنا فلم يَشْفِ ما بنا   على ذاكَ قُرْبُ الدارِ خيرٌ مِنَ البُعْدِ
على أنَّ قُرْبَ الدارِ ليس بنافعٍ   إذا كان مَنْ تَهْواه ليس بذي وُدِّ

(٥٠٤)

وقال آخَرُ(٢):

إذا ما شِئتَ أن تَسلَى خليلًا   فأكثِرْ دُونَه عَدَدَ الليالي
فما سَلَّى خليلَك مثلُ نأيٍ   ولا بَلَّى جديدَك كابتذالِ

(١) هو: عبد الله بن عبيد الله الخثعمي، والدمينة: أمه. وهو شاعر بدوي رقيق الألفاظ، وأكثر شعره في الغزل، وهو من شعراء الدولة الأموية.

(٢) هو: زُهَير بنُ جَنَاب الكلبي، شاعر جاهلي، وفارس مشهور، يعد من المعمَّرين.

(٥٠٥)

وقال آخَرُ[١]:

أَلَا طَرَقَتْنَـا آخِـرَ الليـلِ زينـبُ　　عليكِ سلامٌ هل لِمَا فاتَ مطلبُ

وقالـت: تَجَنَّـبْنا ولا تَقْرِبَنَّـنا　　فكيفَ وأنـتم حـاجتي أتجنَّـبُ

يقولـون: هل بعدَ الثلاثِينَ مَلعَبٌ　　فقلتُ: وهل قبلَ الثلاثِينَ مَلعَبُ

لقد جَلَّ خَطْبُ الشَّيْبِ إن كنتُ كُلَّما　　بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرَى مِنَ اللَّهْوِ[٢] مَرْكَبُ

(٥٠٦)

وقال كُثَيِّرٌ[٣]:

وأَدْنَيْتِنـي حتـى إذا مـا فَتَـنْتِني　　بقَولٍ يُحِلُّ العُصْمَ[٤] سَهْلَ الأباطِحِ

تَنَاهَيـتِ عنـي حِـينَ لا ليَ حِيلـةٌ　　وغـادَرتِ ما غـادَرتِ بين الجوانحِ

---

(١) هو: يزيد بن مفرِّغ الحميري، توفي سنة ٦٩هـ.

(٢) لنتذكر {لو أردنا أن نتخذ لهوا}.

(٣) سبقت له القطعة (٤٩٣).

(٤) العصم: جمع أعصم، وهو الوعل في ذراعيه بياض. وقوله (يحل) يذكرنا بـ{أحلنا دار المقامة}.

(٥١٠)

وقال آخَرُ[(١)]:

سَـلِي البانـةَ الغَـنَّاءَ بـالأجْرَعِ الـذي ... بـه البـانُ هـل حَيَّيْتُ أطـلالَ دارِكِ[(٢)]

وهــل قُمــتُ في أظلالِــهنَّ عَشِــيَّةً ... مَقامَ أخي البأساءِ واخترتُ ذلِكِ[(٣)]

لِيَهْنِكِ إمساكي بكفِّي على الحَشَا ... ورَقْـراقُ دَمْعـي رَهْبـةً مِـن زِيَالِـكِ[(٤)]

(٥١١)

وقال آخَرُ[(٥)]:

تمتَّـعْ بهـا مـا ساعَفَـتْكَ ولا تكُـنْ ... عليـكَ شَـجًا في الصَّـدْرِ حـين تَبِـينُ

---

(١) هو: ابن الدمينة، وقد سبقت له القطعة (٥٠٣).

(٢) البان: ضرب من الشجر. الغناء: الكثيرة الورق والأغصان. الأجرع: المكان السهل المختلط بالماء.

(٣) بكسر الكاف لأنه خطاب مؤنث، وهذا الباب فيه عند العرب ثلاث لغات: الأولى: مطابقة حرف الخطاب للمخاطب؛ فيقال (ذلكم) لجمع المذكر، و(ذلكن) لجمع المؤنث، و(ذلكَ) للمفرد المذكر، و(ذلكِ) للمفرد المؤنث، وهكذا، والثانية: فتح الكاف للمذكر وكسرها للمؤنث مطلقا، والثالثة: فتح الكاف مطلقا. ينظر: ارتشاف الضرب (٢/ ٩٧٩).

(٤) زيالك: مصدر (زايَل)؛ أي فارق.

(٥) هو: قيس بن ذَرِيح (بفتح فكسر)، من شعراء الغزل العذري في صدر الدولة الأموية، وقد اشتهر بـ(قيس لبنى) لكثرة شعره فيها. والأبيات تنسب أيضا لكثير عزة.

وإنْ هِـــيَ أعطَتْــكَ اللَّـــيَانَ فإنهــا　　　لغــــيرِك مِــــن خُلَّانِهـــا سَــــتَلِينُ
وإنْ حَلَفتْ لا يَنقُضُ النأيُ عهدَها　　　فلــيس لمَخْضُــوبِ البَنَــانِ يَمِــينُ

(٥١٣)

وقال آخَرُ[١]:

ولــو أنَّ لــيلى الأخْيَلِيَّــةَ سَــلَّمَتْ　　　عـــليَّ ودُونِي تُربـــةٌ وصــــفائِحُ
لســلَّمتُ تســليمَ البشاشــةِ أو زَقَــا　　　إليها صَدًى[٢] مِن داخلِ القبرِ صائحُ
وأُغــبَطُ مِــن لــيلى بمــا لا أنالُــهُ　　　ألا كُــلُّ مــا قَــرَّتْ بــه العــينُ صــالحُ

(٥١٥)

وقال نُصَيْبٌ[٣]:

كــأنَّ القَلْــبَ ليلــةَ قِيــلَ يُغْــدَى　　　بِلَــــيلى العامريَّــــةِ أو يُــــراحُ

---

(١) هو: توبة بن الحُمَيِّر، من شعراء الغزل العذري في صدر الدولة الأموية، اشتهر بحبه لليلى الأخيلية.

(٢) زقا: صاح. والصدى: طائر كانت العرب تزعم أنه يخرج من قبر الميت فيجيب عنه.

(٣) سبقت له القطعة (٤٩٥). ولهذه الأبيات تكملة رائعة، ولكني لم أذكرها هنا لأنها لم ترد عند المرزوقي، فانظرها مشكورا في شرح التبريزي.

قَطَـــاةٌ عَـــزَّها(١) شَرَكٌ فباتَـــتْ تُجاذِبُـــهُ وقـــد عَلِـــقَ الجَـــنَاحُ

(٥١٨)

وقال آخَرُ(٢):

رَعـــاكِ ضَمـــانُ اللهِ يـــا أمَّ مالـــكٍ ولَلهُ أنْ يَشْـــفِيكِ أغنَـــى وأوسَـــعُ
يُـذكِّرُنيكِ الخـيرُ والشـرُّ والـذي أخـــافُ وأرجـــو والـــذي أتوقَّـــعُ

(٥٢١)

وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحيُّ(٣):

أأَتْـــرُكُ لـــيلى لـــيسَ بينـــي وبينَهـــا ســـــوى ليلـــــةٍ إني إذَنْ لصَـــــبُورُ
هَبُـوني امْـرأً مـنكم أضَـلَّ بعـيرَه لـــــه ذِمَّـــــةٌ إنَّ الذِّمـــــامَ كبـــــيرُ
ولَلصَّـاحِبُ المـتروكُ أعظـمُ حُرمـةً عــلى صــاحبٍ مِــنْ أنْ يَضِــلَّ بعــيرُ
عفـا اللهُ عـن لـيلى الغَـداةَ فإنّهـا إذا وَلِيَـــتْ حُكمًـــا عـــليَّ تَجُـــورُ

---

(١) عزها: أي غلبها، ولنتذكر {وعزني في الخطاب}.

(٢) تنسب لمجنون ليلى، ولأعرابي من هذيل، ولمسلم بن عقيل.

(٣) اسمه: وهب بن زمعة، وهو شاعر مجيد، أدرك خلافة علي بن أبي طالب، ومدح معاوية وابن الزبير، وقد اختلف في وفاته اختلافا كبيرا، فقيل: ٦٣هـ، وقيل: ٩٦هـ، وقيل: ١٢٦هـ (ورجحه محقق ديوانه).

(٥٣٩)

وقال وَرْدٌ الجَعْديُّ[١]:

خليليَّ عُوجَا[٢] باركَ اللهُ فيكما وإنْ لم تكُنْ هندٌ لأرضِكما قَصْدَا
وقُولا لها ليس الضلالُ أجارَنَا ولكِنَّنا جُرْنا[٣] لنَلْقاكُمُ عَمْدَا

(٥٤٠)

وقال آخَرُ[٤]:

وما في الخلقِ أشقَى مِن مُحِبٍّ وإنْ وَجَدَ الهوى حُلْوَ المَذاقِ
تَرَاهُ باكيًا في كُلِّ حِينٍ مخافةَ فُرقةٍ أو لِاشتياقِ
فيَبكي إنْ نأَوْا شَوقًا إليهم ويَبكي إنْ دَنَوْا خَوْفَ الفِراقِ
فتَسْخَنُ عينُه عند التنائي وتَسخَنُ عينُه عند التلاقي

---

(١) شاعر جاهلي، واسمه: ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة.

(٢) عاج: أي انعطف، وعرَّج على الشيء.

(٣) الجور: الميل عن القصد في السير، والضلال: خلاف الاهتداء إلى السبيل. ومعنى البيت: ليس جهلُنا بالطريق هو الذي جعلنا نميلُ عن الجهة التي نريدُها، ولكننا ملنا عامدين حتى نلقاكم.

(٤) هو: نصيب بن رباح، وقد سبقت له القطعة (٤٩٥).

(٥٤١)

وقال يَزِيدُ بنُ الطَّثْرِيَّةِ[١]:

عُقَيْلِيَّــــةٌ أَمَّـــا مَـــلَاثُ إزارِهـــا   فدِعْــصٌ وأمَّــا خَصْــرُها فبَتِــيلُ[٢]
تَقَــيَّظُ أكنــافَ الحِــمَى ويُظِلُّهـا   بنَعْمــانَ مِــن وادي الأراكِ مَقِيــلُ[٣]
ألــيسَ قلــيلًا نَظْــرةٌ إنْ نَظَرْتُهـا   إليــكِ وكَــلَّا لــيس منــكِ قليــلُ
فيـا خُلَّـةَ النـفسِ التـي لـيس دُونَهـا   لنـا مِـن أخِـلَّاءِ الصَّـفاءِ خليـلُ[٤]
ويـا مَـن كَتَمْنـا حُبَّـه لم يُطَـعْ بـه   عــدوٌّ ولم يُؤمَــنْ عليــه دَخِيــلُ
أما مِن مكانٍ أَشتكي غَرْبـةَ النَّـوَى   وخَـوفَ العِـدَا فيـه إليـكِ سـبيلُ[٥]
فَـدَيْتُكِ، أعـدائي كثـيرٌ، وشُـقَّتي   بعيــدٌ، وأشــياعي لديــكِ قليــلُ[٦]
وكنـتُ إذا مـا جِئـتُ جِئـتُ بعِلَّـةٍ   فأفنَيْــتُ عِــلَّاتي فكيــف أقــولُ

---

(١) اسمه: يزيد بن سلمة بن سمرة القشيري، والطثرية: أمه. شاعر أموي مجيد، توفي سنة ١٢٦هـ.

(٢) ملاث إزارها: الموضع الذي يدار عليه الإزار. الدعص: الرمل المجتمع. بتيل: دقيق هضيم.

(٣) تقيظ: أي تقيم في وقت القيظ. أكناف: جوانب. الحمى: موضع. نعمان: واد بمكة.

(٤) الخلة: الصداقة الخاصة، وهذا البيت من أفضل ما يستشهد به على مادة (خلل)؛ لأن فيه المصدر والمفرد والجمع.

(٥) غربة النوى (بفتح الغين): أي شدة البعد. والمعنى: يتمنى الشاعر أن يجد مكانا يستطيع فيه أن يشتكي إلى محبوبته ما يلاقيه من مشاق البعد وخوف الأعداء.

(٦) الشقة: المسافة الطويلة أو السفر الشاق، ومنه {بعدت عليهم الشقة}.

فمــا كــلَّ يــومٍ لي بأرضِــكِ حاجــةٌ ولا كـــلَّ يـــومٍ لي إليـــكِ رســـولُ

(٥٤٨)

وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحيُّ(١):

أقولُ والرَّكْبُ قد مالَتْ عمائِمُهُمْ وقد سَقَى القومَ كأسَ النَّعْسةِ السَّهَرُ
يـــا ليـــتَ أني بأثـــوابي وراحِلَتـــي عبـــدٌ لأهلِـــكِ هـــذا الشـــهرَ مُؤْتجَـــرُ
إنْ كـــان ذا قَـــدَرًا يُعطيـــكِ نافِلَـــةً مِنَّـــا ويَحـــرِمُنا، مـــا أنصَـــفَ القَـــدَرُ(٢)
جِنِّيَّـــةٌ أو لـــها جِـــنٌّ تُعلِّـــمُها رَمْـــيَ القلـــوبِ بسَـــهْمٍ مـــا لَـــهُ وَتَـــرُ

---

(١) سبقت له القطعة (٥٢١).

(٢) لا يخفى ما في البيت من الخطأ الشرعي، والمراد هنا الاستشهاد بألفاظه، لا صحة معناه شرعا، وهذا واضح عند العلماء الذين صنفوا في شرح الحماسة، ولذلك لم ينبهوا على أمثال هذا الموضع، والله أعلم.

(٥٥١)

وقال عُبَيْدُ اللهِ بنُ عبدِ الله بنِ عُتْبة(١):

شَـــقَقْتِ القَلْــبَ ثــم ذَرَرْتِ فِيــهِ هَـــوَاكِ فلِـــيمَ فالتـــأمَ الفُطُـــورُ
تَغَلْغَـــلَ حَيْـــثُ لم يَبْلُـــغْ شَـــرَابٌ ولا حُـــــزنٌ ولم يَبْلُـــغْ سُـــــرُورُ

(٥٥٨)

وقال سَوَّارُ بنُ المُضرَّبِ(٢):

يـا أيُّهـا القلـبُ هـل تَنهـاكَ موعِظـةٌ أو يُحْـدِثَنْ لـك طُـولُ الـدَّهرِ نِسْـيانَا
إني سأسْــتُرُ مــا ذو العقــلِ ساتِــرُهُ مِــن حاجــةٍ وأُمِيــتُ السِّــرَّ كِتمــانَا
وحاجةٍ دُون أخرى قد سَنَحْتُ لها جَعَلتُهــا للتــي أخفَيْــتُ عُنْــوانَا
إني كــأني أرى مَــن لا حَيــاءَ لــه ولا أمانــةَ بــينَ النــاسِ عُــرْيَانَا

---

(١) تابعي جليل من أعلام العلماء، ومن الفقهاء السبعة في المدينة، ومع ذلك كان شاعرا رقيق الغزل في زوجته عَثْمة. توفي سنة ٩٨هـ. قال ابن عبد البر: لم يكن بعد الصحاب فقيه أشعر منه.

(٢) شاعر إسلامي من البصرة، وله حماسية أخرى رائعة متقدمة قبل هذه، تركتها لأنها في الأصمعيات.

(٥٥٩)

وقال آخَرُ(١):

أهابُـكِ إجـلالًا ومـا بِـكِ قُـدرةٌ   عـليَّ ولكِـنْ مِـلْءُ عـينٍ حبيـبُها
ومـا هَجَرَتْـكِ الـنفسُ أنَّكِ عِنـدَها   قليـلٌ ولكِـنْ قَـلَّ منـكِ نصـيبُها

(٥٦٨)

وقال أبو القَمْقامِ الأسَدِيُّ(٢):

اقْرَأ على الوَشَلِ(٣) السلامَ وقُلْ لـه: كـلُّ المَشـاربِ مُـذْ هُجِـرْتَ ذَمِـيمُ
سَـقْيًا لظِلِّـك بالعَشِـيِّ وبالضُّـحَى   ولبَـرْدِ مائِـكَ والمِيـاهُ حَـمِيمُ
لـو كنـتُ أَملِـكُ منـعَ مائِـكَ لم يَـذُقْ   مـا في قِلاتِـكَ(٤) مـا حيِيـتُ لَئِـيمُ

---

(١) هو: نصيب بن رباح، وقد سبقت له القطعة (٤٩٥).

(٢) أبو القمقام الأسدي الفقعسي، أعرابي فصيح، أخذ عنه الكسائي، وكذلك الفراء كما في معانيه. وهو أيضا شاعر مجيد مشهور بكنيته، ولا يعرف اسمه.

(٣) الوشل: الماء القليل، لكن الوشل في هذا البيت: موضع، أو جبل عظيم بناحية تهامة، وفيه مياه عذبة.

(٤) قلات: جمع قَلْت، وهي نقرة في الجبل يستنقع فيها ماء المطر.

(٥٦٩)

وقال ابنُ الدُّمَيْنَةِ(١):

وأنـتِ التـي كلَّفْتِنـي دَلَـجَ السُّـرَى وجُـونُ القَطَـا بالجَـلْهَتَينِ جُثُـومُ(٢)
وأنـتِ التـي قطَّعْـتِ قلبـي حَـزازةً وقَـرَّفْتِ قَـرْحَ القلـبِ وهْـو كَلِيمُ(٣)
وأنتِ التي أحفَظْـتِ قـومي فكُلُّهـمْ بعيــدُ الرضــا داني الصُّــدُودِ كظــيمُ

(٥٧٠)

فأجابَتْه أُمامةُ:

وأنـتَ الـذي أخلَفْتَنـي مـا وعَـدْتَني وأشْـمَتَّ بي مَـن كـان فيـكَ يَلُـومُ
وأبرَزْتَنــي للنــاسِ ثــم ترَكْتَنــي لهــم غَــرَضًا أُرْمَــى وأنــتَ سَــلِيمُ
فلـو أنَّ قـولًا يَكلِـمُ الجِسْـمَ قـد بَـدَا بجســمِيَ مِــن قــولِ الوُشــاةِ كُلــومُ

(١) سبقت له القطعة (٥٠٣). وفي الأبيات يخاطب محبوبته (أمامة)، ويعاتبها، وفي القطعة القادمة جوابها له.

(٢) دلج السرى: أي السير في بعض الليل. وجُون: أي سُود. والجلهتان: موضع. والجثوم: جمع جاثم، ومعناه: لاصق بالأرض، ولنتذكر {فأصبحوا في دارهم جاثمين}.

(٣) قرفت: أي قشرت.

(٥٧٩)

وقال عمرُو بنُ ضُبَيْعةَ الرَّقَاشِيُّ[١]:

تَضِيقُ جُفُونُ العَينِ عن عَبَرَاتِها ... فتَسْفَحُها بعدَ التجلُّدِ والصبرِ

وغُصةِ صدرٍ أظهَرَتْها فرَفَّهَتْ ... حَزازةَ حَرٍّ في الجوانِحِ والصَّدْرِ

ألَا لِيَقُلْ مَن شاءَ ما شاءَ إنما ... يُلامُ الفتى فيما استطاعَ مِنَ الأمرِ

قَضَى اللهُ حُبَّ المالكيَّةِ فاصطَبِرْ ... لذاك فقد تجري الأمورُ على قَدْرِ

(٥٨٣)

وقال رجُلٌ مِن بني الحارِثِ[٢]:

مُنًى إن تكُنْ حَقًّا تكُنْ أحسَنَ المُنَى ... وإلَّا فقد عِشْنا بها زَمَنًا رَغْدَا

أمانِيَّ مِن سُعْدَى حِسَانًا كأنَّما ... سَقَتْكَ بها سُعْدَى على ظمأٍ بَرْدَا

(١) شاعر وفارس شجاع، يعرف بهذه الأبيات، قتله الحجاج عند هزيمة ابن الأشعث في وقعة مسكن سنة ٨٣هـ.

(٢) لبعض الأعراب كما في عيون الأخبار.

(٥٨٤)

وقال آخَرُ[١]:

وخُبِّرْتُ سَوْداءَ القلوبِ مريضةً ... فأقبَلْتُ مِن أهلي بمِصْرَ أعُودُها
فواللهِ ما أدري إذا أنا جِئتُها ... أأُبْرِئُها مِن دائِها أم أَزِيدُها

(٥٩٢)

وقال آخَرُ[٢]:

ماذا عليكِ إذا خُبِّرْتِني دَنِفًا ... رَهْنَ المنيةِ يَوْمًا أن تَعُودِينا
أو تَجْعَلي نُطفةً في القَعْبِ باردةً ... وتَغْمِسي فاكِ فيها ثم تَسْقِينا

(١) هو: العوَّام بنُ عُقْبة بن كَعْب بن زهير، شاعر مجيد، نبغ في العصر الأموي، وهو سليل عائلة من الشعراء. وسوداء القلوب (أو سوداء الغميم) لقب محبوبته، واسمها ليلى.

(٢) أعرابي من بني كلاب.

(باب الهجاء)

(٦٠٤)

وقال أبو مُنازِلٍ في ابنه[١]:

جَـزَتْ رَحِـمٌ بينـي وبـين مُنـازِلٍ	جَـزاءً كمـا يَسـتنزِلُ الدَّيْـنَ طالِبُـهْ
تَربَّيْـتُه حتـى إذا آضَ شَيْظَمًـا	يكـادُ يُساوي غـاربَ الفَحْلِ غارِبُهْ[٢]
تَغَمَّـدَ[٣] حَقِّـي ظالِمًـا ولَـوَى يَـدِي	لَـوَى يـدَهُ اللهُ الـذي هـو غالِبُـهْ

(٦٠٧)

وقال آخَرُ[٤]:

إنْ يَسْـمَعوا رِيبـةً طـارُوا بهـا فَرَحًـا	منِّـي ومـا سَـمِعُوا مِـن صـالحٍ دَفَنُـوا
صُـمٌّ إذا سَـمِعوا خـيرًا ذُكِـرْتُ بـه	وإنْ ذُكِـرتُ بشَـرٍّ عِنـدَهم أذِنُـوا[٥]
جهـلًا عـليَّ وجُبْنًـا عـن عـدُوِّهِمُ	لَبِئْسـتِ الخَـلَّتانِ الجَـهْلُ والجُـبْنُ

---

(١) هو: فُرعان بن الأعرف، شاعر مخضرم، وله قصة مع عمر بن الخطاب ﷺ، في عقوق ابنه.

(٢) يروى: لربيته. والشيظم: الطويل الجسيم. وغارب الشيء: أعلاه. وغارب الفحل: ما بين سنامه وعنقه.

(٣) تغمد: ستر، ولنتذكر حديث أبي هريرة «إلا أن يتغمدني الله برحمة».

(٤) هو: قَعْنَبُ بن ضَمْرة الغطفاني الفزاري، مشهور بـ(ابن أم صاحب) وهي أمه. وهو شاعر أموي مجيد مقل.

(٥) أذنوا: استمعوا. ولنتذكر {قل أذن خير}، وحديث «ما أذِن اللهُ لشيء كأَذَنِه لنبي يتغنى بالقرآن».

(٦١٠)

وقال مُحْرِزُ بنُ المُكَعْبِرِ[١]:

أَبلِغْ عَدِيًّا حيثُ صارَ بها النَّوَى[٢] ... ولـيس لدَهْـرِ الطالِبِين فَـنَاءُ
كُسَالَى إذا لاقَيْتَهم غيرَ منطِقٍ ... يُلَهَّى به المَتْبُولُ[٣] وهْو عَنَاءُ
أُخَبِّرُ مَن لاقَيْتُ أنْ قَدْ وَفَيْتُمُ ... ولو شِئتُ قال المُنبَئون أساءُوا
لهم رَثْيةٌ تعلُو صَرِيمةَ[٤] أمرِهم ... ولِلأمرِ يومًا راحةٌ فقضاءُ
وإنِّي لراجِيكُم على بُطءِ سَعْيِكم ... كما في بطونِ الحاملاتِ رجاءُ
فهَلَّا سَعَيْتُم سَعْيَ عُصْبةِ مازنٍ ... وهل كُفَلائي في الوفاءِ سَواءُ
لهم أذرُعٌ بادٍ نَواشِرُ[٥] لَحْمِها ... وبعضُ الرجالِ في الحروبِ غُثاءُ

---

(١) شاعر جاهلي (وقيل: مخضرم) من بني بكر بن ربيعة بن كعب من ضبة. وقيل له (المكعبر) لأنه ضرب قومًا بالسيف. وسبب الأبيات: أن محرزا كان جارا لبني عدي بن جندب، فأغار قومٌ على إبله، فاستعان بني عدي فوعدوه وتأخروا، فلما طال ذلك عليه تركهم واستعان ابني شهاب المازنيين، فردَّا عليه إبله، فقال هذه الأبيات.

(٢) النوى: أي ما نووه، ويروى (شت بها النوى) أي بعد.

(٣) المتبول: المصاب بالتبل (وهو الثأر).

(٤) الرثية: الضعف، ويروى (ريثة) أي بطء. الصريمة: العزم.

(٥) النواشر: عروق الذراع، يقصد أنهم هزلوا من كثرة مقاساة الحروب (إشارة إلى الشجاعة والتجربة)؛ وقد كانوا يتمدحون بالهزال والدقة؛ كما في مثل قولهم (قُد قَد السيف).

كـــأنَّ دنـــانيرًا عـــلى قَسِمَـــاتِهم وإنْ كـان قـد شَـفَّ الوُجـوهَ لِقـاءُ[1]

(٦٣٤)

وقال جوَّاسٌ الكَلْبِيُّ[2]:

صَـــبَغَتْ أميَّـــةُ بالدِّمـــاءِ رِمَاحَنَـــا وطَـــوَتْ أميَّـــةُ دُونَنَـــا دُنْيَـــاهَا
أَأُمَـــيَّ رُبَّ كَتِيبـــةٍ مجهـــولةٍ صِـــيدِ الكُمـــاةِ[3] علـــيكُمُ دَعْـــوَاهَا
كُنَّـــا وُلاةَ طِعَـــانِها وضِـــرَابِها حتـــى تَجَـــلَّتْ عـــنكُمُ غُمَّـــاهَا
واللهُ يَجـــزي لا أميَّـــةُ سَـــعْيَنَا وعُـــلًا شَـــدَدْنَا بالرِّمَـــاحِ عُـــرَاهَا
جِئـتُم مِـنَ الحَجَـرِ البعيـدِ نِيَاطُـهُ والشَّـــأمُ تُنكِـــرُ كَهْـــلَها وفَـــتَاهَا[4]
إذْ أقبَلَـــتْ قَـــيْسٌ كـــأنَّ عُيُونَهـــا حَـدَقُ الكِـلَابِ وأظهَـرَتْ سِيمَـاهَا[5]

---

(١) القسمات: الوجوه. والقسامة: الحسن. شف: أي أذاب وهزل.

(٢) هو: جواس بن القعطل الكلبي، من بني عدي بن جناب، شاعر إسلامي، كان موجودا في صدر الدولة الأموية، وكان معاصرا لزفر بن الحارث (سبقت له القطعة ٢٨ وغيرها)، وجرت بينهما أشعار.

(٣) الصيد: جمع أصيد، وهو الشامخ بأنفه كبرا. الكماة: الشجعان؛ جمع كَمِيٍّ.

(٤) نياطه: ما يناط به (أي يعلق)، والحجر البعيد نياطه: يقصد الحجاز.

(٥) السيما: العلامة، ولنتذكر {سيماهم في وجوههم}.

(٦٣٥)

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ الحَكَم(١):

لَحَا اللهُ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلانَ إنها أضاعَتْ ثُغُورَ المسلمين ووَلَّتِ
فشَاوِلْ بقَيْسٍ في الرخاءِ ولا تكُنْ أخاها إذا ما المَشْرَفِيَّةُ سُلَّتِ

(٦٤٠)

وقال رجلٌ من بني أسَدٍ(٢):

دَبَبْتَ للمَجْدِ والسَّاعُون قد بَلَغُوا جَهْدَ النفوسِ وألقَوْا دُونَهُ الأُزُرَا
فكابَرُوا المَجْدَ حتى مَلَّ أكثرُهُمْ وعانَقَ المَجْدَ مَنْ أَوفَى ومَنْ صَبَرَا
لا تَحسَبِ المَجْدَ تمرًا أنتَ آكِلُهُ لن تَبْلُغَ المجْدَ حتى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

---

(١) شاعر إسلامي من بني أمية، وهو أخو: مروان بن الحكم. توفي نحو ٧٠هـ.

(٢) هو: حَوْط بنُ رِئاب الأسدي، شاعر مخضرم.

(٦٥٠)

وقال مالِكُ بنُ أسماءٍ(١):

لـو كنـتُ أحمِـلُ خمـرًا حـين زرتُكُـمُ ... لم يُنكِـرِ الكلـبُ أني صـاحِبُ الـدارِ

لكـن أتيـتُ ورِيـحُ المِـسْكِ تَفْغَمُني ... وعَنْبَـرُ الهـندِ مَشْـبُوبًا عـلى النـار

فأنكرَ الكلبُ رِيحي حين أبصَرَني ... وكـان يَعـرِفُ رِيـحَ الـزِّقِّ والقـارِ

(٦٦٦)

وقال زيادٌ الأعْجَمُ(٢):

ومَـنْ أنـتُمُ إنـا نَسِـينا مَـنَ انـتُمُ ... ورِيحُـكُمُ مِـن أيِّ رِيـحِ الأعـاصِرِ

وأنـتُمْ أُلَـى جِئـتُم مَـعَ البَقْـلِ والـدَّبَا ... فطـارَ وهـذا شَخْصُـكم غـيرُ طـائرِ(٣)

فلـم تَسْـمَعُوا إلا بِمَـنْ كـان قبلَـكم ... ولم تُـدرِكُوا إلا مَـدَقَّ الحَـوَافِرِ

---

(١) هو: مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، شاعر إسلامي غَزِل، في صدر الدولة الأموية، وكان واليا على أصبهان. ويقال: الأبيات لأخيه عيينة. وقصتها أنه زار صديقا له، فلما بلغ باب الدار عضَّه كلبُه، فقال ذلك.

(٢) هو: زياد بن سليمان (أو ابن جابر)، مولى عبد القيس، من شعراء صدر الدولة الأموية.

(٣) ألى: بمعنى الذين (وتكتب بالواو أحيانا: أولى، لكن لا تنطق). الدبا: الجراد.

(٦٦٨)

وقالت كَنْزَةُ في مَيَّةَ[(١)]:

ألا حَبَّــذا أهــلُ المَــلَا غـيرَ أنَّـه ... إذا ذُكِــرَتْ مَـــيٌّ فَــلَا حَبَّــذَا هِيَــا

على وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ[(٢)] مِن مَلَاحةٍ ... وتحتَ الثِّياب الخِزْيُ لو كان بادِيَا

ألـم تَـرَ أنَّ المـاءَ يُخـلِفُ[(٣)] طَعْمُـهُ ... وإنْ كـانَ لـونُ المـاءِ في العينِ صافِيَا

إذا مـــا أتـــاه واردٌ مِـــن ضَـــرُورةٍ ... تَـوَلَّى بأضْـعافِ الـذي جـاءَ ظامِيَـا

كــذلك مَــيٌّ في الثيـابِ إذا بَــدَتْ ... وأثوابُهــا يُخــفِينَ منهــا المَخــازِيَا

فلــو أنَّ غَــيْلانَ الشَّقِــيَّ بَـدَتْ لـه ... مجــرَّدةً يومًــا لَمَــا قــالَ ذا لِيَــا[(٤)]

كقَــولٍ مَضَــى منــه ولكــنْ لَـرَدَّهُ ... إلى غـــيرِ مَـــيٍّ أو لأصْــبَحَ سالِــيَا

---

(١) هي: أم (شملة بن برد المِنقَري)، ومية: هي صاحبة ذي الرمة. وقد قالت كنزة هذه الأبيات ونسبتها إلى ذي الرمة لتوقع بينهما. وقيل: بل الأبيات لذي الرمة؛ وذلك لما رأته مية دميما أسود فقالت: واسوأتاه، فقال ذلك فيها.

(٢) مسحة من ملاحة: أي أن جمالها في الظاهر فقط.

(٣) يخلف طعمه: أي يظهر بخلاف ما كان يُظن.

(٤) ويروى: لما قال آليا؛ أي مقصرا؛ ولنتذكر {لا يألونكم خبالا}.

(باب الأضياف)

(٦٧٥)

وقال مُرَّةُ بنُ مَحْكانَ[١]:

يـا رَبَّـةَ البيـتِ قُـومي غـيرَ صـاغرةٍ ... ضُـمِّي إليـكِ رِحـالَ القـومِ والقُرُبَـا[٢]
في ليلــةٍ مِــن جُمــادَى ذاتِ أنديَــةٍ ... لا يُبْصِـرُ الكلـبُ مِن ظَلْمـائها الطُّنُبَا[٣]
لا يَنْبَـحُ الكلـبُ فيهـا غـيرَ واحـدةٍ ... حتـى يَلُـفَّ عـلى خُرطُومِـه[٤] الذَّنَـبَا
مــاذا تَــرَيْنَ أنُدْنِيــهِمْ لأرحُلِنــا ... في جانِـبِ البيـتِ أم نَبْنِـي لـهم قُبَـبَا
لِمُرمِــلِ الــزَّادِ مَعْنِــيٍّ بحاجَتِــهِ ... مَـن كـان يَكـرَهُ ذَمًّـا أو يَقِـي حَسَـبَا
وقُمْـتُ مُسـتَبْطِنًا سَيْفي وأَعْـرَضَ لي ... مِثْـلُ المَجـادلِ كُـومٌ بَرَّكَـتْ عُصَـبَا[٥]

---

(١) شاعر إسلامي مقل، من شعراء الدولة الأموية، كان معاصرا لجرير والفرزدق، فأخملا ذكره لنباهتهما في الشعر، وكان شريفا جوادا.

(٢) القرب: جمع قراب، وهو جراب السلاح والثياب.

(٣) أندية: جمع ندًى على غير قياس، ولهم فيه كلام. الطنب: حبل البيت.

(٤) خرطومه: أنفه، ولنتذكر {سنسمه على الخرطوم}، ومعنى البيت: أن الكلب لا يتحمل إلا نبحة واحدة إلى أن يغطي أنفه بذنبه من شدة البرد.

(٥) مستبطنًا سيفي: أي حاملًا السيف وأنا أسترُه حتى لا تراه الإبل فتنفر. أعرض لي: ظهر لي وقابلني. المجادل: القصور؛ جمع مِجْدَل. كُوم: جمع كوماء؛ وهي العظيمة السنام. بركت عصبا: أي صارت باركة في جماعات.

فصَادَفَ السيفُ منها ساقَ مُتْلِيَةٍ جَلْسٍ فصادفَ منه ساقُها عَطَبَا[١]

زيَّافةٍ بنتِ زيَّافٍ مُذكَّرةٍ لَمَّا نَعَوْها لِرَاعي سَرْحِنا انتَحَبَا[٢]

أَمْطَيْتُ جازِرَنا أَعْلَى سَنَاسِنِها فصارَ جازِرُنا مِن فوقِها قَتَبَا[٣]

يُنَشْنِشُ اللَّحْمَ عنها وهْي بارِكةٌ كما تُنَشْنِشُ كفَّا قاتلٍ سَلَبَا[٤]

وقلتُ لَمَّا غَدَوْا أُوصِي قَعِيدتَنا: غَدِّي بَنِيكِ فلَنْ تَلقَيْهِمُ حِقَبَا

أُدْعَى أباهُمْ ولم أُقْرَفْ بأُمِّهِمُ وقد عَمِرْتُ ولم أعرِفْ لهم نَسَبَا[٥]

أنا ابنُ مَحْكانَ أخوالي بَنُو مَطَرٍ أَنمِي إليهم وكانوا مَعْشَرًا نُجُبَا

---

(١) متلية: أي يتلوها ولدها (يتبعها). جلس: أي صلبة ضخمة.

(٢) زيافة: متبخترة في مشيها. مذكرة: تشبه الذكور في خلقتها، والمقصود بهذه الصفات أنها ذات نجابة وكرم عرق.

(٣) أمطيت جازرنا: أي جعلته يمتطي ظهرها. السناسن: أعالي السنام. القتب: إكاف البعير.

(٤) ينشنش: يكشف ويفرق. السلب: ما يكون مع المقتول من سلاح ومتاع، ومنه حديث أبي قتادة «من قتل قتيلا فله سلبه».

(٥) أدعى أباهم: أي أسمى أبا الأضياف، كما في قوله في البيت الذي قبله (غدي بنيك) أي أضيافك. أقرف: أتهم. عمرت: عشت عمرا. وينظر البيت السادس من القطعة (٤٤٤).

(٦٨٠)

وقال عُرْوةُ بنُ الوَرْدِ[(١)]:

سَلِي الطارِقَ المُعْتَرَّ[(٢)] يا أمَّ مالِكٍ إذا ما اعْتَرَاني بين قِدْري ومَجْزِري
أيُسْفِرُ وَجْهي أَنَّه[(٣)] أوَّلُ القِرَى وأبْذُلُ معروفي له دُونَ مُنْكَرِي

(٦٨٣)

وقال آخَرُ[(٤)]:

ومُسْتَنْبِحٍ يَسْتكشِطُ الرِّيحُ ثوبَه ليَسْقُطَ عنه وهْو بالثَّوْبِ مُعْصِمُ
عَوَى في سَوَادِ الليلِ بعدَ اعْتِسافِه[(٥)] لِيَنْبَحَ كلبٌ أو لِيَفْزَعَ نُوَّمُ

---

(١) سبقت له القطعة (١٤٥).

(٢) المعتر: الذي يتعرض للسؤال ولا يصرح به، ومنه {وأطعموا القانع والمعتر}. فـ(اعترَّ) و(اعترى) متقاربان، لكن الأكثر في الأول اسم الفاعل، وفي الثاني الفعل؛ كما في هذا البيت. ولنتذكر {إلا اعتراك}.

(٣) يجوز كسر همزة (أنه) هنا على الابتداء، ويجوز فتحها؛ إما على معنى (بأنه) أو (لأنه)، وإما على البدلية من معنى الإسفار المفهوم من السياق.

(٤) هو: إبراهيم بن هَرْمة الكناني القرشي، شاعر غزل، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وللعلماء تصانيف مفردة في أخباره. قال الأصمعي: خُتم الشعر بابن هرمة. توفي سنة ١٧٦هـ وقيل غير ذلك.

(٥) الاعتساف: الأخذ في الطريق على غير هداية، ومنه استعير (التعسُّف) في الاستعمال الشائع.

فجاوَبَـه مُسْتَسْـمِعُ الصَّـوتِ لِلْقِـرَى   لــهُ عنــدَ إتيــانِ المُهِبِّــينَ[1] مَطْعَــمُ

يكـادُ إذا مـا أبصَـرَ الضَّـيْفَ مُقـبِلًا   يُكلِّمُــهُ مِــن حُبِّــه وهْــو أعْجَــمُ

(٦٨٥)

وقال آخَرُ[2]:

أَلَا تَــرَيْنَ وقــد قَطَّعتِنــي عَــذَلًا   مـاذا مِـنَ البُعـدِ بـين البُخـلِ والجُـودِ

إلَّا يكُــنْ وَرَقــي غَــضًّا أَراحُ بــه   لِلْمُعْتَفِــينَ فــإني لــيِّنُ العُــودِ

(٦٨٦)

وقال قيسُ بنُ عاصمٍ[3]:

إني امــرُؤٌ لا يَعْتــري خُلُقــي   دَنَــسٌ يُفنِّــدُه ولا أَفْــنُ[4]

مِــن مِنقَــرٍ في بيــتِ مَكرُمــةٍ   والفَــرْعُ يَنبُــتُ حولَــه الغُصْــنُ

(١) المهبون: الموقظون، ويروى (المهيبين) من: أهاب؛ أي دعا.

(٢) وهو: بشامة بن الغدير، وقد سبقت له القطعة (١٣٤).

(٣) قيس بن عاصم بن سنان المنقري، شاعر وفارس شجاع، كان سيدا في الجاهلية والإسلام. صحب النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث. ورثاه عبدة بن الطبيب بالقطعة (٢٦٣). وهو ممن كان يئد البنات في الجاهلية.

(٤) الأفن: ضعف العقل (ومنه يقال: رجل مأفون).

خُطَبَـــاءُ حـــين يقـــومُ قـــائلُهُمْ بِـــيضُ الوُجـــوهِ مَصَـــاقِعٌ لُسْـــنُ
لا يَفطُنُـــون لِعَيـــبِ جـــارِهِمُ وهُـــمُ لحِـــفظِ جِـــوارِه فُطْـــنُ

(٦٨٧)

وقال ابْنُ عَنْقاءَ الفَزَارِيُّ[١]:

رآني عــلى مــا بي عُمَيْلَــةُ فاشــتكَى إلى مالِــه حــالي أَسَرَّ كمــا جَهَــرْ
دَعَــاني فآســاني ولــو ضَــنَّ لم أَلُــمْ على حِينَ[٢] لا بَادٍ يُرَجَّى ولا حَضَرْ
فقلــتُ لــه خــيرًا وأثنيــتُ فِعلَــهُ وأَوْفـاكَ مـا أَسْدَيْتَ مَن ذَمَّ أو شَكَرْ
غــلامٌ رَمَــاهُ[٣] اللهُ بالخــيرِ مُقْــبِلًا لــه سِيمِيَاءُ لا تَشُــقُّ عــلى البَصَــرْ[٤]
كــأَنَّ الثُّــرَيَّا عُلِّقَــتْ فــوقَ نَحْــرِه وفي أنفِــه الشِّــعْرى وفي جيــدِه القَمَــرْ
إذا قِيلَــتِ العَــوْراءُ[٥] أَغْضَــى كأنــه ذليــلٌ بــلا ذُلٍّ ولــو شــاءَ لانتصَــرْ

(١) قيل: اسمه (أسيد)، وهو شاعر جاهلي عاش طويلا في الجاهلية، ثم أدرك الإسلام كبيرا فأسلم.
(٢) يجوز في (حين) الفتح والكسر، والمشهور الفتح رواية.
(٣) رماه: أي وضعه، ونظيره {وقذف في قلوبهم الرعب}.
(٤) السيمياء: العلامة، لا تشق على البصر: أي أن الناظرين له يجدون راحة في نظرهم إليه فلا يملونه.
(٥) العوراء: أي الكلمة القبيحة.

(٦٩١)

وقال العَرَنْدَسُ[١]:

هَيْنُــون لَيْنُــون أيْســارٌ ذوُو كَــرَمٍ ... سُـــوَّاسُ مَكْرُمــةٍ أبنـــاءُ أيســـارِ

إنْ يُسْـألوا الخيرَ يُعْطُـوه وإنْ خُـبِروا ... في الجَـهْد أُدرِكَ مـنهم طِيـبُ أخبـارِ

وإنْ تَـودَّدْتَهم لانُــوا وإنْ شُــهِمُوا ... كَشَّـفتَ أذمـارَ شَــرٍّ غـيرَ أشرارِ[٢]

فـيهم ومـنهم يُعَـدُّ الخـيرُ متَّلِـدًا ... ولا يُعَــدُّ نَثَــا خِــزْيٍ ولا عــارِ[٣]

لا يَنطقـون عـلى الفحشـاءِ إنْ نَطَقـوا ... ولا يُمـــارُون إنْ مـــارَوْا بإكثـــارِ

مَـن تَلْـقَ مـنهم تقُـلْ لاقَيْـتُ سيِّدَهم ... مثلَ النُّجومِ التي يَسْري بها الساري[٤]

(١) أحد بني أبي بكر بن كلاب، وفي الكامل للمبرد أنه: عبيد بن العرندس. يمدح بني عمرو الغنويين. وفي الحماسة البصرية أنه جاهلي.

(٢) شهموا: طلبت شهامتهم (بأن أُغضِبوا وأُوذوا). أذمار: شجعان.

(٣) متلدا: قديما مقيما. النثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ.

(٤) ربط الزمخشري ببراعة بين هذا البيت وقوله تعالى: {وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها}.

(٦٩٤)

وقال أبو الطَّمَحَانِ[١]:

إذا قِيـــلَ أيُّ النـــاس خـــيرٌ قبيلـــةً وأصبَـــرُ يومًـــا لا تَـــوَارَى كواكِبُـــهْ

فـإنَّ بنـي لَأْمِ بـنِ عَمْـرٍو أَرُومـةٌ[٢] سَـمَتْ فـوقَ صَـعْبٍ لا تُـرامُ مَرَاقِبُـهْ

أضـاءَتْ لهـم أحسـابُهم ووُجـوهُهُمْ دُجَى الليلِ حتى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ[٣]

(٦٩٧)

وقال شُقْرانُ مَوْلَى سَلَامانَ[٤]:

لـو كنـتُ مـولى قَـيْسِ عَـيْلانَ لم تجِدْ عـليَّ لإنسـانٍ مِـنَ النـاسِ دِرْهَمَـا

ولكِنَّنـــي مَـــوْلى قُضـــاعةَ كُلِّهـــا فلَسْـــتُ أبـــالي أنْ أدِيـــنَ وتَغْرَمَـــا

أولئـــك قَـــوْمي بـــاركَ اللهُ فـــيهِمُ عـــلى كـــلِّ حـــالٍ مـــا أعَـــفَّ وأكْرَمَـــا

ثِقـالُ الجِـفانِ والحُـلومِ رَحَـاهمُ رَحَـى المـاءِ يَكْتـالون كَـيْلًا غَذَمْـذَمَا[٥]

---

(١) سبقت له القطعة (٤٧٨).

(٢) أرومة: أصل. صعب: أي جبل صعب. مراقبه: أعاليه.

(٣) الجزع: الخرز. والمعنى: أحسابهم مشهورة ووجوههم بيض، فلو استضاؤوا بها في الظلام لثقب الخرز لاستطاعوا.

(٤) شاعر إسلامي من قضاعة، كان معاصرا لابن ميادة، وبينهما مهاجاة.

(٥) غذمذما: أي واسعا لا استقصاء فيه ولا مضايقة.

جُفـاةُ المَحَـزِّ لا يُصِـيبُون مَفْصِـلًا   ولا يـأكُلون اللَّحْـمَ إلا تَخَـذُّمَا[١]

(٦٩٨)

وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحيُّ[٢]:

إنَّ البُيُـوتَ مَعـادِنٌ فنِجَـارُهُ[٣]   ذهَـبٌ وكُـلُّ بُيوتِـه ضَـخْمُ
عُقِـمَ النسـاءُ فمـا يَلِـدْنَ شَـبِيهَهُ   إنَّ النسـاءَ بمِثلِـه عُقْـمُ
مُتهلِّـلٌ بـ«نَعَـمْ»، بـ«لا» مُتباعِـدٌ   سِـيَّانِ منـه الوَفْـرُ والعُـدْمُ
نَـزْرُ الكـلامِ مِـنَ الحيـاءِ تَخـالُه   ضَـمِنًا[٤] ولـيس بجِسْـمِه سُـقْمُ

(١) تخذما: أي قطعا بالسكين لا باليد، وذلك لحفظ المروءة.

(٢) سبقت له القطعة (٥٢١). والأبيات في مدح الأزرق المخزومي (أو ابن الأزرق).

(٣) نجاره: أصله.

(٤) نزر: قليل. ضمنا: مريضا.

(٦٩٩)

وقالت ليلى الأَخْيَلِيَّةُ[١]:

يـا أيُّهـا السَّـدِمُ المُـلَوِّي رأسَـه ... لِيَقُـودَ مِـن أهـلِ الحِجـازِ بَرِيمَـا[٢]

أتُريـدُ عمْـرَو بْـنَ الخَـلِيعِ ودُونَـه ... كَعْـبٌ، إذَنْ لوجَـدْتَه مَرْؤُومَـا[٣]

إنَّ الخليـعَ ورَهْطَـه في عـامرٍ ... كالقلـبِ أُلْبِـسَ جُؤجُـؤًا وحَزِيمَـا[٤]

لا تَغْـزُوَنَّ الدَّهْـرَ آلَ مُطَـرِّفٍ ... لا ظالـمًـا أبَـدًا ولا مظـلومَا

قـومٌ رِبـاطُ الخـيلِ وَسْـطَ بُيُـوتِهم ... وأسِنَّـةٌ زُرْقٌ يُخَـلْنَ نُجُـومَا

ومُخَـرَّقٌ[٥] عنـه القَمِـيصُ تَخـالُهُ ... وَسْـطَ البُيُـوتِ مِـنَ الحـياءِ سَقِيمَـا

حتـى إذا رُفِـعَ اللِّـواءُ رأيتَـه ... تحـتَ اللِّـواءِ عـلى الخَـميسِ زَعِيمَـا

---

(١) هي: ليلى بنت عبد الله، من بني عُقيل بن كعب من بني عامر بن صعصعة، والأخيلية: نسبة إلى الأخيل لقب جدها كعب بن معاوية. من أشعر النساء، واشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير (ينظر: القطعة ٥١٣)، وكان بينها وبين النابغة الجعدي مهاجاة (ينظر: القطعة ٣٧٤)، ولها رثاء لعثمان بن عفان ﷺ.

(٢) السدم: الحزين أو الهائج أو اللهج بالشيء. بريما: خليطا.

(٣) مرؤوما: معطوفا عليه ومحميا.

(٤) الجؤجؤ: الصدر. الحزيم: موضع الحزام من الصدر.

(٥) قولها (ومخرق) يروى بالرفع والجر والنصب؛ كما ذكر أبو محمد الأنباري في شرح المفضليات.

(٧٠٤)

وقال العُجَيْرُ السَّلُولِيُّ[١]:

إنَّ ابــنَ عَمِّــي لَابْــنُ زَيــدٍ وإنَّــه ... لَبَــلَّالُ أيــدي جِلَّــةِ الشَّــوْلِ بالــدَّمِ[٢]

طَلُــوعُ الثَّنــايا بالمَــطايا وســابِقٌ ... إلى غايــــةٍ مَــــن يَبْتَــــدِرْها يُقَــــدَّمِ

مِــنَ النَّــفَرِ المُــدْلِينَ في كُــلِّ حُجَّــةٍ ... بمُسْتَحْصِدٍ[٣] في جَوْلَةِ الرَّأيِ مُحْكَمِ

جَــــدِيرُون ألَّا يَــــذْكُروك بِريبــــةٍ ... ولا يُغْرِمُــوك الدَّهْــرَ مــا لم تَغَــرَّمِ

(٧٠٨)

وقال الفَرَزْدَقُ[٤]:

إذا رأتْــــهُ قــــريشٌ قــــال قائِلُهــــا ... إلى مكــــارِمِ هــــذا يَنتَهِــــي الكَــــرَمُ

هــذا الــذي تَعــرِفُ البَطْحــاءُ وَطْأتَــه ... والبيــتُ يَعرِفُــه والحِــلُّ والحَــرَمُ

---

(١) سبقت له القطعة (٣١١).

(٢) الجلة: الإبل المسنة. الشول: التي نقصت ألبانها بسبب الحمل.

(٣) مستحصد: مستحكِم؛ يقال: أحصدتُه فاستَحْصَد؛ أي أحكمته فاستحكم.

(٤) يمدح علي بن الحسين بن علي (وقيل غير ذلك، وينظر كلام ابن عبد البر في بهجة المجالس)، وقد سبق للفرزدق القطعة (٤٥٢). وقيل: بل هي للحزين الليثي، واسمه: عمرو بن وهيب بن مالك، شاعر إسلامي مطبوع من شعراء بني أمية. وتنسب لغيرهما.

يَكـــادُ يُمْسِـــكُه عِرْفـــانَ راحتِـــه   رُكــنُ الحَــطِيمِ إذا مــا جــاء يَســتَلِمُ
أيُّ القبائــلِ ليســتْ في رقـــابِهِمُ   لأَوَّلِيَّـــةِ هـــذا أوْ لَـــهُ نِعَـــمُ
بكَفِّــه خَيْــزُرانٌ رِيحُـــه عَبِـــقٌ   مِــن كَــفِّ أرْوَعَ في عِرْنِينِــه شَــمَمُ
يُغضِــي حَيــاءً ويُغْـضَى مِـن مَهابتِـهِ   فمـــا يُكلَّـــمُ إلا حـــينَ يَبتسِـــمُ

(٧٢٢)

وقال آخَرُ(١):

سـأقدَحُ مِـن قِـدْري نَصِيبًا لجـارَتي   وإنْ كـان مـا فيهـا كَفـافًا عـلى أهـلي
إذا أنـت لم تُشْـرِكْ رَفِيقَـكَ في الـذي   يكــونُ قلــيلًا لم تُشــارِكْهُ في الفَضْــلِ

---

(١) هو: عتبة بن بجير، وستأتي له القطعة (٧٦١).

(٧٢٤)

وقال عُرْوةُ بنُ الوَرْدِ[١]:

إني امـــرؤٌ عـــافِي إنـــائيَ شِرْكـــةٌ   وأنـت امـرؤٌ عـافِي إنائِـكَ واحِـدُ[٢]

أتهـزأُ منـي أنْ سَـمِنْتَ وأنْ تَـرى   بـوَجْهي شُحُوبَ الحقِّ والحقُّ جاهِـدُ

أقسِّـم جِسْـمي في جُسـومٍ كثـيرةٍ   وأحسُـو قَـرَاحَ[٣] المـاءِ والمـاءُ بـاردُ

(٧٢٧)

وقال أبو البُرْجِ القاسمُ بنُ حَنْبلٍ[٤]:

أَرَى الخُـــلَّانَ بعـــد أبي خُبَيْـــبٍ   وحُجْـــرٍ في جَنـــابِهِمُ جَفـــاءُ

مِـنَ البِـيضِ الوُجُـوهِ بنـي سِـنَانٍ   لـوَ انَّـك تَستضـيءُ بهـم أضـاءوا

لهـم شَـمْسُ النهـارِ إذا اسـتَقَلَّتْ   ونُـــورٌ مـــا يُغيِّـــبُهُ العَمـــاءُ

هـمُ حَلُّـوا مِـنَ الشَّـرَفِ المُـعلَّى   ومِـن حَسَـبِ العَشِـيرةِ حيـثُ شـاءوا

---

(١) سبقت له القطعة (١٤٥).

(٢) العافي: الطالب والرائد. والمعنى: الذين يأكلون معي جماعة يشاركونني الطعام، وأنت تأكل وحدك لا يشاركك أحد. يصف نفسه بالكرم والآخر بالبخل.

(٣) قراح الماء: أي خالصه، غير مخلوط بشيء.

(٤) شاعر إسلامي من بني سهم بن مرة، والأبيات في مدح زفر بن أبي هاشم عامل اليمامة.

بُنـــاةُ مَكـــارِمٍ وأُســـاةُ كَلْـــمٍ دِمـــاؤهُمُ مِـــنَ الكَلَـــبِ الشِّـــفاءُ
فأمَّـــا بيـــتُكُمْ إنْ عُـــدَّ بيـــتٌ فطـــال السَّـــمْكُ واتَّســـعَ الفنـــاءُ
وأمَّـــا أُسُّـــهُ فَعَـــلَى قـــديمٍ مِـــنَ العـــاديِّ إن ذُكِـــرَ البنـــاءُ
فلـــو أنَّ السمـــاءَ دَنَـــتْ لمَجْـــدٍ ومكرُمـــةٍ دنَـــتْ لـــهُمُ السمـــاءُ

(٧٣٢)

وقال آخَرُ[١]:

أَيَـا ابْنـةَ عبـدِ اللهِ وابنـةَ مالـكٍ ويـا ابنةَ ذي البُـرْدَيْنِ والفَـرَسِ الـوَرْدِ
إذا مـا صَـنَعْتِ الـزادَ فالتَمِسـي لـه أَكِـيلًا فـإني لسـتُ آكِلَـهُ وَحْـدي
أخًـا طارقًـا أو جـارَ بيـتٍ فـإنني أخافُ مَذَمَّاتِ الأحاديثِ مِن بعدي
وإني لعبـدُ الضـيفِ مـا دام نـازلًا ومـا فيَّ إلا تلـكَ مِـن شِـيَمِ العَبْـدِ

---

(١) تنسب لحاتم الطائي، والأقرب أنها لقيس بن عاصم المنقري، وقد سبقت له القطعة (٦٨٦).

(٧٣٣)

وقال آخَرُ[١]:

لـيس فَـتَى الفِتْيـانِ مَـن كُـلُّ همِّـه صَـبُوحٌ وإنْ أمسـى ففَضْـلُ غَبُـوقِ

ولكـنْ فتى الفِتيـانِ مَن راحَ أو غَـدَا لضَـــرِّ عـــدُوٍّ أو لنَفْـــعِ صَـــدِيقِ

(٧٣٨)

وقال الهُذَيْلُ بنُ مَشْجَعةَ البَوْلانيُّ[٢]:

إني وإنْ كــان ابــنُ عَمِّــيَ غائبًــا لمُقــاذِفٌ[٣] مِــن خلفِــه وورائِــهِ

ومُفِيــدُه نَصْــري وإنْ كــان امْــرَأً مُتزَحْزِحًــا[٤] في أرضِــهِ وسمــائِهِ

ومتــى أجِئْــهُ في الشــديدةِ مُــرْمِلًا أُلْــقِ الــذي في مِــزْوَدي لوِعائِــهِ[٥]

وإذا تتبَّعــتِ الجَــلائِفُ مالَنــا خُلِطَــتْ صــحيحتُنا إلى جَرْبائِــهِ[٦]

(١) هو: والبة بن الحباب الأسدي الكوفي، شاعر غزل من بني نصر بن قعين، وهو أستاذ أبي نواس.

(٢) من طيئ، وتنسب لغيره، ولا تخرج عن عصور الاحتجاج إن شاء الله.

(٣) مقاذف: أي مدافع.

(٤) متزحزحا: أي متباعدا.

(٥) مرملا: نافد الزاد (حال من المفعول به). المزود: الوعاء يجعل فيه الزاد.

(٦) الجلائف: جمع جليفة، وهي الأعوام المجدبة. الجرباء: ضد الصحيحة، والمقصود: اقتسمنا ما بيننا، فأصلحنا فاسد حاله بصالح حالنا.

وإذا أتـــى مِـــن وِجْهـــةٍ بطريفـــةٍ   لم أطَّلِـــــعْ مِمَّـــــا وراءَ خِبـــــائِهِ
وإذا اكتَسَـــى ثوبًـــا جمـــيلًا لم أقُـــلْ   يـــا ليـــت أنَّ عـــليَّ حُسْـــنَ ردائِـــهِ

(٧٤٣)

وقال حَسَّانُ بنُ ثابتٍ[١]:

المـالُ يَغْشـى رِجـالًا لا طَبَـاخَ لهـم   كالسَّيْلِ يَغْشى أُصُولَ الدِّنْدِنِ البالي[٢]
أَصُـــونُ عِـــرْضي بمـــالي لا أُدَنِّسُـــهُ   لا بـارِكَ اللهُ بعـدَ العِـرْضِ في المـالِ
أَحتـــالُ للمـــالِ إنْ أوْدَى فأجمَعُـــهُ   ولَسْـتُ للعِـرْضِ إنْ أوْدَى بمُحْتـالِ

(١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام، وهو أحد شعراء الرسول ﷺ والمنافحين عنه، وقد دعا له فقال: «اللّٰهم أيده بروح القدس»، ﷺ. والأبيات تنسب أيضا لحيَّة بن خلف الطائي.

(٢) لا طباخ لهم: أي لا خير عندهم. الدندن: الكلأ الأسود لقدمه ويبسه.

(٧٥٦)

وقال حاتمٌ[١]:

وعاذلــةٍ قامــتْ عَلَــيَّ تلــومُني   كــأنِّي إذا أَعْطَيْــتُ مــالي أَضِــيمُها[٢]
أَعــاذِلَ إنَّ الجُــودَ لـيس بمُهْلِكـي   ولا يُخـلِدُ الـنفسَ الشـحيحةَ لُومُهـا
وتُــذكَرُ أخــلاقُ الفتــى وعِظامُــه   مُغَيَّبَــةٌ في اللَّحْــدِ بــالٍ رَمِيمُهـــا
ومَنْ يَبْتَدِعْ ما لـيسَ مِن خِيمِ نَفْسِه   يَدَعْـهُ ويَغْلِبْـهُ عـلى الـنفسِ خِيمُهـا[٣]

(٧٦١)

قال عُتْبةُ بنُ بُجَيْرٍ[٤]:

لِحَـافي لِـحَافُ الضيفِ والبيتُ بيتُهُ   ولم يُلْهِنــي عنــه غَــزَالٌ مُقَنَّــعُ
أُحدِّثُــه إنَّ الحــديثَ مِــنَ القِـرَى   وتعلــمُ نَفْســي أنــه ســوفَ يَهجَــعُ

---

(١) هو: حاتم بن عبد الله الطائي، شاعر جاهلي مشهور بالكرم، وهو والد (عدي بن حاتم) الصحابي. والأبيات تنسب أيضا لكثير عزة، ولخالد بن عبد الله الطائي، والأعور الشني، وغيرهم.

(٢) أضيمها: أي أظلمها وأبخسها حقها، من الضَّيْم.

(٣) الخيم: الخلق والطبيعة. وفي البيت شاهد على لفظ (الابتداع)، ولنتذكر «كل بدعة ضلالة»، و«نعمت البدعة».

(٤) شاعر إسلامي نجراني، من بني الحارث بن كعب، كنيته أبو شبل. وهذه القطعة تنسب أيضا لمسكين الدارمي ولطفيل الغنوي.

(٧٦٩)

وقال يَزِيدُ بنُ الجَهْمِ الهِلَاليُّ[١]:

لقــد أمَــرَتْ بالبُخْــلِ أمُّ محــمدٍ　　فقُلْـتُ لها حُثِّي عـلى البُخْـلِ أحْمَدَا[٢]

فـإني امـرُؤٌ عـوَّدْتُ نفسِـيَ عـادةً　　وكُـلُّ امـرئٍ جـارٍ عـلى مـا تَعَـوَّدَا

أَحِينَ بَدَا في الـرأسِ شَيْبٌ وأقبَلَـتْ　　إليَّ بنُــو غَــيْلانَ مَثْنَــى ومَوْحَــدَا

رَجَـوْتِ سِـقَاطِي واعْـتِلالي ونَبْـوتي　　وَرَاءَكِ عنِّــي طالــقًا وارْحَــلِي غَــدَا

---

(١) لم يترجموا له، وذكر دعبل أن الصواب: زيد بن الجهم، وهو شاعر شريف جواد ولاه المنصور جرجان. والأبيات تروى لحميد بن ثور.

(٢) أي: حثي غيري على البخل، ويروى (حثي على الجود).

(٧٧٩)

وقال عارِقٌ الطائيُّ[١]:

أَلَا حَيِّ قبلَ البَيْنِ مَن أنتَ عاشِقُهْ ... ومَـن أنـتَ مُشـتاقٌ إليـه وشـائِقُهْ[٢]

ومَـنْ لا تُـواتِي دارُهُ غـيرَ فَيْنـةٍ ... ومَـن أنـت تَبكـي كـلَّ يـومٍ تُفارِقُـهْ

تَخُـبُّ بصَحْـراءِ الثُّـوَيَّةِ ناقـتي ... كعَـدْوِ رَبَـاعٍ قـد أَمَخَّـتْ نَوَاهِقُـهْ[٣]

إلى المُنْـذِرِ الخَيْـرِ ابْـنِ هنـدٍ تَـزُورُهُ ... ولـيس مِنَ الفَوْتِ الذي هو سابِقُهْ[٤]

فـإنَّ نِسـاءً غـيرَ مـا قـالَ قائـلٌ ... غَنِيمـةُ سَـوْءٍ وَسْـطَهُنَّ مَهَـارِقُهْ[٥]

ولـو نِيـلَ في عَهْـدٍ لنـا لَحْـمُ أرنـبٍ ... وَفَيْنـا وهـذا العهـدُ أنـت مُغـالِقُهْ[٦]

---

(١) شاعر جاهلي، واسمه: قيس بن جروة بن سيف الأَجَئي. وقد لقب بـ(عارق) بسبب البيت الأخير في هذه القطعة. وقصة الأبيات أن الملك كان قد غزا اليمامة فأخفق، فمر الجيش عند عودته بحي هذا الشاعر، وكانوا في حمى الملك، فزيَّن له بعضُ من كان معه أن يصيب منهم، فأصاب نسوة وأذوادًا، فقال الشاعر هذه الأبيات.

(٢) يقال: شيء شائق؛ أي يشوق صاحبه ويدعوه إلى طلبه، ومطاوعه: اشتاق، ولا تقل (كتاب شيق) بهذا المعنى؛ لأن الشيق هو المشتاق، عكس الشائق.

(٣) تخب: أي تسير الخَبَب، وهو ضرب من العدو. الرباع: الجمل في سنته الرابعة. نواهقه: عظامه. أمخت: صارت ذات مخ، والمعنى أنه مستحكم الشباب والقوة.

(٤) لنتذكر {فلا فوت}.

(٥) المهارق: جمع مهرق، وهي كلمة فارسية الأصل، ومعناها: ما يكتب فيه العهود والمواثيق.

(٦) مغالقه: أي مفسده وتارك للوفاء به، ويروى (معالقه) بالمهملة؛ أي متعلق بذمتك وفي رقبتك.

أكــلُّ خَمِيــسٍ أخطــأ الغُــنْمَ مــرَّةً وصــادَفَ حيًّــا دائِنًــا[1] هــو ســائِقُهْ

وكنـــا أُنـــاسًا دائِنِـــينَ بغِبْـــطةٍ يَسِــيلُ بنــا تَلْــعُ المَــلَا وأبارِقُــهْ[2]

فأقسَـــمْتُ لا أَحْتَـــلُّ إلا بصَـــهْوةٍ حَــرامٍ عليــكَ رَمْلُــهُ وشَقــائِقُهْ[3]

حَلَفْــتُ بهَــدْيٍ مُشْــعَرٍ بَكَــراتُهُ تخُــبُّ بصَــحْراءِ الغَبِـيطِ دَرَادِقُــهْ[4]

لـئِن لم تُغَـيِّرْ بعـضَ مـا قـد صَـنَعْتُمُ لَأَنْتَحِــيَنْ لِلعَظْــمِ ذو أنــا عارِقُــهْ[5]

(١) الخميس: الجيش. الدائن: المطيع.

(٢) يروى (دائبين) وهو أقرب عند المرزوقي. التلع: جمع تلعة، وهي مسيل الماء. الملا: الصحراء. الأبارق: جمع أبرق، وهو ما عليه حجارة سود. وقوله (يسيل بنا) أي نسير فيه بسهولة.

(٣) يحلف الشاعر أن لا ينزل ولا يقيم إلا بمكان عال، خارج عن سلطان الملك المخاطب.

(٤) بكَرات: جمع بكْرة؛ وهي الناقة الفتية (مؤنث بكر). مشعر: اسم مفعول من الإشعار؛ وهو أن تُطعن في أسنمتها ليعلم أنها هدي. الدرادق: صغار الإبل.

(٥) لأنتحين: لأتعرضن. عارقه: آكل ما عليه من اللحم.

(٧٨٢)

وقال آخَرُ[١]:

إنـكَ يـا ابـنَ جعفـرٍ نِعْـمَ الفَتَـى ... ونِعْـــم مـــأوَى طـــارقٍ إذا أتـــى

ورُبَّ ضـيفٍ طَـرَقَ الحَـيَّ سُرَى ... صـادَفَ زادًا وحـديثًا مـا اشـتَهَى

إنَّ الحـديثَ جانـبٌ مِـنَ القِـرَى ... ثـم اللِّحـافُ بعـد ذاك في الـذَّرَى[٢]

(١) تنسب للشماخ بن ضرار، في مدح (عبد الله بن جعفر بن أبي طالب)، وقيل: (ابن جعفر الصادق)، وهذا خطأ؛ لأن الشماخ متقدم، وقد توفي جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ.

(٢) الذرى: أي الكَنَف، والكِنُّ.

(باب المدح)

(٧٩٦)

وقال أَعْشَى رَبِيعةَ[١]:

وما أنا في حَقِّي ولا في خُصُومتي بمُهْتَضَمٍ حقِّي ولا قارعٍ قِرْني
ولا مُسْلِمٍ مَوْلاي عند جِنايةٍ ولا خائفٍ مَوْلاي مِن شَرِّ ما أجني
وإنَّ فؤادًا بين جَنْبَيَّ عالمٌ بما أبصَرَتْ عَيْنِي وما سَمِعَتْ أُذْني
وفضَّلَني في الشِّعْر واللُّبِّ أنني أقولُ على عِلمٍ وأعرِفُ مَن أَعْني
وأصبَحْتُ إذْ فضَّلْتُ مَرْوانَ وابْنَه على الناسِ قد فضَّلتُ خيرَ أبٍ وابْنِ

(٨٠٠)

وقال أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ[٢]:

أأَذكُرُ حاجتي أم قد كَفَاني حَيَاؤك إنَّ شِيمتَكَ الحياءُ
وعِلمُك بالحقوقِ وأنت فَرْعٌ لك الحَسَبُ المُهَذَّبُ والسَّنَاءُ

---

(١) هو: عبد الله بن خارجة بن حبيب، شاعر إسلامي، كان مرواني المذهب، متعصبا لبني أمية. والأبيات في مدح عبد الملك بن مروان.

(٢) سبقت له القطعة (٢٥٤). والأبيات في مدح عبد الله بن جدعان.

خليـــلٌ لا يُغـــيِّرُهُ صَـــبَاحٌ   عــنِ الخُــلُقِ الجميــلِ ولا مَسَــاءُ

وأرضُــكَ كــلُّ مكرُمــةٍ بَنَتْهــا   بنُــو تَــيْمٍ وأنــت لــها سَمــاءُ

إذا أثنَــى عليــكَ المــرءُ يومًــا   كفَــاه مِــن تَعَرُّضِــهِ الثَّنَــاءُ

تُبَــاري الرِّيــحَ مكرمــةً ومَجْــدًا   إذا مــا الكلــبُ أجْحَــرَهُ[1] الشِّــتَاءُ

(٨٠٦)

وقال المُتَوَكِّلُ اللَّيْثِيُّ[2]:

لَسْــنا وإنْ أحســابُنا كرُمَــتْ   مِــمَّنْ عــلى الأحْســابِ يَتَّكِــلُ

نَبْنــي كمــا كانــت أوائِلُنــا   تَبْنــي ونَفْعَــلُ مِثْــلَ مــا فَعَلــوا

---

(١) أجحره: أي أدخله الجحر.

(٢) هو: المتوكل بن عبد الله بن نهشل الكناني، شاعر إسلامي كان على عهد معاوية وابنه يزيد، ومدحهما.

(٨١٤)

وقالت الخَنْساءُ(١):

دلَّ عـــــلى مَعْروفِـــــهِ وَجْهُـــــهُ　　بُـــورِكَ هــــذا هادِيًـــا مِـــن دَلِيـــلْ
تَحْـــسَبُهُ غَضْـــبانَ مِـــن عِـــزِّهِ　　ذلـــك منـــه خُلُـــقٌ لا يَحُـــولْ(٢)
ويــــلُ امِّـــهِ مِسْعَـــرَ حَـــرْبٍ إذا　　أُلْقِـــيَ فيهـــا وعليـــه الشَّـــلِيلْ(٣)

(باب الصفات)

[لم أنتق منه شيئا]

(١) اسمها: تماضر بنت عمرو بن الشريد، شاعرة وصحابية، اشتهرت بمراثيها في أخيها صخر، وقيل: إنها أشعر النساء. توفيت سنة ٢٤هـ.

(٢) يحول: يتغير.

(٣) الشليل. الدرع القصيرة. ويل امه: كلمة لا يراد بها ظاهر لفظها، وإنما يراد بها التعجب والإكبار؛ كقولهم «قاتله الله» و«تربت يداه» و«هبلته أمه» و«هوت أمهم» ونحو ذلك (وهمزتها وصلٌ للوزن). مسعر حرب: مُوقدها ومحركها. ولنتذكر قول النبي ﷺ لأبي بصير: «ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد».

(باب السير والنعاس)

(٨٢٥)

وقال واقِدُ بنُ الغِطْرِيفِ[١]:

يقولــون لا تَشْــرَبْ نَسِـيئًا[٢] فإنَّــه —وإن كنـتُ حرَّانًـا— عليـكَ وَخِـيمُ[٣]

لـئِنْ لـبَنُ المِـعْزَى بمـاءِ مُوَيسِـلٍ[٤] بَـــــغَاني داءً إنـــــني لسَقِيـــــمُ

(٨٢٦)

وقال حُنْدُجُ بنُ حُنْدُجٍ المُرِّيُّ[٥]:

في ليلِ صُولٍ تَناهَى العَرْضُ والطُّولُ كأنَّمـــا ليلُـــهُ بالليـــلِ مَوْصُـــولُ

لا فـارَقَ الصُّبحُ كَفِّي إنْ ظَفِـرْتُ بـه وإنْ بَـــدَتْ غُـــرَّةٌ منـــه وتَحْجِـــيلُ

---

(١) واقد بن الغطريف بن طريف بن مالك، شاعر من طيئ. قيل: إنه إسلامي، ولكن يبدو من نسبه أنه جاهلي (لأن جده طريف بن مالك كان معاصرا لامرئ القيس)، وكان مريضا فحُمي الماء واللبن فقال ذلك. وقيل: الشعر لزيادة بن بحدل الطائي.

(٢) النسيء: اللبن المخلوط بالماء، وسوف يفسره الشاعر نفسه في البيت الذي يليه.

(٣) يروى: (عليك إذا ما ذقته لوخيم).

(٤) يروى (مؤيسل)، قال المرزوقي: تصغير (مأسل) الذي ذكره امرؤ القيس (وجارتها أم الرباب بمأسل).

(٥) شاعر إسلامي، كما في شرح أبي القاسم الفارسي على الحماسة. وهذا الشعر يذكر فيه الشاعر ما كان يقاسيه من طول الليل في مدينة (صول)، وهي في نواحي (باب الأبواب) على بحر طبرستان.

لِســـاهرٍ طـــالَ في صُـــولٍ تَمَلْمُـــلُهُ كأنـــه حَيَّـــةٌ بالسَّـــوْطِ مقتـــولُ[1]
متــى أرَى الصُّـبْحَ قـد لاحَتْ مَخَـايِلُهُ والليــلُ قــد مُزِّقَــتْ عنــه السَّرابيــلُ
ليــلٌ تَحَيَّــرَ مــا يَــنْحَطُّ في جِهــةٍ كأنَّــه فـوقَ مَـتْنِ الأرضِ مشـكولُ[2]
نُجُــومُه رُكَّــدٌ[3] ليســت بزائلــةٍ كأنمـــا هُـــنَّ في الجَـــوِّ القَنادِيـــلُ
مـا أقـدَرَ اللهَ أن يُـدْنِي[4] عـلى شَـحَطٍ مَــنْ دارُه الحَــزْنُ مِمَّــنْ دارُهُ صُــولُ
اللهُ يَطــوي بِســاطَ الأرضِ بَيْنهمــا حتــى يُــرَى الرَّبْـعُ منـه وهْـو مـأهولُ

(١) عجز البيت يوضح معنى (التململ) توضيحا رائعا.

(٢) متن الأرض: ظهرها. مشكول: مربوط بالشكال؛ وهو الحبل أو القيد.

(٣) ركد: من الركود وهو السكون، ولنتذكر {فيظللن رواكد}.

(٤) سكن الياء للضرورة. والجادة النصب. والشحط: البعد.

(باب المُلَح)

(٨٣٣)

وقال آخَرُ(١):

خَبَّرُوهـــا بـــأنَّني قـــد تزوَّجْـــ ـــتُ فظلَّـــتْ تكـــاتِمُ الغـــيظَ سِـــرَّا
ثـــم قالـــتْ لأختِهـــا ولأخـــرى جَزَعًـــا ليتَـــه تـــزوَّجَ عَشْـــرَا
وأشـــارت إلى نســـاءٍ لَـــدَيْها مـــا تَـــرَى دُونَهُـــنَّ للسِّـــرِّ سِـــتْرَا
مـــا لقَلْبـــي كأنـــه لـــيس منـــي وعِظَـــامي إخـــالُ فِـــيهِنَّ فَـــتْرَا

(٨٥٦)

وقال آخَرُ(٢):

لعَمْـري لقـد حـذَّرتُ قُرطًـا وجـارَه ولا يَنفـعُ التحـذيرُ مَـن لـيس يَحْـذَرُ
نَهَيْتُـهمـا عـن نُـورةٍ(٣) أحرَقَتْهُمـا وحَمَّـــامِ سَـــوْءٍ مـــاؤه يَتسعَّـــرُ

---

(١) هو: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، شاعر غزل من أرق شعراء عصره، وهو معاصر للفرزدق وجرير. قيل: ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب فسمي باسمه. توفي سنة ٩٣هـ. وهو صاحب قصيدة (أمن آل نُعم أنت غادٍ فمُبكر) التي حفظها ابن عباس من مرة واحدة.

(٢) أعرابي، دخل ابنه الحمام فأحرقته النورة، واسمه: عبيد بن قرط، واسم ابنه قرط.

(٣) النورة: مادة تستعمل لإزالة شعر العانة ونحوه.

فمـــا منهمـــا إلا أتـــاني مُوقَّعًـــا[1] ... بـــه أثـــرٌ مِـــن مَسِّـــها يَتقشَّـــرُ

أجِدَّكمـــا لم تَعْلمـــا أنَّ جارَنـــا ... أبـا الحِـسْلِ[2] بالصَّـحْراء لا يَتنَـوَّرُ

ولم تَعْلمـــا حَمَّـــامَنا ببِلادِنـــا ... إذا جعَـل الحِـرْباءُ بالجِـذْلِ يَخْـطِرُ

(باب مذمَّة النساء)

[لم أنتق منه شيئا]

(١) موقع: به أثر الجرح.

(٢) أبا الحسل: الضب. يتنور: يستعمل النورة.

مُحتويات الكتاب

----------(باب المراثي) ----------

---------- (باب النسيب) ----------

---------- (باب الأضياف) ----------